
Bibliotheca Alexandrina
00118965

إبراهيم خليل أحمد

إسرائيل فتنة الأجيال

العصور الحديثة

مكتبة الوعي العربي

ابراهيم خليل احمد

اسرائيل فتنة الأجيال

العصور الحديثة

مكتبة الوعي العربي
لصاحبها : رءوف شعبان
٥ شارع كامل صدقي بالفجالة
تليفون ٩١٩٩٦٥

دار العهد الجديد للطباعة
كامل محمود مصباح
ت ٩٠٢١٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع بدار الكتب
٤٦٠٠ لسنة ١٩٧٠

مقدمة

إن هذا السفر يبحث عن دور إسرائيل كفتنة خلال الأجيال فى العصور الحديثة ، وعن الصهيونية كأداة فى قبضة الإمبريالية ، وعن التآمر الإمبريالى الصهيونى ضد الوجود العربى ، وعن خديعة إنجلترا وفرنسا للعرب أثناء الحرب الكونية الأولى والثانية ، وعن وعد بلفور وملابساته ، وعن سياسة الاستعمار فى قيام إسرائيل من حيث :

١ — الانتداب الإنجليزى على فلسطين .

٢ — والإدارة البريطانية فى تهويد فلسطين .

٣ — وتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين .

٤ — وتشجيع انتقال الملكية من العرب إلى اليهود .

٥ — وإنشاء الوكالة اليهودية .

٦ — وإنشاء الكتائب الصهيونية وتسليحها وتدريبها .

٧ — ودخول أمريكا فى القضية لصالح الصهيونية .

٨ — وقرار التقسيم ووأد (حق تقرير المصير) .

٩ — واعتراف أمريكا بقيام دولة إسرائيل .

١٠ — ومبادرة «ترومان» إلى الاعتراف بها .

ثم عن مسئولية العرب فى قيام الدولة الصهيونية ، وعن تفكك العرب وتخاذلهم وتخلفهم عسكريا وسياسيا . ثم عن الصراع مع الصهيونية العالمية ومع إسرائيل ، وعن حرب عام ١٩٤٨ ، ثم عن العدوان الثلاثى الإنجليزى

الفرنسى الإسرائيلى على مصر عام ١٩٥٦ ، وعن العـدوان الإسرائيلى التوسعى على الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦٧ .

ثم عن القرارات العربية لاسترداد أرض فلسطين ، وعن صداقة الدول المحبة للسلام وتأييدها للنضال العربى .

والكتاب ينقسم الى سفرين :

فالسفر الأول عن العصور القديمة ويشتمل على ثلاثة أبواب ، وبيانها كالآتى:

الباب الأول : عن الوجهة التاريخية والجغرافية للشرق الأوسط .

الباب الثانى : عن الوجهة الشعوبية والاجتماعية لإسرائيل .

الباب الثالث : عن الوجهة الدينية والاخلاقية لإسرائيل .

أما السفر الثانى الذى نحن بصدده عن العصور الحديثة فيشتمل على أربعة أبواب ، وهى:

الباب الأول : عن الوجهة السياسية والاقتصادية لإسرائيل .

الباب الثانى : عن المخطط الصهيونى . . . التغلغـل الصهيونى فى نيويورك ، وواشنطن .

الباب الثالث : عن دراسات تحليلية . . وعد بلفور . التقسيم . الانتداب

الباب الرابع : عن ظلال . . . جوهر . . . قرارات .

هذا هو الكتاب الذى أقدمه للعالم العربى إيمانا واحتسابا للقضية العربية مؤمنا بالنصر . ومن هنا لابد من وقفة تأمل وتبصير .

لقد جاء على الأمة الإسلامية لحظات انتكست فيها ، لكن الله قيّض للأمة رجالا حققوا لها انتصاراً عسكرياً وسياسياً غسلوا به أرجاس الطغاة.

فى عهد الخلافة العباسية توغل « هولاكو » فى الأراضى الإسلامية حتى

تصدى له السلطان قطز الخوارزمى واستطاع أن ينزل به هزيمة مروعة فى واقعة (عين جالوت) عام ١٢٦٠ م

ومن قبل الزحف المغولى كان الغزو الصليبى الذى شمل حقبة من الدهر بلغ مداها قرناً ونصف قرن من الزمان من ١٠٩٧ – ١٢٥٠ م . ولم ير المسلمون وقتئذ إلا الاستسلام لمهادنتهم . وبلغ من تحدى الصليبيين لشعور المسلمين أنهم كانوا ينقضون المعاهدات حتى أن «أرناط» أمير حصن الكرك التابع لمملكة بيت المقدس جرّد حملة للاستيلاء على مكة ، والمدينة ، ونهب الآثار النبوية عام ١١٨٣ م ، فتصدى له العادل أخو صلاح الدين ، وأعد صلاح الدين جيشاً زحف به فى يونيو عام ١١٨٧ م ، فاستولى على طبرية ثم زحف منها إلى حطين ، ودارت معركة رهيبة أنزل فيها صلاح الدين من الهزائم بالصليبيين مالم يعهدوه من قبل ، واستسلمت بيت المقدس فى أكتوبر عام ١١٨٧ ، واستمر صلاح الدين فى زحفه وانتصاراته حتى سقطت معظم المدن الصليبية التى هددت المسلمين .

فلا معنى لليأس إذن مع الحياة بل تصميم على الجهاد المقدس حتى يتحقق لنا النصر بإذن الله .

المحرم سنة ١٣٩٠ هـ
مارس سنة ١٩٧٠ م

ابراهيم خليل احمد

الباب الأول

الوجهة السياسية والاقتصادية لإسرائيل

اعرف عدوك :

يعتقد اليهود اعتقادا راسخا حسب ما يقرره التلمود « أنهم مساوون للعزة الإلهية » ولذلك تكون الدنيا بما فيها ملكا لهم ، ولهم عليها حق التسلط ، ولهم مطلق التصرف فى كل شىء .

وهم ينتظرون بفارغ الصبر الزمن الذى سيظهر فيه المسيح ، ولكن من هذا المسيح المنتظر ؟

إن المسيحيين يتوقعون مجىء المسيح[1] ، ولكنه المجىء الثانى ويشاركهم فى ذلك المسلمون ومجىء المسيح إنما هو علامة من علامات القيامة .

أما اليهود فإنهم ينتظرون مجىء المسيح ليملك على الأرض ويجعلهم سادة على العالم .

ومن هنا يتبين أن لكل وجهة يبنى عليها إيمانه وعقيدته ، واليهود فى وجهتهم إنما ينكرون رسالة المسيح عيسى بن مريم وشخصيته وهذا شأنهم دائما مع الأنبياء ، فلقد نسبوا إلى أنبيائهم والآباء تهما خطيرة تمس الشرف والكرامة ، ولا تتأتى من إنسان عادى . ولقد سبق أن ذكرت ما نسبوه إلى داود النبى مع أنه يناجى ربه قائلا : « يكافئنى الرب حسب برى . حسب طهارة يدى . يرد علىّ لأنى حفظت طرق الرب ، ولم أعص إلهى . . »[2] ويشهد الإنجيل بطهارة داود : « وجدت داود بن يسى رجلا حسب قلبى »[3] .

إذن فلكى تنجح فى إحباط مخططات عدوك ، ينبغى عليك أن تتقن جيدا طريقة تفكيره وأسلوبه فى العمل ، وبالتالى فإن عدم الجدية فى هذا المجال أو الاستهانة بالعدو من شأنه أن يزيد من احتمالات الفشل فى الانتصار على العدو ، وإلحاق الهزيمة به .

---

(١) متى ٢٣ : ٣٩ . (٢) ٢ صم ٢٢ : ٢١ — ٢٥ . (٣) أع ١٣ : ٢٢ .

أسباب الانتصار بين يديك :

يعتمد الصهيونيون على طاقات روحية مستمدة من وعود ربانية وردت في الكتاب المقدس منها وعيد ووعد لموسى عليه السلام جاء على لسان نحميا بأن الله يفرقهم في الأرض إذا عصوه ويجمع شملهم إذا رجعوا تائبين(١) .

وتجاهلوا قضاء الله المحتوم عليهم بسبب عصيانهم الذي تجاوز كل حد والذي أعلمهم به نبيهم إرمياء بأن الله أقسم بذاته أن يخرب هيكل سليمان(٢) وأن قسم الله بخراب أورشليم تأسس على حيثيات دقيقة للغاية فإن سفر الملوك وسفر أخبار الأيام يتحدثان عن تاريخ بني إسرائيل في عهد مملكة داود فمملكة سليمان فالمملكتين يهوذا وإسرائيل وإن هذه الممالك في عهودها وملوكها أثمت آثاما خطيرة منها : « تركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم عجلين وعملوا سواري . . . . . »،(٣) ومن ثم فإن إعلان إرمياء بخراب أورشليم كان قصاصا عادلا (٤) « لأنهم ، تركوا عهد الرب إلههم وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها » ، حتى أن نبيهم أشعياء يتهكم عليهم بقوله لهم : « فحين تبسطون أيديكم أستر عينيّ عنكم ، وإن كثرتم الصلاة لا أسمع ، أيديكم ملآنة دما » (٥) .

وينقطع عنهم الأنبياء وينقطع عنهم الوحي ازدراء لشأنهم وتحقيرا لأمرهم منذ سبيهم إلى مملكة بابل ، وإن كان الله جلت حكمته عن الاستقصاء قد ردّهم إلى أرض فلسطين في زمن كورش ملك فارس لغاية ربانية حتى يبعث فيهم المسيح عيسى بن مريم حكما مقسطا .

فلما جاءهم تنكروا له وتآمروا عليه وفتنوا الأمة وألبوا الوالي الروماني

---

(١) انظر نحميا ١ : ٨ — ١٠ . (٢) إرمياء ٢٢ : ٥ . (٣) ٢ مل ١٧ : ١٦ — ٢٠ .
(٤) إرمياء ٢٢ : ٨ ، ٩ . (٥) أشعياء ١ : ١٣ — ١٧ .

عليه حتى التصقت بهم جريمــة الصليب باعترافهم الصريح : « دمه علينا وعلى أولادنا »(١) .

وأعلنهم المسيح بقضاء الله المحتوم الذى لا راد لقضائه بقوله : « هوذا بيتكم يترك لكم خرابا »(٢) .

وإذا كانت إسرائيل تعتمد على الوعد الممنوح لإبراهيم فإنهم وبالأولى كان ينبغى أن يلتزموا بالعهد لأنهم تنكروا للعهد وبالتالى سلب منهم الله الوعد ، وفى هذا يقول برنابا بما يعنى أن الله ما ينسخ من آية أو ينسها يأت بخير منها أو مثلها ، فيقول برنابا : « أجاب يسوع : كل ما يُنطق على كتاب موسى فهو حق فاقبلوه . لأنه لما كان الله واحداً كان الحق واحداً ، فينتج من هذا أن التعليم واحد وأن معنى التعليم واحد . فالإيمان إذن واحد . الحق أقول لكم إنه لو لم يمح الحق من كتاب موسى لما أعطى الله داود أبانا الكتاب الثانى ، ولو لم يفسد كتاب داود لم يعهد الله بإنجيله إلىّ ، لأن الرب إلهنا غير متغير ولقد نطق الله رسالة واحدة لكل البشر » (٣) .

لقد مضى إسرائيل بعهوده السالفة إبان حكم القضاة حينما كان ظل العلى يظللهم حتى أن الشعوب حسبت حسابهم فصرخوا قائلين: «ويل لنا! من ينقذنا من يد هؤلاء الآلهة الذين ضربوا مصر بجميع الضربات فى البرية؟! »(٤) .

وليس هذا بعيداً على الله فى عنايته بأمته فهو يقول لنا : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

مضى ذلك العهد ، « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من

---

(١) انظر متى ٢٧ : ٢٠ — ٢٥ .
(٢) متى ٢٣ : ٣٧ — ٣٩ .
(٣) إنجيل برنابا ١٢٤ : ٥ — ١٠ .
(٤) ١ صم ٤ : ٦ — ٨ .

الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »(١) .

المواجهة العربية مع العدو :

إن معركة المواجهة المصيرية الدائرة بين الأمـــة العربية والعصابات الصهيونية يبدو منها مواجهة لعدو عريق فى أساليبه يخطط على مستوى دولى منذ زمن بعيد ، يدفعه إلى هـــذا عقيدة دينية ، ويحفزه على ذلك السعى للاستقرار ، فى أرض تـكون للإسرائيليين بمثابة الوطن تجمع شملهم ، وترفع عنهم ذل الشعوب وكراهيتهم لهم منذ الأزل . وماذا تفيد عقيدتهم الدينية الممسوخة وقد تخلى عنهم الله ، وماذا يفيدهم البكاء وقد ورّث الله الأرض لأمة هى خير أمة أخرجت للناس ؟ !

لـكن الحسد يدفع بالحاسد إلى أن يعيش فى ظلمات بعضها فوق بعض ، فقد خطط هذا العدو لتحقيق هدف أساسى تحدد فى المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى فى مدينـــة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ : وهو ضرورة إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين كمرحلة لبناء دولة إسرائيل الـكبرى التى تمتد من الفرات إلى النيل .

وبهذا الوضوح القاطع يتبين لنا أن هدف هذه الحركة الصهيونية كان وما يزال فى إنشاء كيان يهودى توسعى استعمارى يمتد من فلسطين ليبتلع سوريا ولبنان والعراق والأردن ومصر .

وكان أسلوب العمل الذى استخدمته الصهيونية وصولا إلى هذا الهدف هو حشد القوى الاستعمارية بل وتجنيدها فى سبيل إخراج الحلم الصهيونى إلى حيز الوجود .

---

(١) البقرة : ٦١ .

ولم يكن اللقاء الذى تم عندئذ بين الصهاينة والمطامع الإمبريالية البريطانية فى ٤/١٢/١٩١٨ والمطامع الإمبريالية الأمريكية فيما بعد شيئاً عسيراً ، خاصة وأن الزعيم حاييم وايزمن أكد للورد بلفور وزير خارجية بريطانيا — وصاحب الوعد المشئوم « وعد بلفور » بإنشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين — أنه لا فرق بين الاستعمار الصهيونى والإمبريالية البريطانية . وصرح وايزمن بأنه أقنع لورد بلفور بأن ما يسمى بالاستعمار ليس إلا الصهيونية .

الامبريالية والصهيونية تتآمران :

وقد ثبت فيما بعد بالواقع والتاريخ أن اللورد بلفور كان مقتنعاً بوجود رابطة دم بين أهداف الصهيونية والاستعمار حتى قبل أن يعقد معه وايزمن هذا الاجتماع بدليل الوعد الذى سبق أن أعطاه بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين فى ٢/١١/١٩١٧ ، وبدليل القرار الذى اتخذه مؤتمر لندن الاستعمارى عام ١٩٠٧ بالعمل على فصل الجزأين الإفريقى والآسيوى فى المنطقة العربية أحدهما عن الآخر ، وإقامة حاجز بشرى قوى وغريب فى نقطة التقاء هذين الجزأين يمكن للاستعمار أن يستخدمه فى تحقيق أغراضه !!

ويحدد القرار هذه الأغراض بأنها « تجزئة المنطقة والإبقاء على تفككها ، ومحاربة أى اتحاد يقوم بين أجزائها ، والسعى الدائب إلى تفسيخها عملياً وفكرياً وتاريخياً » ، وهكذا تحدد دور الصهيونية فى مؤتمر لندن وتحددت وظيفة « إسرائيل » قبل إنشائها بثلاثين سنة ، ألا وهى العمل الدائب على إشاعة الفرقة والتمزق فى أرجاء الأمة العربية .

تجربة فلسطين :

كانت تجربة فلسطين تأكيدا وتعزيزاً لذلك . ولقد صرح السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى هذا الصدد بقوله : فى سنة ١٩٤٨ صمم الاستعمار وصمم الطغاة الذين وقفنا وحاربنا معهم فى الحرب العالمية الأولى ، ووقفنا

وحاربنا معهم فى الحرب العالمية الثانية ، وكانت النتيجة أننا كنا الغنيمة فى هاتين الحربين وقفنا معهم وأمددناهم بجميع مطالبهم ، وكانت هذه المنطقة من العالم تعتبر منطقة إمداد وتموين لجيوشهم ، وكانت النتيجة أن سلب جزء عزيز من الوطن العربى ، وأعطى لإسرائيل لإقامة وطن قومى لهم .

دخلنا فلسطين سبع دول عربية ، ولكن سبع دول غير متحدة .. سبع دول متفرقة ، تفرق بينها الأطماع وتفرق بينها الأحقاد .

دخلنا فلسطين لنحارب ، لإنقاذ الأمة العربية ، فانتكس الحال ووصلنا إلى المأساة الكبرى . . اغتصاب فلسطين وتشريد أهلها .

وهكذا كان الانقسام والفرقة مرة أخرى سببا فى اغتصاب أرض عربية وتمكين الصهيونية منها .

فلو أن العرب اتحدوا مثلما اتحدوا ضد الصليبيين فى عصر صلاح الدين الأيوبى ومثلما اتحدوا فى عصر السلطان قطز ضد التتار ، لما استطاعت الصهيونية أن تغتصب فلسطين وتقيم وطنا فى قلب العالم العربى حتى ولو ساعدها الاستعمار . كانت تجربة فلسطين درسا كشف عن درجة وحشية الاستعمار وأظهر نواياه الخبيثة وأطماعه فى السيطرة والتحكم والاستغلال ، كما كانت تجربة فلسطين فضلا عن ذلك درسا عرف منه العرب من هم أعداء الحرية ومن هم أعداء القومية العربية . لقد تأكد للعرب بعد تجربة فلسطين أن الدفاع عن كيان الأمة العربية يجب أن ينبع من قلب الأمة العربية نفسها ، وأن الاعتماد على أية دولة أجنبية ليس له معنى سوى الاستعمار والسيطرة .

فإذا أردنا أن نحقق الحرية ، وإذا أردنا أن نحقق الاستقلال لا بد أن نثق ونعتقد تمام الاعتقاد أننا لا بد أن نعتمد على أنفسنا ، ولا بد أن نعتمد على شعوبنا ، وأننا إذا اعتمدنا على دولة أجنبية فلن نكون فى النهاية إلا غنيمة لها كما كنا بعد الحرب العالمية الأولى .

وإننا لا يتأتى لنا استرداد ما اغتصب إلا بالقوة ، وعلى أسس ثلاثة

وهى الأخلاق والعلم والجهاد، ومن ثم يتحتم تعميق المفاهيم الروحية، والتخطيط السياسى والعسكرى على كل المستويات، والإعداد العسكرى للمجابهة والمواجهة المصيرية «ولينصرن الله من ينصره، وكان حقاً علينا نصر المؤمنين».

نظام الجيتو

الثورة الفرنسية ونتائجها على الصهيونية :

ما إن انتشرت مبادىء الثورة الفرنسية فى القارة الأوربية حتى استفاد اليهود من المساواة الاجتماعية، وأصبح لهم نفوذ وسطوة، خاصة إذا اعتبرنا قلة عددهم بالنسبة إلى سائر الشعوب، وذلك بفضـــل الأحوال الخاصة التى اكتنفت تاريخهم، فإن ما نالهم من الضغط والاضطهاد فيما مضى جعل فى قرارة نفوسهم نزوعاً إلى قلب نظام الحكم القائم، وانقضاضا على السلطات التى ناوأتهم.

أما الماليون منهم فقد كسبوا ما كسبوا بمهارتهم وحذقهم لأساليب التجارة وخبرتهم وصدق نظرتهم فى الشئون الاقتصادية، وحيازتهم المعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة.

وربما كان هذا التفوق بعد المذلة والمسكنة فيما مضى من الأزمان هو سبب تلك الكراهية التى يشاهد أثرها فى كل مكان.

وقد تأتى هـذا التفوق بالتدريج إذ عاش اليهود قروناً وهم معزولون فى مستعمراتهم فى أوربا، وكأنهم فى حجر صحى، أو كأنهم موبوءون يخشى الإختلاط بهم.

لقد بدأ اليهود رحّلا فى عصر التوراة من زمان إبراهيم فإسحق فيعقوب فالأسباط فموسى فيشوع بن نون فعهد القضاة، ثم فى إقامتهم ببابل وفى عودتهم إلى أرض فلسطين، حتى جاء المسيح عليه السلام.

وظلوا رحلا فى عالم الشتات، وككل قطعان الرحل أبوا إلا أن يعيشوا فى حظائر مسورة داخل مدن الشتات.

وكثيراً ما كانت هذه الوحدة الخلوية اليهودية تغلف بحائط خاص داخل المدينة ، ماعدا الأغنياء منهم الذين كانوا يتعدون هذا الحصار ليعيشوا فى الأحياء الراقية غير اليهودية .

وهذه العزلة السكنية هى مايعرف بنظام الجيتو وكانت تحت أسماء تختلف باختلاف المناطق التى يعيشون فيها :

ففى مصر يتجمعون فى « حارة اليهود » .

وفى أسبانيا يتجمعون فى « اليوديريا » Juderia

وفى المغرب العربى يتجمعون فى « الملة » Mellah

وفى اليمن يتجمعون فى « القاع »

ويعزى العزل السكنى إلى سببين :

١ — أن هذا العزل السكنى Residential Segregation كثيراً مايرجع إلى قوانين الدول والشعوب التى يعيش اليهود بين ظهرانيها يفرضونه بالقوة على اليهود تباعداً عنهم واستعلاء عليهم كفئة من المنبوذين — كما يعبر « ماكس فيبر » — وكذلك إحكاما للرقابة عليهم وحصراً لأخطارهم .

٢ — وكثيراً مايرجع هذا إلى صنع اليهود أنفسهم سعياً منهم كأقلية — مسحوقة ومنبوذة — إلى التركيز والحشد فى نقطة واحدة ضمانا للحماية فى حظيرة واحدة .

إن سحنة اليهودى ليست صفة جسمانية بقدر ما هى تعبير اجتماعى مكتسب من البيئة الاجتماعية ، من صنع « الجيتو » ، من حياة التشرد والاضطهاد ، والصراع ، والقلق من الأخطار التى تواجههم وتعصف بهم من آن لآخر ، حتى لقد أسماها البعض « تعبيرات الجيتو » .

إنها من فعل الانتخاب الاصطناعى لا الوراثة والبيولوجيا وقد ثبتت عن طريق التزاوج الداخلى ، والانتخاب الجنسى والانتخاب الاجتماعى والانتخاب المهنى .

ومعنى هذا أننا إذا صادفنا هذه المسحة اليهودية فى الوجه فإنما هى مجرد ميراث الاضطهاد الدينى والشعوبى أيا كان الأصل الجنسى والسلالة العرقية ، ودون أن تعنى أن صاحبه ينحدر من نسل بنى إسرائيل التوراة بالضرورة .

ونجم عن هذه العزلة أنهم اكتسبوا صفات جسمانية ومعنوية خاصة بهم وأنهم امتازوا بحدة الذهن، وحسن التدبير وبعد النظر، والاحتياط للطوارئ، وأنهم نزعوا إلى الديمقراطية شأنهم فى ذلك شأن الأقليات فى دول البحر المتوسط كالأرمن الذين تفوقوا فى الصناعات الدقيقة ومن على مثالهم من الأقليات ، فيبرزون فى ميدان الطب ، وفى ميدان الهندسة ، وفى ميدان القانون، وفى ميدان الصحافة ، وفى الاحتكارات التجارية والصناعية .

ثم إن اليهودى عموماً كان محرماً عليه دخول الجيش والبحرية والنقابات الصناعية والتجارية ، وأصبح لاسبيل أمامه إلا العمل كوسيط تجارى ، فمارس طرق المعاملات التجارية وترقب الأسواق التجارية ، والاستفادة من فرص الأسواق المالية .

وكان للقرار الذى اتخذته الكنيسة بتحريم الربا أثره فى انتهاز اليهود لهذه الفرصة ، فاتخذوا الاتجار بالمال عملا لهم وبرعوا فيه أيما براعة ، فما إن جاء القرن التاسع عشر وأعلن فيه تحرير اليهود فى معظم الدول الأوروبية الغربية ، وألغيت القيود التى كانوا بها مقيدين ، حتى انتهزوا هذه الفرصة السانحة واستخدموا الصفات التى اكتسبوها على مر السنين وبذلك بلغوا المقام الرفيع الذى يتبوأونه فى تلك الدول .

ومن هنا نستنبط أن كراهية الشعوب الأوربية لليهود لا ترجع إلى التعصب الديني وإن يكن له فيها نصيب، ولا هي ترجع إلى الأحوال الاجتماعية التي نجمت عن تحرر اليهود في القرن التاسع عشر ، ولكن ترجع إلى حياتهم الازدواجية بين الشعوب التي يعيشون معها .

الجيتو . . الليبرالية . . الصهيونية :

اشترك اليهود في جميع الجيوش المتحاربة على أثر نشوب الحرب العالمية الأولى. ودافعوا عن البلاد التي كانوا نازلين فيها(١) ، حتى خيل للناس أنهم فقدوا طبيعتهم اليهودية وأصبحوا من أبناء تلك البلاد .

فإن روح « حرية الفكر » الليبرالية المعاصرة وتطور(٢) الوعي السياسي في المجتمع الصناعي الحديث ، كلها طفرات جديدة وخطيرة تهدد بانتهاء اضطهاد اليهود وبالتالي تهدد بانتفاء اللاسامية التي افتعلوها ببيئاتهم ، ومن ثم تهدد بذوبانهم في شعوب الأمم ثقافة ولغة بل دينا وجنسا .

ومن هنا تضطرم الصهيونية بمحاولة استبقاء مناخ الاضطهاد وشبحه وتجسيد أسطورته إلى الأبد لتوقف تيار الذوبان الغلاب الذي يظل مع ذلك يفرض نفسه كواقع قاهر يتمثل أخطر ما يتمثل في الامتزاج بالمصاهرة مع غير اليهود ، وفي تحول البعض إلى عقائد أخرى ، ولئن كان هذا اليوم أوضح وأخطر مايكون في بوتقة الولايات المتحدة فإن أوروبا الغربية تعرفه أيضاً بدرجة أو بأخرى .

والخط التاريخي الذي أكد نفسه منذ البداية وهو تخالط وتهجن اليهود وذوبانهم جنسياً يعيد اليوم تأكيد نفسه برغم انحرافات شعارات الصهيونية ، ويفرض نفسه أكثر منه في أي وقت مضى .

---

(١) إن اشتراكهم إنما لممارسة الحرب لخطة بعيدة يرسمونها ، فكان ٥٪ من الجيش الامريكي يهودا في حين أن نسبتهم إلى مجموع سكان الولايات المتحدة الامريكية لاتزيد عن ٣٪ وكان في الجيش البريطاني ٥٠٫٠٠٠ يهودي من مجموعهم البالغ ١٠٠٫٠٠٠ .

(٢) Liberal « حزب الأحرار » Liberality « بحرية الفكر ».

ومن ثم نستطيع تفسير ظاهرة المناوأة لليهود بالرغم من اشتراكهم فى الحرب ضمن « الاتحاد المقدس » لدول الأمم الغربية فى الحرب الأوربية .

فلم تكد الحرب تضع أوزارها حتى أحس المتأملون فى أحوال الأمم هبوب ريح معاداة ومناوأة لليهود فى معظم الأقطار وقد أخذت هذه الريح تشتد رويدا رويداً حتى عمت القارة الأوربية بأكملها بل تعدتها إلى الولايات الأمريكية المتحدة ، وكان المعتقد أنها أبعد من سواها عن التعصبات الجنسية والدينية . ولقد كثرت عام ١٩٢٣ الحوادث الدالة على اتجاه هذا التيار ولاسيما فى أقطار أوربا الشرقية حيث يكثر العنصر اليهودى . وفى أمريكا كانت هنا حركة شديدة ترمى إلى مقاومة النفوذ اليهودى ومن زعمائها « هنرى فورد » ، حتى فى انجلترا أصدق صديقة لليهود كانت الصحافة البريطانية تشن حملاتها على سيطرة اليهود فى فلسطين .

ومن ثم أصبحت فكرة الصهيونية وهى وليدة الكراهية التى مابرحت تظهرها الشعوب الأوربية لليهود . فالحركة الصهيونية إذن هى من قبيل رد الفعل وغايتها حل المشكلة اليهودية بإيجاد وطن لهم .

إنهم منذ إعلان تحريرهم فى القرن التاسع عشر قد أصبحوا ملوك الصيرفة والمال وتمكنوا من السيطرة على اقتصاديات الدول ، ومن هنا فإن كراهية الشعوب لهم ناجمة عن الانتهازية والإثراء على حساب الشعوب وأنهم لم يكونوا قابلين للاندماج فى الشعوب التى حلوا بينها ويرجع ذلك إلى مزاج اليهود الروحى وعقيدتهم الدينية ومذهبهم الاجتماعى . وما برحت شخصيتهم هذه تزداد بروزا مع الأيام حتى أصبح من أهم مميزات الشعب اليهودى تماسكه وتجانسه واعتداده بذاته واستعلاؤه على الآخرين .

وهم يؤمنون بالتلمود ويقرون بأن اليهود مساوون للعزة الإلهية فالدنيا

وما فيها ملك لهم ، ويحق التسلط على كل شيء فيها ، وإنهم يقررون « أن قتل النصارى من الأفعال التي يكافىء الله عليها ، وإذا لم يتمكن اليهودى من قتلهم فواجب عليه أن يتسبب فى هلاكهم فى أى وقت وعلى أى وجه » .

لقد شردهم الله فى الأرض لكنهم لا يدركون أن تشريدهم إنما بسبب معاصيهم ، فيقرر التلمود: « أنهم شعب الله فى الأرض . وقد أوجب عليهم أن يفرقوا لمنفعتهم » . والحقيقة هى ما اكتشفه برنار لازار وهو من أوثق الباحثين فى هذا الشأن بقوله : « يتراءى لى أن شعورا عاما كالمناوأة لليهود ظهر فى كل مكان وكل زمان ، قبل المسيح وبعده ، فى الإسكندرية وروما وأنطاكية وبلاد العرب ، وفارس ، وفى أوربا فى مختلف عصورها ، أى بالاختصار فى كل قطر قطنه اليهود . يتراءى لى أن شعوراً هذا انتشاره لا يمكن أن يكون طارئا عرضيا أو نزوعا وقتيا بل يجب أن يرجع إلى أسباب حيوية وأصول بعيدة » .

ألا فعودة إلى قوله تعالى :

« لقَدْ أخذنا ميثاقَ بنى إسرائيلَ وأرسلْنَـا إليهم رُسُلاً كلما جاءهم رسولٌ بما لا تهوَى أنفسُهم فريقاً كذَّبوا وفريقاً يقتلون . وحسبُوا ألاَّ تكونَ فتنةٌ فعَمُوا وصمُوا ثم تاب الله عليهم ثم عَمُوا وصمُّوا كثير منهم والله بصير بما يعملون »(١) .

اليهود سبب الكوارث

اولا — عداوتهم للاسلام :

تآمر اليهود مع قريش بغية القضاء على رسول الله والمسلمين ، وأقبلت قريش بخيلها ورجلها ومن تبعها من بنى كنانة ، وأتت معهم يهود بنى سليم ، وخرجت بنو أسد ، وبنو فزارة وأشجع بنو مرة ، وكانوا جميعا فى عشرة آلاف ، جاءوا يريدون محاصرة الرسول فى عقر داره ، والقضاء عليه وعلى دعوته وعندما بلغ رسول الله مسير قريش استشار الناس ، فأشار المسلمون بحفر الخندق ، فكانت خطة بارعة وسدا منيعا أمام دخول الكفار المدينة .

---

(١) المائدة : ٧٠ ، ٧١ .

وعندما وصلت جموع قريش حال الخندق بينهم و بين دخولهم المدينة ، وحاروا فى أمرهم فأرسلوا أحد زعما اليهود (حي بن أخطب) إلى يهود بنى قريظة داخل المدينة لينقضوا العهد ويخرجوا من حيادهم ، وما زال بهم هـذا اليهودى حتى نقضوا العهد وخرجوا من حيادهم .

واتصل نبأ انضمام قريظة إلى الأحزاب بالرسول وأصحابه ، فاهتزوا له وخافوا مغبته و بعث الرسول إليهم سعد بن معاذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة سيد الخزرج ومعهما بعض الصحابة ليقفوا على جلية الأمر ، على أن يلحنوا له عند عودتهم إن كان حقا ، حتى لا يفتوا فى أعضاد الناس .

فلما أتى هؤلاء الرسل ألفوا قريظة على أخبث ما بلغهم عنهم ، وأراد سعد ابن معاذ ، وكان حليف قريظة ، أن يقنعها مخافة أن يحل بها ما حل ببنى النضير أو ما هو شر منه ، فانطلقت اليهود ، ووقعوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال كعب زعيمهم : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا و بين محمد .

فسبهم سعد بن معاذ وانصرفوا عنهم ، ثم أقبلوا على رسول الله وأخبروه فاشتد ذلك عليه وقال : حسبنا الله و نعم الوكيل .

وأقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه محصورين بضع عشرة ليلة حتى اشتد الكرب وأصاب المسلمين مجاعة شديدة. ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله: «اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إنك إن تشأ لا تعد . اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب » .

فاستجاب الله دعاءه ، و بعث الله الريح على الأحزاب ليلا حتى ما يكاد أحدهم يهتدى لموضع قدمه ، وأنزل الله قوله : « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها وكانَ الله بما

تعملون بصيراً » . وقد رد الله كيدهم فى نحورهم ، وكان النصر لرسول الله والمسلمين، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره أهل الشرك والضلالة .

إن التاريخ لم يسجل لليهود وأشياعهم من المنافقين إلا النذالة والخسة ، واستعمال أساليب الدس والوقيعة وإشاعة الفاحشة حين يعجزون عن مجابهة خصومهم وجها لوجه

لقد تآمر اليهود من قبل مع المنافقين من أهل المدينة على النيل من عرض المصطفى صلى الله عليه وسلم بغية التشكيك وإشاعة الفرقة بين المسلمين ، افترى عبد الله بن أبى على عرض رسول الله فرمى أحب نسائه إلى قلبه .

ثم نزل قوله تعالى مبينا براءة عائشة متوعدا اليهود والمنافقين عذاباً عظيما : « إن الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ منكم لا تحسبُوهُ شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ». وكما أن اليهود وأتباعهم لجأوا إلى أخس الوسائل فى محاربة الدعوة الإسلامية فى صدرها الأول فاشتركوا مع أعداء رسول الله فى قتاله ثم بإشاعة التهم الباطلة ضد المؤمنين والمؤمنات إلى غيرذلك من أساليب النذالة والخسة ، فإنهم كذلك لجأوا إلى الأسلوب عينه عندما عجزوا فى عام ١٩٤٨ عن الوقوف أمام جيوش العرب التى قاربت مشارف تل أبيب فعمدوا إلى بث الفتن وإشاعة الفوضى وإحداث البلبلة بين صفوف المقاتلين العرب ، فأشاعوا أن بعضا من عرب فلسطين خونة وهم من ذلك براء ، لتنعدم الثقة بين الجيوش المحاربة وأهل فلسطين ، وقد نجحوا بعض الوقت كما نجحوا فى إشاعة البلبلة فى صفوف المسلمين إزاء حديث الإفك . ألافلنحذر تلك الأساليب ولنتيقن أنهم فتنة فى الأرض وشر خطير ولنكن يقظين لها والله غالب على أمره .

ثانيا — عداوتهم للشعوب الأوربية :

أدركت الشعوب الأوربية أن اليهود لا يمكن أن يعيشوا مع شعب آخر فى الوجود إلا على أساس استعباد ذلك الشعب وتسخير عقول أبنائه وأرواحهم وامتصاص دمائهم وأموالهم فى خدمة اليهود .

وأدركت شعوب أوربا أن اليهود بمكرهم ودهائهم قد نجحوا إلى حد كبير فى إدخال العنف والبطش والوحشية إلى الدين المسيحى ، وأنهم كانوا السبب الرئيسى فى إشعال نار الكراهية والحقد والبغضاء بين الطوائف المسيحية ، وأنهم تسببوا فى إشعال الحروب الدينية الطاحنة بين الكاثوليك والبروتستانت وتسببوا فى إزهاق أرواح ملايين النصارى الأبرياء فى أوربا لأسباب واهية وعوامل خلاف مضحكة هى من صنع اليهود ودسهم ومكرهم .

وفى غمرة الأحقاد الدينية العنيفة نسى المسيحيون أو تناسوا الأساس الأول الذى بنى المسيح عليه الدين المسيحى : الأخوة ، والتسامح ، والاشتراكية .

وحينما أفاقت شعوب أوربا من غفوتها هبت ترد العدوان ، وتدفع الخطر قبل أن يستفحل الداء العضال ويستشرى السرطان اليهودى فيفتك بأجسام ملايين البشر ويحولهم إلى عبيد خدمة للشعب المختار — حسب مزاعمهم — ونال اليهود بعد تلك الصحوة جزاءهم الأوفى .

موقف الشعوب الأوربية من اليهود

١ — فى بريطانيا :

لمس الشعب البريطانى خطورتهم على الاقتصاد والدين على السواء ، فأمر الملك جون سنة ١٢٣٠ بحبسهم فى جميع أنحاء المملكة البريطانية وأمر الملك هنرى الثالث بحبسهم وتعذيبهم بعد أن اكتشف انتقاصهم لجزء من الذهب والفضة المخصص للعملة وتداولها مما أدى إلى أزمة اقتصادية ، وصادر ثلث أموالهم المنقولة وضمها إلى خزينة الدولة ، وأصدر الملك إدوارد الأول سنة ١٢٧٢

مرسوما ملكيا بتحريم الربا والرهونات لما تبين له من امتصاص اليهود لأموال البلاد بواسطة الربا والرهونات اللذين يمارسهما اليهود . لكن اليهود وما جبلوا عليه من جشع وطمع لم يبالوا بهذا المرسوم الملكى بل استطاعوا امتصاص ذهب الدولة وتشويه العملة وإنقاص وزن النقد .

ولما كانت بريطانيا غير واقعة فى ذلك العهد تحت سيطرة اليهود المادية والمالية والمعنوية وغير متأثرة بدعاياتهم فقد أمرت حكومة بريطانيا بإجراء محاكمة عادلة للغشاشين ولصوص الذهب وحكم بإعدام ٢٠٠ يهودى سنة ١٢٨١م.

ولم يرهب اليهود هذا القصاص فاستمروا ينفذون خططهم الجهنمية لامتصاص دماء الشعب البريطانى والسيطرة على مقدراته والتهجم على مقدساته ، فما كان من الملك إدوارد إلا أن أصدر مرسوما ملكيا سنة ١٢٩٠ يقضى بطرد اليهود من بريطانيا فى غضون ثلاثة أشهر .

ولم يصبر الشعب البريطانى حتى تنقضى المدة ويتخلص من اليهود نهائيا ، بل هجم على تجمعاتهم قتلا وحرقا . وفى قلعة يورك احتمى جمع من اليهود استطاع الإنجليز مهاجمتهم وإشعال النار فيهم فأحرقوا خمسمائة منهم مما دعا الملك إدوارد إلى الإسراع بإجلائهم عن البلاد قبل أن يفتك بهم الشعب فى كل مكان . لكنهم شرعوا يتسللون إلى البلاد تحت حماية كرومويل معلنين يهوديتهم بعد أن دفعوا ثمن عودتهم رشوة إلى ذلك الطاغية ، وهكذا ومنذ سنة ١٦٥٦ عاد التغلغل اليهودى التدريجى فى الحياة البريطانية فى فترة غلبت فيها سياسة التسامح والتغاضى عن خطط اليهود الشريرة .

٢ — فى فرنسا :

وكذلك فعل الفرنسيون باليهود ، ذبح وقتل وحرق وتشريد وطرد من البلاد بعد أن اختنق الشعب الفرنسى بالضغط الاقتصادى الناجم عن

جشع اليهود ومؤامراتهم وتعاملهم بالربا الفاحش وسعيهم الحثيث لتدمير القيم الأخلاقية ، وتقويض أسس الحياة الاجتماعية، ولم تنج الكنائس فى فرنسا من إرهاب اليهود ، ومن وقوعها فى براثن الديون التى تضاعفت بأسباب الربا الفاحش والتلاعب بالرهونات فطردهم لويس أغسطس من البلاد ، ثم تسللوا إلى البلاد بعد عشرين عاماً ، وألغى لويس التاسع[1] ثلث ما كان لهم من ديون على الحكومة وبالقياس ألغى ثلث ما كان لهم من ديون على الكنائس وعلى أفراد الشعب ثم أصدر أمراً ملكيا بحرق جميع كتبهم وخاصة التلمود .

وطردهم فيليب الجميل ، وأصابهم من القتل والنهب شيء كثير ، ثم تسللوا إلى البلاد فى سنة ١٣٤١ .

وهاج الشعب فى فرنسا الوسطى وذبحوا من اليهود أعدادا كبيرة وطردوهم ولم تأت سنة ١٣٩٤م وفى فرنسا يهودى واحد .

إنها لعنة الله تلاحقهم أنى كانوا حسب نبوءات أنبيائهم من موسى إلى عيسى من التوراة والأنبياء والمزامير والإنجيل . إنها لعنة الله من خلال كتبهم ركيزة عقيدتهم وإيمانهم .

ثم تسلل اليهود بعد تشردهم من أسبانيا إلى فرنسا ووجدوا فيها مصاعب جمة . ولم يؤذن لهم بالسكنى فى المدن إلا فى أواخر القرن السادس عشر . وفى إبان الثورة الفرنسية سنة ١٧٩٠ استغلوا ميرابو فدافع عن حقوقهم فى المساواة بسائر السكان ، ثم حاول نابليون بونابرت استغلالهم لمساعدته على تحقيق أطماعه التوسعية فى الشرق العربى ، فخانوه ، وحينما أخفق وعاد إلى فرنسا قال عنهم : « إنهم حثالات البشر وجراثيمه » .

٣ — فى ألمانيا :

انتشر اليهود فى ألمانيا فى القرن الثامن وسكنوا المدن الواقعة على ضفاف

(١) The Jewish Problem, Louis Golding—Hazell London, 1939.

نهر الرين ، ومنحهم الشعب الجرمانى فرصة العيش الكريم بيد أنهم عجزوا عن تغيير عاداتهم وأخلاقهم السيئة وجشعهم وحبهم للكسب الحرام والربا الفاحش ، وحينما عيل صبره أخذ يفتك بهم ويطاردهم ويجليهم عن الأماكن الاستراتيجية التى استقروا فيها ، وذبحوا وطردوا من جميع المناطق الألمانية فى أزمنة مختلفة وعلى مر السنين .

وكلما تسللوا إلى البلاد واستقروا بعض الوقت هب الشعب للفتك بهم وإجلائهم عن البلاد وتدمير أحيائهم التى كانوا يعيشون فيها بعيدين عن الشعب مفضلين العزلة والانطواء على أنفسهم حتى لا يختلطوا بالمسيحيين « الكفار الملحدين Gentiles » .

٤ — فى اسبانيا :

بالرغم من موجة الاضطهادات التى واجهها اليهود فى أوروبا الوسطى إلا أنهم لاقوا كل رعاية وحرية وإحسان فى أسبانيا إبان حكم الدولة الأموية لها ، وفى رحاب المسلمين والإسلام استظلوا بظلال السعادة والرفاهية فانتعشوا وتضاعفت ثرواتهم وتزايدوا حتى صاروا حوالى نصف مليون نسمه ، وحينما أفل نجم العرب من سماء الأندلس بدأ اليهود يلاقون المصاعب والويلات نتيجة تغلغلهم فى الحياة الأسبانية وسيطرتهم على اقتصاديات البلاد .

فقد استطاعوا عن طريق الربا الفاحش أن يستولوا على أملاك الشعب وعقاراته ، ولم تنج الكنائس من سطوتهم ، فقد كان أكثر أملاكها مرهونا لليهود .

ثم اشتعلت نيران الخلافات الدينية بين الإكليروس وحاخامات اليهود فهب الشعب يدافع عن نفسه ويفتك باليهـــود ويبطش بهم ، مستخدما

محاكم التفتيش تارة والهجوم الشعبي المفاجيء تارة أخرى ، ووصلت موجة البطش باليهود ذروتها فى عهد الملك فرديناند وزوجته إيزابلا، فبعد أن أعيتهما الحيلة فى محاولة بائسة لحل المشكلة اليهودية فى أسبانيا وجدا أن الوسيله الوحيدة لحلها هو طردهم من أسبانيا ، منعا للمذابح وحقنا للدماء وإنقاذاً لهم من غضبة الشعب الذى كفر بهم ولم يطق العيش معهم ومجاراتهم فى عاداتهم وأخلاقهم العجيبة . وصدر المرسوم الملكى فى ٣١ مارس « آذار » سنة ١٤٩٢ م ونص بالآتى : « يعيش فى مملكتنا عدد غير قليل من اليهود . ولقد أنشأنا محاكم التفتيش منذ اثنتى عشرة سنة ، وهى تعمل دائما على توقيع العقوبة على المذنبين وبناء على التقارير التى رفعتها لنا محاكم التفتيش ثبت أن الصدام الذى يقع بين المسيحيين واليهود يؤدى إلى ضرر عظيم ، ويؤدى بالتالى إلى القضاء على المذهب الكاثوليكى . ولذا قررنا نفى اليهود ذكورا وإناثاً خارج حدود مملكتنا وإلى الأبد .

«وعلى اليهود جميعا الذين يعيشون فى بلادنا ويسيطرون على ممتلكاتنا — ومن غير تمييز فى الجنس أو السن — أن يغادروا البلاد فى غضون فترة أقصاها نهاية شهر يوليو من نفس العام ، وعليهم ألا يحاولوا العودة تحت أى ظرف أو أى سبب .

«ومن أجل أن يتدبر اليهود أمورهم استعدادا للرحيل منحناهم حمايتنا الملكية لأرواحهم وأملاكهم حتى آخر يوليو ، ونسمح لهم بأن ينقلوا معهم براً أو بحراً ما يملكون من الذهب والفضة والعملة الذهبية والأشياء الأخرى التى يشملها قانون المنع العام »(١) .

(١) The Expulsion of the Jews from Spain ; Mascu Constable London, 1935 .

٥ — فى بقية دول اوربا :

وكذلك وقع لليهود فى كل من روسيا وبولندا وإيطاليا ورومانيا وبلغاريا وسويسرا وهنغاريا ، والمذابح التى وقعت لهم فى روسيا على مر الأزمنة وفى مختلف العصور يعجز القلم عن وصفها . وفى إيطاليا حاربهم البابوات وأصدروا المراسيم العديدة لتكفيرهم وتسفيه ديانتهم المرتكزة على التلمود .

وفى ١٢٤٢ أعلن البابا جريجورى التاسع اتهامات صريحة ضد التلمود الذى يطعن فى المسيح والمسيحية وشكل البابا لجنة لفحص الاتهام ، فأقرت اللجنة التهمة ، وأمرت بحرق التلمود .

وضاق الشعب بأخلاق اليهود ووقاحتهم وجشعهم فثار عليهم مرات عديدة وفى أماكن مختلفة من البلاد وخاصة فى نابولى التى فتك بهم شعبها وطرد البقية الباقية منهم عام ١٥٤٠ (١) .

ويبدو أن اليهود قد تفننوا فى التجارة حتى استطاعوا استغلال اللاسامية ومناوأة أوربا لهم لصالحهم يذكون نار المناوأة ويؤججون ضرامها كلما خبت جذوتها وكأنهم يرون الاضطهاد عنصرا من عناصر بقائهم وديمومتهم .

وأول من أضرم جذوة اللاسامية هرتزل بقوله : « من السخف أن ننكر وجود مشكلة يهودية ، فإنها موجودة حيثما توجد جماعة من اليهود . وإذا لم توجد فى جهة ما لا يلبث أن يحملها إليها المهاجرون . إننا نهاجر إلى الجهات التى لا نضطهد فيها ، ولكن ظهورنا يحمل على اضطهادنا » .

ولعل أقرب دليل على ذلك هو قضية دريفوس ١٨٩٤ — ١٩٠٦ ذلك الضابط الفرنسى اليهودى الذى حكم عليه بالإعدام سنة ١٨٩٤ فى المحاكمة الأولى بتهمة الخيانة العظمى لنقله الأسرار الحربية العسكرية إلى ألمانيا . وكان منظر

---

(١) History of The Jews, Gratz, Philadelphia, U. S. A. 1941

المظاهرات المعادية لليهود فى باريس — فى الوقت الذى كانت المعركة فيه متأججة حول قضية دريفوس — هو الذى حوّل الصحافى النمسوى تيودور هرتزل من داعية قوى من دعاة اندماج اليهود مع مواطنيهم إلى كونه رسولا مبشرا بالصهيونية.

تسرب إسرائيل إلى الدول التى اضطهدتهم وتسللهم إليها

١ — فى فرنسا :

ما لبث النفوذ اليهودى أن تغلغل فى فرنسا بعد تبرئة ذلك الضابط الفرنسى اليهودى « دريفوس » ، ومنذ أواخر القرن التاسع عشر غدت فرنسا عميلة مسخرة لتحقيق أهداف الصهيونية واليهودية العالمية إلى عهد قريب .

٢ — فى انجلترا:

تسلل اليهود إلى إنجلترا وتغلغل نفوذهم فيها حتى عملت إنجلترا على ترضيتهم بمنحهم وعد بلفور وبتحقيق هجرة غير مشروعة إلى فلسطين ، ومع هذا فلم يلبثوا أن تصـــدوا لخالقيهم وأذاعوا دعاية مغرضة ضـــد بريطانيا منتهزين حادثة الباخرة اكسودس مناسبة يستفيـــدون منها ، فالتقطوا أفلاما سينمائية لأولئك للمهاجرين المحتشدين فى قبرص ، ولم يتركوا داراً من دور السينما فى الولايات الأمريكية المتحدة إلا عرضت فيها صور أولئك التعساء المشردين !! وتتلخص الحادثة فى أن الباخرة « اكسودس » كانت تنقل عدداً من المهاجرين اليهود غير الشرعيين إلى فلسطين ، فاعترضتها فى عرض البحر قوة بريطانية مسلحة ، مما أدى إلى وقوع الاصطدام بين المهربين اليهود وجنود الإمبراطورية البريطانية ، وبعد معركة دامية استمرت حوالى ثلاث ساعات قتل خلالها ثلاثة أشخاص وجرح ٢١٧ شخصاً تمكن الجنود البريطانيون من نقل المهاجرين اليهـــود إلى ثلاث سفن حملتهم إلى جزيرة قبرص لإعادتهم إلى بلادهم .

ولقد عرضت الحكومة الفرنسية على زعماء الصهيونية إيجاد الملجأ الأمين لأولئك المهاجرين ، إلا أن زعماء الصهيونية رفضوا هذا العرض وتابعوا حملتهم مما اضطر الحكومة البريطانية إلى نقـــل المهاجرين إلى مرفأ هامبورج فى ألمانيا .

أما عن الأثر الذى تركته هذه الحادثة :

فقد ثار الرأى العام الأمريكى ، واندفع يصب جام غضبه ونقمته على بريطانيا ، حتى أن بعض القنصليات البريطانية فى نيويورك وغيرها من مدن أمريكا قد رشقت بالحجارة ، كما كتبت على جدرانها العبارات العدائية .

وأكثر من ذلك .. فقد انتقم الصهيونيون من البريطانيين ، وفيما كانت الصهيونية تمضى فى غيها وبينما كان اليهود يتعامون عن هذه الأعمال الإرهابية ، ارتفع صوت يهودى حر يندد بالصهيونية وكان لهذا التنديد دوى العاصفة.. لقد قال الدكتور ماغنز : « لقد كنا نعتقد أن الصهيونية ستعمل على تخفيف الحملة ضد السامية فى العالم، ولكننا رأينا العكس تماماً . . فقد ازداد أعداؤها » .
وأيد أينشتاين الدكتور ماغنز بتصريحه : « إننا نتوجه إلى اليهود فى أمريكا وفى فلسطين بألا يتركوا نفوسهم تتردى فى يأس قاتل أو بطولة زائفة قد تؤدى بهم إلى مهاوى الدمار والانتحار » .

٣ — فى ألمانيا :

تسلل اليهود إلى ألمانيا وأثروا ثراء كبيراً ولكن سرعان ما اضطهدوا وكان آخر ما لاقوه من عذاب وتقتيل وتشريد على يد هتلر ابتداء من السنة التى تولى فيها حكم ألمانيا عام ١٩٣٣ إلى السنة التى انهارت فيها إمبراطوريته عام ١٩٤٥ .

فالجرائم التى نسبت لليهـــود هى : الربا ، والسيطرة على مقومات

اقتصاد الدولة ، وتدمير الوطن سياسيا واقتصاديا وعسكريا بالتآمر عليه مع الأعداء ، ومحاربة القيم الأخلاقية والتشكيك فى كل دين يتعارض مع ديانتهم ، هذه الجرائم إنما كانت من نتاج أفكار أحبارهم وكهنتهم التى جاءت فى نصوص التلمود وجاءت فى مقررات حكماء صهيون — هذه الجرائم هى التى دفعت هتلر إلى أن يتخلص منهم بطريقته التى رأى أنها تتناسب مع جرائمهم .

٤ — فى روسيا :

انبثق من شعور اليهود بأن الأمم تضطهدهم عاملان فى اتجاهين متوازيين ولكنهما سرعان ما يلتقيان ليعملا معا لتحقيق هدف واحد :

الاتجاه الأول :

أنهم ملوك الصيرفة والمال ، الأمر الذى سبب لهم مناوأة الشعوب الأوربية بسبب سيطرتهم على اقتصاد البلاد .

الاتجاه الثانى :

أنهم زعماء الحركات الثورية والانتقاضية وإليهم ينسب قسط كبير من الفوضى المنتشرة فى كل جهة ، فمنهم رؤساء الأحزاب الاشتراكية المتطرفة ، ومنهم أركان النظام البلشفى وناشرو دعوته فى العالم .

فحينما قامت الثورة البلشفية كانت نسبة اليهود فى المكتب السياسى ٨٥ ٪ موزعة كما يلى (١) :

١ — لينين	؟
٢ — ستالين	متزوج من يهودية
٣ — تروتسكى	يهودى

(١) Itestiy. Robert Edmondson Oregon, U.S. A. 1953.

٤ — كامينيف يهودى

٥ — سوكولنكوف يهودى

٦ — زينوفييف يهودى

٧ — يينوف مسيحى

وسيأتى تفصيل التغلغل الصهيونى فى الباب الثانى لبيان مدى تغلغلهم فى مجلس إدارة الحزب والثورة وفى الدوائر الرسمية بعد الثورة البلشفية بعام واحد (١) .

توافق الاتجاه المالى مع الاتجاه الثورى :

قد يبدو أن الاتجاهين يسيران فى طريقين متضادين لكن الصهيونيين بمخططاتهم وبوكالة اليهود العالمية استطاعوا السيطرة والتحكم فى الاتجاهين لصالح الصهيونية .

ولعل من الأمور المقررة أن حالة الاضطراب كثيرة الملاءمة لأرباب الصيرفة والمضاربة ، ولاسيما إذا كانت لديهم معلومات صادقة . وكان تشتت اليهود فى أرجاء الأرض ، وإذلال الشعوب الأوربية لهم ، هو ما جعلهم يتعاطفون بعضهم مع بعض تعاطفا وثيقا ، ومن هذا التعاطف كانوا يقفون على مجرى الحوادث فى مختلف البلدان ، وهذا ما يسر لليهود حصيلة طيبة من المعلومات والأنباء العالمية ، وقد أنشأوا مصالح خصيصا لهذا الغرض ، ومن قبل كان الإثراء المالى يتوقف على السبق إلى المعلومات الصحيحة .

ومن يرجع إلى تاريخ الثروات التى جمعها بعض الأسر اليهودية المشهورة كأسرة « روتشيلد » يجد أن منشأها كان بسبب الحصول على معلومات سياسية أو حربية ذات شأن والاستفادة منها قبل انتشارها ، وهذا بفضل

---

(١) المصدر السابق .

ما بينهم من الصلات الوثيقة والروابط المتينة بالرغم مما يفصلهم من المسافات .

والأمر الذى تجدر ملاحظته هو أن الطائفتين المتقدمتى الذكر تعملان فى خارج الحيز الوطنى ، فإن مراميهما دولية لا قومية ، فمن جهة يجاهر دعاة الاشتراكية بأن غرضهم إزالة الفوارق بين الأمم ، ووحدة العمال من كل الدول لمناهضة الرأسمالية والسلطة ، وبذلك يعملون على إضعاف الرابطة القومية. ومن جهة أخرى يجاهر الرأسماليون بممارسة أعمالهم فى جهات مختلفة ومصالحهم مشتتة فى بلدان متعددة وهم قلما يشتركون فى حياة الأمة والإحساس بكيانها . وإنما تهمهم حياتها الاقتصادية ، وقد قيل إن اليهود حتى فى حالة انضوائهم تحت راية وطن من الأوطان يختلفون فى نظرتهم إلى ذلك الوطن عن نظرة بقية المواطنين ، فإن وطنهم الاقتصاد ، بعكس أبناء البلاد الأصليين الذين يحسون أن وطنهم هو الأرض الطيبة مسقط رءوسهم والتى ارتووا من مياهها واستظلوا بسمائها .

ومن ثم كان ما وجه إليهم من العداوة والمناوأة أمراً ناشئا من حياتهم المغلقة والتى تعرف « بنظام الجيتو » .

الحركة القومية

كانت حركات الوحدة فى كل من إيطاليا وألمانيا تستند إلى الشعور القومى الذى نما فى كل منهما بدرجة متزايدة فى القرن التاسع عشر. أما فى إيطاليا فإن جذوره تمتد إلى أواخر العصور الوسطى وإلى عصر النهضة حيث قام الرواد مثل دانتى الذى دعا إلى رفع مستوى اللغة العامية إلى لغة وطنية ، ومكيافيللى الذى عبر عن آماله فى تحقيق وحدة إيطالية تحت زعامة فلورنسا ، ودعا إلى استخدام مختلف الوسائل حتى ولو كانت غير خلقية لتحقيق هذا الأمل الكبير . وسجل مكيافيللى هذا الأمل فى كتابه « الأمير » والذى اعتبره

الملك عمانوئيل « إنجيلا » له على الرغم من مرور حوالى ثلاثة قرون على كتابته . وقد اشتدت هذه الرغبة القومية الملحة فى القرن التاسع عشر وأصبحت تجيش فى صدر كل إيطالى من الرجل العادى إلى أكثر الناس ثقافة ، وعبر الإيطاليون عن هذه الرغبة بوسائل مختلفة مثل تأليف الجمعيات التى جمعت أفرادا من الطبقات الشعبية ، والقيام بالثورات ، وتنظيم الجيوش لمحاربة العدو .

أما فى ألمانيا ، فقد نما الشعور القومى على يد فئة من الوطنيين المفكرين أمثال شتاين ، وهادنبرج ، وكذلك بفضل الكتاب والشعراء والأدباء الذين جعلوا ألمانيا قوة فى عالم الأدب والعلم ، ثم بفضل ظهور النظريات السياسية على يد هيجل الفيلسوف الكبير ، فقد بشر بنظرية خاصة للحكم وجدت قبولا عند البروسيين ، وهى الاعتقاد بأن الدولة بمثابة إله على الأرض ، وأن الحق يجب أن يدعم بالقوة ، بل إن الحق هو القوة ، ومن أجل تحقيق قوة الدولة يجب على الملايين من المواطنين أن يعدوا أنفسهم للعمل ، وتحمل الآلام والتضحية حتى بالنفس .

وقد قبل بسمارك هذه الدعوة وآمن بها ، ومن ثم استخدم جميع الوسائل الشريفة وغير الشريفة لتحقيق أغراض الدولة .

ولقد اتفق لإيطاليا ظهور شخصيات ثلاثة كانت إيطاليا فى حاجة إليها بعد قرون طويلة من الانقسام ، وهم : ما تزينى الذى اشتهر بحماسته وعاطفته الوطنية ، وغاريبالدى الذى امتاز ببطولته الحربية ، وكافور الذى ضرب مثلا عاليا فى الحنكة السياسية ، حتى ليقال إن ما تزينى كان روح الوحدة الإيطالية ، وغاريبالدى ساعدها ، وكافور رأسها المفكر .

أما ألمانيا فقد ظهر فيها بسمارك الذى جمع بين الدهاء السياسى والحماسة

القومية والمهارة الحربية ، وساعدته كل هذه الصفات على أن ينقذ ألمانيا من الانقسام ويلم شملها ، ويجعلها من أقوى الدول على مسرح السياسة الأوربية .

أما فى مصر فقد انبثقت ثورة ٢٣ يوليو « تموز » ١٩٥٢ ، وبدأت معالم القومية العربية تتحدد على أثر دراسة الماضى والحاضر والمستقبل .

وكان الهدف العظيم للقومية العربية هو تحقيق الوحدة . . الوحدة الحقة الشاملة بين أجزاء الوطن العربى جميعا لأن الوحدة هى سبيل القوة وسبيل الرقى، وهى الطريق الوحيد لصنع كيان عربى متماسك يستطيع مجابهة محاولات السيطرة والتحكم ويستطيع الوقوف أمام الأطماع الاستعمارية التى تبغى استنزاف الثروات الهائلة الكامنة فى المنطقة العربية واستغلالها استغلالا لا يضع أية اعتبارات لصالح أصحاب هذه الثروات الأصليين أو لحقوقهم فى النمو والتقدم .

ولقد حاول الاستعمار دائما بكل وسيلة من الوسائل — حينما شعر أن أطماعه تقف دونها قوة العرب وتضامنهم وتصميمهم — أن يفتت الأمة العربية وأن يقضى على قوتها بتفتيتها . واستطاع الاستعمار فى فترة من الزمن أن يحقق أهدافه ويحقق أغراضه ، ولكنه لم يستطع أن يقضى على القوة الكبرى التى تسكن فى قلب كل عربى ، وكان خوف قوى الاستعمار الغربى من نمو حركة القومية العربية من أكبر الأسباب التى دفعت بريطانيا إلى إعطاء وعد بلفور المشئوم لتقوم فى فلسطين دولة لليهود تحقق على حد تعبير تشرشل Churchil فاصلا على الأرض العربية يحجز مصر بإمكانياتها عن المشرق باحتمالاته ومركزا لحماية المصالح البريطانية إذا ما اضطرت بريطانيا وحلفاؤها إلى الجلاء عن البلاد العربية .

ولقد اغتصبت الصهيونية قطعة عزيزة من الأمة العربية ولم تنته جريمتها بذلك . . بل ما فتئت تعتدى على حدود الدول العربية وتثير الاضطرابات

والقلاقل وتحيك المؤامرات والفتن الأمر الذى يهدد سلام وأمن الأمة العربية . إن لم يهدد سلام وأمن منطقة الشرق الأوسط كلها وبالتالى العالم أجمع . وعلى هذا فإن قيام إسرائيل هو أثر مباشر من آثار الصدام بين حركة القومية العربية وبين قوى الاستعمار الغربى الأنجلو أميركى .

الحركة الصهيونية

وترجع الحركة الصهيونية إلى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وهى تستند حسب مايزعمون إلى أسانيد من التوراة فيها إشارة إلى عودة اليهود إلى وطنهم وإعادة بناء هيكل سليمان . ولقد أتيت على هذا الزعم تفنيدا بأسس علمية بحتة فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

ومن ثمّ فإن استمرار عويلهم أمام حائط المبكى وهو الأثر الباقى من أطلال هيكل سليمان منذ نفيهم وتغربهم فى الشتيات إنما هو إفصاح عن العاطفة المتأججة فى نفوسهم وإفصاح لعصيانهم الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ونبذهم لكلمات الله وراء ظهورهم .

وقد قوى هذه الدعوة إلى الصهيونية انتشار النزعات القومية فى أوربا مما دعا الصهيونيين إلى الدعوة إلى إنشاء وطن قومى لليهود يجمع شملهم ، ومع هذا فإن الروح الدينية ما برحت أن أصبحت الباعث الأول والدافع الأكبر للصهيونية .

والصهيونية مذهب دينى فى ثوب وطنى . وقد خطت الفكرة الصهيونية الخطوة الأولى فى حيز التنفيذ عام ١٨٨٢ . ثم انعقد أول مؤتمر صهيونى عام ١٨٩٧ وتمّ فيه التخطيط للدعوة الصهيونية ، فارتبط المؤتمر الأول بالاضطهاد الأول الذى أصابهم فى روسيا . وارتبط المؤتمر الثانى بالعداء الفرنسى لليهود إبان « قضية دريفوس » .

التخطيط اليهودى العالمى :

دفعت التعاليم اليهودية — فى التوراة « العهد القديم » وفى التلمود — اليهود إلى السعى الدائب من أجل السيطرة على العالم وتسخيره لخدمة الشعب المختار ! !

ومن أجل تحقيق أهدافهم أنشأوا الجمعيات والمنظمات التى تولت أمر التخطيط ورسم الطريق أمام اليهود للوصول إلى أهدافهم . ويكون اليهود فى العالم حكومة مركزية مستورة يديرها ٣٠٠ ثلاثمائة عضو ممن أطلقوا على أنفسهم لقب حكماء صهيون ، ينتخبون دائما منهم شخصا يعتبرونه ملكا وارثا للملك داود وسليمان، ولا يعلنون عن اسمه ، وكلما مات ملك عينوا بدلا منه من بين أحبار اليهود ، ولا يخفى اليهود خططهم هذه ، واعترف بها كثير من كتابهم ورجال الدين والمال فيهم . وقد ذكر المليونير راثنو Walter Rathenau فى جريدة ألمانية The Wiener Press بتاريخ ٢٥ / ١٢ / ١٩٠٩ : « هنالك ٣٠٠ ثلاثمائة رجل كل منهم يعرف زملاءه الآخرين ، يتحكمون فى مصير أوربا ، إنهم ينتخبون خلفاءهم من الأشخاص المحيطين بهم ، وهؤلاء اليهود يملكون الوسائل التى تمكنهم من القضاء على أية حكومة لا يرضون عنها» .

وقد عمد اليهود إلى تنفيذ خطط عديدة للوصول إلى أهدافهم ، ولم يبق شىء من جميع خططهم سراً من الأسرار ، إذ كشفت هذه الخطط خطبة ألقاها الحاخام Rischon فى اجتماع سرى عقده اليهود على قبر قديسهم « سيمون بن يهودا » فى مدينة براغ سنة ١٨٦٩ ، ونشرت الوثيقة فى مجلة Cantemporain بتاريخ ١ / ٧ / ١٨٨٠ من قبل السير جون ردكليف(١) .

---

(١) The Key to the mystery — Christian Nationalist, Missouri , 1938 .

ومن هذه الوثيقة تتكشف أسرار خططهم ووسائل الدعاية ومما جاء فيها :

« لقد وكل آباؤنا للنخبة من قادة يهودا ، أمر الاجتماع مرة على الأقل فى كل قرن ، حول قبر أستاذنا الأعظم الرابى المقدس سيمون بن يهودا ، الذى تعطى تعاليمه للصفوة من كل جيل سيطرة على جميع العالم ، وسلطة على نسل يهوذا .

« وها قد مضى ثمانية عشر قرنا على حرب يهوذا من أجل تلك السيطرة التى وعد بها أبراهام ، والتى اغتصبها الصليب ، ورغم أن شعب اليهود قد ديس بالأقدام ، وأهين من قبل أعدائه ، وكان على الدوام مهددا بالموت والاضطهاد والاغتصاب وجميع أنواع الشدائد فإنه لم يستسلم ، وإذا كنا قد انتشرنا فى جميع أنحاء العالم فذلك لأن العالم كله ملك لنا » .

لقد انطوى اليهود على حب الانتقام ، وباتوا على مر الأجيال المتعاقبة يناوئون الشعوب التى تحتضنهم وترعاهم ، ولا يتورعون عن الاعتراف بهذه الروح الشريرة ، فما جاء فى تلك الوثيقة فى هذا الصدد :

«ومنذ قرون عديدة حارب حكماؤنا الصليب بشجاعة وعزيمة لاتغلبان . إن شعبنا يخطو شيئا فشيئا نحو القمة ، وفى كل يوم تزداد قوتنا ، نحن نملك آلهة هذا العصر . تلك الآلهة التى نصبها لنا هارون فى الصحراء . إنه العجل الذهبى الذى عبدناه ، والذى يعتبر اليوم إله العالم أجمع » .

ومن هنا تتكشف خططهم ووسائلهم الدعائية وتصميمهم على تحقيق أهدافهم ، فما جاء فى تلك الوثيقة فى هذا الصدد :

« ومنذ اللحظة التى نصبح فيها المالكين الوحيدين للذهب فى العالم فإن

القوة الحقيقية تصبح ملك أيدينا ، وعندئذ نحقق الوعود التى قدمت لأبراهام » .

١ — فالصهيونية والصهيونيون يملكون شركات الإعلان ، ووكالات الأنباء العالمية ، فتحسب الصحف الكبيرة قبل الصغيرة حسابهم ولا تتورع عن خدمتهم ، أو السكوت عنهم على الأقل وكتمان سيئاتهم ومآربهم .

٢ — وهم يملكون دور النشر ، ودور الطبع ، ودور التأليف والترجمة، فيحسب المؤلفون والصحفيون والإذاعيون حسابهم ، وفى هذا الصدد تكشف الوثيقة بقولها : « إذا كان الذهب هو القوة الأولى فإن الصحافة هى القوة الثانية ، ولكن الثانية لا تعمل من غير الأولى ، فعلينا بواسطة الذهب أن نستولى على الصحافة وأن نبذل المال لمن نجدهم على استعداد لتقبل الرشوة ، وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهدين إلى تحطيم الحياة العائلية والأخلاق والفضائل » .

٣ — وهم يملكون أكبر الجوائز العلمية العالمية ، من قبيل جائزة نوبل بالسويد ، وجائزة بولتايزر بالولايات المتحدة الأمريكية ، لأن نوبل نفسه كان يهوديا ، ولجان التحكيم فى الولايات المتحدة لا تخلو من اليهود أو من يسيطر عليهم من اليهود بوسائل الإعلام .

٤ — ويملك الصهيونيون أسهما وافرة فى شركات السينما والتليفزيون، وينتسب إليهم عدد كبير من الممثلين والممثلات ونقاد السينما والمسرح والتليفزيون .

والدليل قائم بين أيدينا فى فيلم « الإنجيل » (١) .

---

(١) مجلة الكواكب العدد ٨١٠ فى ١٩٦٧/٢/٧ بعنوان «امنعوا هذا الفيلم» للمحقق توفيق حنا .

فالفيلم مخطط استعماري أنتجه صهيونيون قادرون على كل شيء وهدفوا إلى تعميق المفاهيم بأن ملك إسرائيل يمتد من النيل إلى الفرات وأن الذبيح الذى قدمه إبراهيم والذى افتداه الله يقولون إنه إسحق .

فالفيلم بوضعه دعاية صهيونية وإثارة فتنة فى البلاد العربية عمن هو الذبيح: أهو إسماعيل أم إسحق؟ وما يترتب على هذا من ميراث لأرض الميعاد.

ثم هدف الصهيونية فى نشر هذا الفيلم باختيار التوقيت قبل العدوان على الجمهورية العربية المتحدة فى ٥/٦/١٩٦٧ لضمان صداقة الشعوب الإمبريالية لها ومساندتها لإسرائيل فيما إذا وقع اعتداء على البلاد العربية .

٥ — وتكشف الوثيقة عن جانب خطير بأن « الذهب أعظم قوة فى عالم البشرية ، إنه قوة وفى الوقت نفسه هبة . إنه يؤمن جميع أنواع السعادة ، تلك التى يخشاها المرء ويشتهيها فى آن واحد . هنالك يكمن السر ، وعمق المعرفة بالروح التى تحكم العالم، هنالك تملك المستقبل » .

٦ — « كانت القرون الأولى الثمانيةعشر التى خلت لأعدائنا ، ولكن القرن الحالى والقرون المقبلة ستكون لنا ، ويجب أن تكون لنا نحن شعب يهوذا ومن المحقق أنها ستكون لنا . إن عصور الاضطهاد والعذاب ، والأزمنة السوداء المؤلمة التى تحملها شعب يهوذا بصبر وشجاعة قد مرت بسلام ، وشكراً لتطور المدنية بين المسيحيين وتقدمها . وهذا التقدم هو الدرع الذى نختبىء من ورائه لنعمل بثبات وبسرعة خاطفة من أجل إزالة الفجوة التى مازالت تفصلنا عن غاياتنا النهائية » .

ويمتلك الصهيونيون من الوسائل السافرة والمقنعة الوسائل الفنية والمالية للتأثير على الساسة والنواب المرشحين لمراكز الزعامة والمتنازعين على الأصوات فى مواسم الانتخابات . والوثيقة تحفز بنص العبارة :

٧ — « علينا أن نتسلل إلى جميع جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية . لابد أن نتسلم مناصب رئيسية فى القضاء والوزارات الرئيسية والجامعات ، وأقسام الفلسفة منها والقانون والموسيقى والطب والاقتصاد السياسى ، والآداب والعلوم ، وأهمها جميعاً الطب لأن الطب يطلع على أسرار العائلات ويتغلغل فى صميم الحياة البشرية فى حياة أعدائنا المسيحيين ويقبض على كل شىء لديهم الصحة والجمال » .

وليس استخدامهم لوسائل الجمال « النساء » فى هذه المعارك وما إليها بأقل من استخدامهم لوسائل المال :

٨ — «علينا أن نشجع الزواج من المسيحيات . ولن نخسر شيئاً من جراء ذلك الاختلاط بل لابد أن نكون الرابحين . وقد توصلنا إلى المصاهرة بالأسر المسيحية الكبيرة مما يمكننا من السلطة ومقاليد النفوذ فى جميع الدوائر . فلنشجع إذن الزواج العرفى يعقد أمام السلطة المدنية ولنحارب الزواج الدينى الذى يعقد فى الكنيسة » .

ثم تسترسل الوثيقة بالتوصية فتقول :

٩ — «شعبنا محافظ ، مؤمن متدين ، ولكن علينا أن نشجع الانحلال فى المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر ، وتضعف الروابط المتينة التى تعتبر من أهم مقومات الشعوب ، فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كيفما نريد » .

هذه بعض أسرار مقررات صهيون ، ومن تعاليم التلمود ماهو أدهى :

« يجب أن نزوج بناتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء ، وأن ندخل أبناءنا فى الديانات المختلفة ، وأن تكون لنا الكلمة العليا فى الدول وأعمالها ، فنفتنهم ونوقع بينهم ، وندخل عليهم الخوف ليحارب بعضهم بعضا وفى ذلك كله نجنى الفائدة الكبرى » .

هـذه هى جوانب أعمالهم الدعائيـة وهى تقوم أساسا على أقوال

حكماء صهيون ، وتعاليم التلمود . والتوراة إلى جانب كتاب أنها مقدس هي سجل واف عن تاريخ إسرائيل . وبدراسة تحليلية لسفر استير[1] يتأكد لنا مدى تطبيقهم لتعاليم التلمود بزواج استير بالملك أحشويرش ملك فارس دون أن تخبره عن شعبها ولا عن جنسها ، وكان لجمالها الفتان ماجعل الملك يتوجها ملكة دون مناقشتها عن شعبها ولا عن جنسها ، وقد أدت دورها فى نجاة بنى إسرائيل من مؤامرة حبكها ضدهم هامان رئيس وزراء الملك أحشويرش بل أكثر من هذا استطاعوا أن ينتقموا من أعدائهم .

تضافر القوى التبشيرية مع قوة الدعوة الصهيونية .

لعلى فى كتابى « المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى الإسلامى » وهو خلاصة تجارب وخبرات فى العمل التبشيرى تحت لواء سنودس النيل الإنجيلى متضافرا مع الإرسالية الأمريكية فى مصر والسودان ، لعلى فى كتابى هذا قد كشفت وقائع وحقائق تؤكد أن التبشير والاستشراق ما هما إلا عيون وآذان صاغية وعقول مستنبطة للإمبرياليـة . والإمبرياليـة تعلم علم اليقين أن الشعوب العربية لابد أن تتحرر وتمارس حقوق سيادتها واستقلالها وعلى الاستعمار أن يحمل عصاه ويرحل . فلا بد من ضمانات لتثبيت وجودها واستغلال خيرات هذه الشعوب . وواتتها فرصتها فى المطامع الصهيونية نحو وطن قومى لليهود فى فلسطين .

وفى القديم اتخذ الاستعمار طريقه إلى الشعوب الآسيوية الإفريقية بالشكل الصليبى فتكتل المسلمون فى حرب دينية روحية وانتصروا وحرروا الشام من الصليبيين وأخذوا حذرهم منهم . وفى أيامنا هذه يختفى الاستعمار أو بالحرى الصليبية وراء الصهيونية وبهذه اللعبة الجديدة جعلوا من الصهيونية الإسفنجة لامتصاص الثورات العربية والانتفاضات الشعوبية الإسلامية .

(١) انظر استير ٢ : ٨ — ١١ ، ١٦ — ١٧ ، واستير ٧ : ٤ ، ٥

إن تضافر هذه القوى يتلاقى فى قمته بالتعاون الوثيق بين الإمبريالية والصهيونية، ويتضح أمر المبشرين (١) المحترفين فيما يلفقونه على الأديان التى ينكرونها ، ويجندون أنفسهم على حد زعمهم لهداية أصحابها ، فإن هؤلاء المبشرين المحترفين مهرة فى فنون الدعاية ، مدربون على تمويه الواقع وتلبيس الحق بالباطل ، فلا يشق على عقولهم ولا على ضمائرهم أن يعرضوا أحوال الناس على الصورة التى تنفر الرأى العـــام العالمى ، ولا سيما المتعصبون المستعدون للنفور سلفا .

ولا أدل على ذلك من تصريح جـــان بول سارتر الفيلسوف الوجودى فى المؤتمر الصحفى الذى عقد فى ١٤/٣/١٩٦٧ عن تقييمه للأعمال الفدائية فى فلسطين من « أنه لا يستطيع أن يبدى رأيا فيما يفعله الفدائيون هناك إلا إذا رأى الوجه الآخر للصورة » .

ورأى الوجه الآخر للصورة فذهب إلى إسرائيل واتخذ قراره الذى نشرته جريدة الجمهورية فى ٣١/٣/١٩٦٧ قال : « إن حق إسرائيل فى الوجود يجب أن يكون نقطة البدء فى أى حـل للمشكلة الفلسطينية » ، ولا شك أن هذا التصريح يخالف الحـق والعدل بالنسبة لقضية فلسطين ، ويفضح سلوك هذا الفيلسوف تجاه « حق مصير أمة » ، وإن تنحيته للقيم الإنسانية وميثاق الأمم المتحدة فى ميزانه لقضية فلسطين إنما تؤكد تواطؤه مع الصهيونية التى يتفق معها روحاً وفـكراً فى فلسفته التى تلغى الأديان .

وإننا أمام أزمة الأخلاق هذه وأزمة الضمير يعوزنا استخراج ميزان عدل لما ينشره الغربيون فى عصرنا هذا ولتمييز الخبيث من الطيب ، وغير المخلص من المخلص .

---

(١) راجع « المبشرون والمستشرقون فى العالم العربى الإسلامى » للمؤلف .

ويعوزنا نحن الشرقيين المفترى عليهم أن نحسن الوزن بهذا الميزان لنفهم ما يقال كما ينبغى أن يفهم ، وإذا وقفنا عند حد الفهم فقد وصلنا إلى نتيجة سلبية قصاراها أن ننفى ما يقال .

وفى المعركة المصيرية التى نواجهها ونحن أصحاب الحقوق فيها ألزم لنا من هذه النتيجة السلبية أن نقول نحن ما يثبت الحق ، وما يدفع الشبهات ، وما ينبغى أن يقال عن العرب وعن حقوق العرب السياسية وعن حقوقهم فى السيادة وعن أرضهم المسلوبةفلسطين . ومن تعانق القوى الاستعمارية الممثلة فى التبشير والاستشراق مع قوة الدعوة إلى الصهيونية تتمخض فلسفة فى غاية الخطورة هى فلسفة التمويه على الحق بالباطل والزيف ، بإلباس الباطل صورة الحق .

لقد استطاع زعماء الصهيونيين خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ السعى لإنشاء كيان خاص بهم فى فلسطين ، وركزوا نشاطهم فى الدوائر السياسية البريطانية حتى تم لهم ما أرادوا فى تصريح بلفور فى ١٩١٧/١١/٢ متخذين من اضطهاد دول أوربا الشرقية لهم سببا يحفزهم للتجمع .

كما سعوا خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ — ١٩٤٥ إلى دعم هذا الكيان بإنشاء دولة لهم فى فلسطين ، وركزوا أكثر نشاطهم فى الدوائر السياسية الأمريكية مستغلين اضطهاد النازية لهم فى أوربا من ناحية وتشريد من بقى منهم من ناحية ثانية سببا ، وكان لازدياد نفوذهم فى الدوائر السياسية فى البيت الأبيض لحكومة الولايات الأمريكية المتحدة الأثر القوى الذى حقق لهم ما أرادوا بإنشاء دولة تلم شمل عصاباتهم .

ومن تنظيماتهم السياسية ، من الوكالة اليهودية ومن الصهيونية العالمية ما مكنهم من التغلغل والسيطرة على واشنطن حتى أن رؤساء الولايات الأمريكية المتحدة كانوا يتسابقون لاكتساب أصوات اليهود فى الانتخابات

لرئاسة الجمهورية وأصبحوا مسخرين للاستجابة إلى مطالبهم حتى ولو كان على حساب حق تقرير المصير للشعوب النامية ، فعندما تنافس الحزبان الجمهورى والديمقراطى فى سنة ١٩٤٥ تسابقا إلى تأييد اليهود ، ولما تولى ترومان منصب الرئاسة أصبح أشد من سلفه روزفلت حماسة لمشكلة اليهود حتى ألح فى سبتمبر سنة ١٩٤٥ على إنجلترا بأن تفتح أبواب فلسطين لقبول مائة ألف مهاجر يهودى جملة واحدة كحل لمشكلة اليهود المشردين فى أوربا وحتى يصبح اليهود فى أقرب وقت ممكن أكثرية فى فلسطين فيتسنى لهم بمعونة أمريكا تحويلها إلى دولة يهودية .

الكتاب الصهيونيون

لقد كانت الدعوة لاندماج يهود العالم فى المجتمعات التى يعيشون فيها العدو الأول للصهيونية ، تماماً كما كانت العدو الأول للاسامية . ولهذا فإن العنصرية فى غياب الوحدة القومية الطبيعية ، لم تكن جوهر الفلسفة الصهيونية فحسب بل ووسيلتها إلى الوجود أيضاً .

وإنها لمفارقة تاريخية تدعو إلى التأمل أن نلاحظ هذا التطابق الغريب بين المفهوم العنصرى للصهيونية والمفهوم العنصرى للنازية ، وهو تطابق فكرى أدى إلى استعمال أساليب العمل نفسها التى تجلت فى الاضطهاد العنصرى الذى مارسته الصهيونية قبل قيام إسرائيل وبعده .

كذلك حملت الصهيونية ، منذ نشأتها ، تلك النزعة الاستعلائية التفوقية التى كانت دوما عبر التاريخ الوليد الطبيعى للفلسفة العنصرية . إن رفض الاندماج اليهودى بالمجتمعات الأخرى لم يكن مجرد نتيجة لأشواق قومية لا واقعية ، بل كان أيضاً ، وربما أساساً ، تجسيداً لتلك النزعة الاستعلائية التفوقية . وقد سخرت الصهيونية اليهودية لتأكيد وترسيخ هذه النزعة مطورة

فكرة « الشعب المختار » إلى معنى جديد كليا عبر عنه « آهاد هاعام » فى معرض حديثه عن التكتل العنصرى اليهودى بقوله : « إن أمة إسرائيل كأمة متفوقة وهى النسخة الحديثة للشعب المختار — تستطيع بهذه الطريقة أن تصبح نظاماً حقيقياً » . ولهـذا تبحث الأمة اليهودية « عن مكان مستقر تعيش فيه كى تتاح لها ، مرة أخرى ، الفرصة لأن تنمى عبقريتها الخاصة وتحقق رسالتها كأمة متفوقة » .

وفى ذلك الوقت الذى كان الاستعمار البريطانى يبلور فيه خططه المبكرة بشأن فلسطين ، ويفتش عن أداة لتحقيقها ، كانت الصهيونية قـد ظهرت للوجود وخطت بعض الخطوات فى طريق تبلورها السياسى من موسى هيس . . إلى ليو بنسكر . . . إلى ثيودور هرتزل ثم حاييم وايزمن .

وقد طرحت الصهيونية نفسها منذ البدء مستغلة الاضطهاد الذى كان يعانيه اليهود فى بعض البلدان من أوربا الشرقية ، كمحاولة سياسية منظمة لإعطاء حل جديد وشامل لجميع يهود العالم .

ففى سنة ١٨٩٢ كتب ليوبنسكر أحد زعماء الصهيونيين الأوائل فى كتابه «التحرير الذاتى » يقول:« إن العالم يحتقر اليهود لأنهم لايشكلون أمة. والحل الوحيد لهذه المشكلة هو فى خلق قومية يهودية يعيش فيها الشعب فى وطنه الخاص » .

وفى سنة ١٨٩٩ قال دافيد تريتش : « يجب التمسك بفكرة فلسطين الكبرى على أن تكون البداية متركزة على الأطراف . هذه هى الصهيونية الواقعية الممكنة » .

ويقول ثيودور هرتزل : « إن فلسطين التى نريد هى فلسطين داود وسليمان » .

فالصهيونيون يتمسكون بزعمهم أن أرض الميعاد هى « فلسطين داود وسليمان » لأنها هى الأرض التى قامت فيها دولتهم سنة ١٠٠٠ ق . م ، بعد أن تاهوا فى الصحراء .

ومن فلسطين هذه خرجت أسس دعوة التوحيد التى تبناها اليهود ، وفيها تولى كثير من حكامها اليهود وملوكهم الذين رفعوا راية اليهودية من أمثال داود وسليمان .

وفى هذا يقول ثيودور هرتزل : « إن أرض سيناء ، والعريش هى أرض اليهود العائدين إلى وطنهم » . بل للوصول إلى فلسطين يقـــول ثيودور هرتزل : « إن قبرص ليست سوى خطوة إلى فلسطين » .

ويقول دافيد تريتش : « إن قبرص هى جزء من فلسطين الـكبرى » .

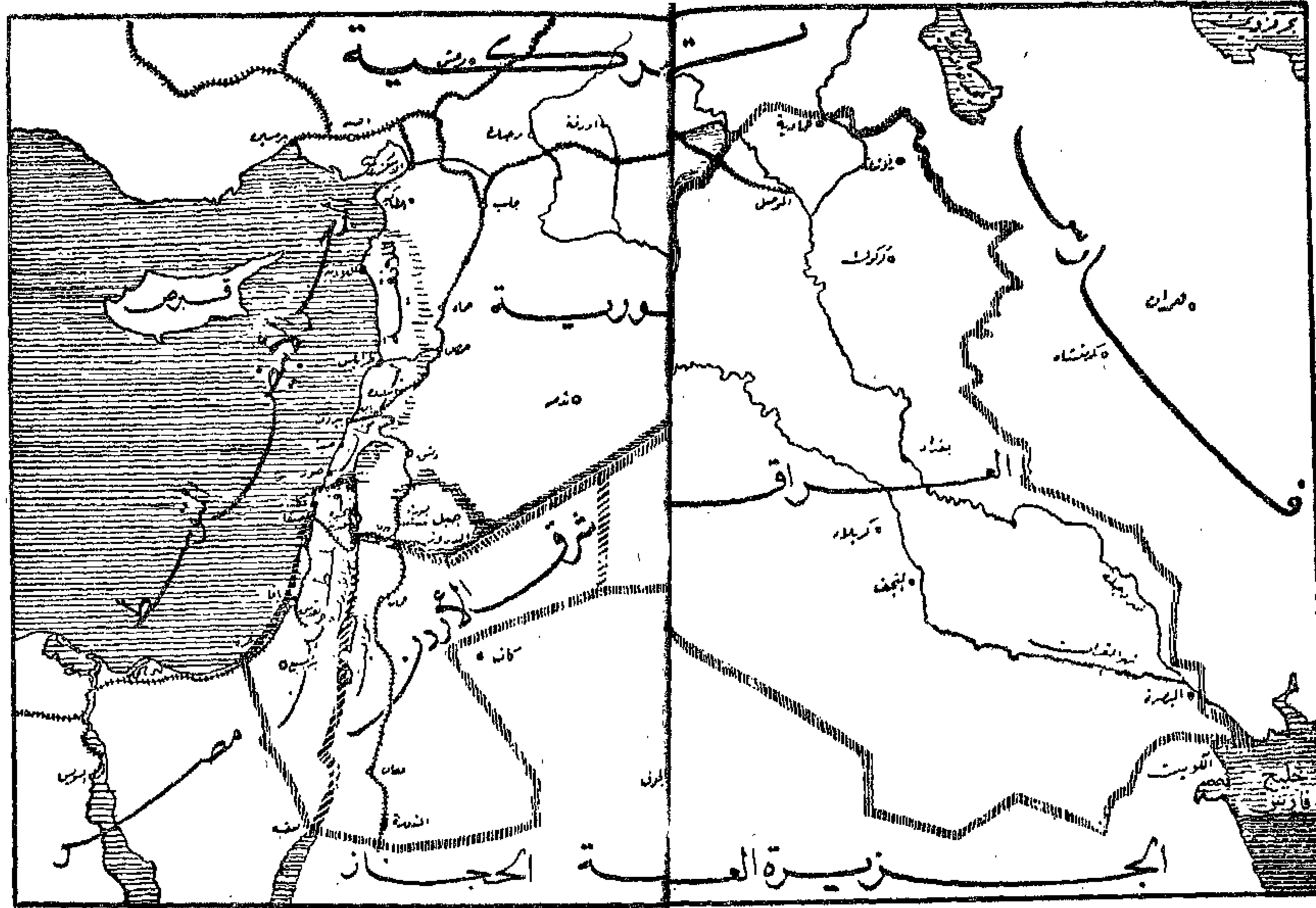
فالصهيونيون لم يـكتفوا بفلسطين وحدها ، وإنما أضافوا إليها شبه جزيرة سيناء القائمة فى شمال شرق مصر ، والتى تصل آسيا وأفريقيا ، وكانت حجتهم فى ذلك أن هذه المنطقة نزلت فيها تعاليم ومبادىء الدعوة اليهودية على موسى عليـــه السلام .

وفى سيناء صاهر موسى يثرون كاهن مدين ، وفى سيناء دفن موسى : « مات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب ودفنه فى الجواء فى أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم » (١) . وعلى ذلك فإنهم يضيفون سيناء إلى فلسطين لتصبحا معاً أرض الميعاد .

وقد قال هرتزل داعية الصهيونية ومنظم حركتها وهو يسجل بعض

---

(١) تثنية ٣٤ : ٥ — ٦ .



مناطق الانتداب البريطاني والفرنسي
في سورية وفلسطين والعراق

الملاحظات فى مذكراته حول محادثاته الأولى مع السلطات العثمانية : « إن الحكومة العثمانية طلبت أربعين مليون فرنك ، وعرضت أن تعطينا بالمقابل امتياز خط حديدى بين البحر المتوسط والخليج العربى بالإضافة إلى حق إقامة جاليات ومستعمرات فى فلسطين ضمن مساحة قدرها سبعون ألف كيلو متر مربع » .

والمعروف أن مساحة فلسطين فى عهد الانتداب البريطانى لم تكن تتجاوز ٢٦ ألف كيلو متر مربع ، وعليه فيبدو أن هرتزل كان يطلق اسم فلسطين على أرض تفوق كثيراً مساحة فلسطين المعروفة .

ويشير هرتزل — بعد أن يذكر محادثاته مع البرنس هوتلو مستشار القيصر الألمانى غليوم الثانى — إلى المطالب التى سوف يتقدم بها إلى الدول بقوله : « المساحة من نهر النيل إلى الفرات . لابد من فترة انتقالية لتثبيت مؤسساتنا يكون فيها الحاكم يهودياً . . . وما إن تصل نسبة اليهود إلى الثلثين حتى تفرض الإدارة اليهودية نفسها سياسياً » .

أما مطامعه فى سيناء فتعود إلى أوائل هذا القرن إذ طرح هرتزل أمام اللورد لانسدون وزير خارجية بريطانيا حينئــــذ فكرة إقامة جاليات ومستعمرات يهودية فى وادى العريش وسيناء .

وقد رحب لانسدون بالفكرة وأبدى استعداده لتوصية اللورد كرومر بتسهيل مهمة مبعوث هرتزل للاستطلاع ، وأطلق هرتزل على سيناء اسم « فلسطين المصرية » . وفى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٢ سجل الخواطر التى راودته عن كيفية رى الصحراء بواسطة مياه النيل .

ومع أن جهود هرتزل فى استعمار سيناء قد فشلت فإن الحركة الصهيونية

لم تصرف النظر عن هذه الأرض العربية ، ففى ١٥ فبراير «شباط» عام١٩١٧ نادى بن جوريون ، وبن زفى بضرورة ضم العريش للوطن القومى اليهودى . فالمطامع الصهيونية لم تتخل عن سيناء وامتداد «دولة إسرائيل» حتى الضفة الشرقية لقناة السويس . وامتازت المطامع الصهيونية التوسعية بين سنتى ١٩١٧ ، ١٩٢٠ بالتركيز على المطالبة بالأراضى الضرورية الزراعة والرى والصناعة والمناطق التى تكفل المنعة العسكرية والسيطرة الاستراتيجية على مداخل فلسطين الرئيسية . وتمسكت الحركة الصهيونية بضرورة ضم شرقى الأردن إلى الوطن القومى ، فما إن أعلنت الإدارة العسكرية البريطانية فى فلسطين فى أكتوبر «تشرين الأول» عام ١٩١٨ إقامة إمارة شرقى الأردن حتى عارضت الحركة الصهيونية إنشاءها وظل زعماؤها يصرون على ضرورة[1] الحصول على شرقى الأردن حتى خط سكة حديد الحجاز .

وقال الدكتور حاييم وايز من — بعد إعلان قيام إمارة شرقى الأردن — إن تدفق المهاجرين اليهود إلى فلسطين هو الوسيلة إلى التوسع فى شرقى الأردن .

وتمتد أطماع الصهيونية إلى سهل حوران وجبل الشيخ ومنطقة دمشق والرقعة الواقعة بين دمشق والحدود السورية اللبنانية .

ومطامع الصهيونية لا تنحصر فى ضم سيناء وضم شرقى الأردن ورقعة كبيرة من سوريا كما تقدم ، بل إنها تطمع كذلك فى منطقة لبنان الجنوبى لوجود منابع نهر الأردن ومجرى نهر الليطانى ومصبه فيها . . فضلا عن أهميتها الاستراتيجية والعسكرية للدولة الصهيونية .

---

(١) سيأتى دور شرقى الأردن فى الحديث عن تحليل الانتداب البريطانى فى الباب الثالث .

إن الاعتداء الإسرائيلي على الجمهورية العربية المتحدة في ٥ يونيو « حزيران » ١٩٦٧ واحتلالها لمناطق عربية تحاول البقاء فيها تحقيقاً لأطماعها التوسعية في الأقطار العربية كان وفقاً لخطة محكمة أعدها قادة الحركة الصهيونية منذ نشأتها وقبل وعد بلفور وعملوا على تنفيذها على مراحل قبل وبعد قيام إسرائيل .

وهكذا نشأت الحركة الصهيونية كحركة سياسية تهدف إلى تحويل اليهودية من مجرد دين إلى قومية تتجسد في دولة تجمع جميع يهود العالم في وطن قومي خاص .

وكانت هذه الدعوة غريبة تماماً عند يهود العالم حتى أواخر القرن التاسع عشر حيث كانت الأكثرية اليهودية تعتبر اليهودية ديانة سماوية لا رابطة سياسية ، وترى أن حل المسألة اليهودية هو في اندماج وذوبان اليهود كمواطنين في المجتمعات التي يعيشون فيها . لذلك لم تصادف تلك الدعوة صدى مقبولاً بل استقبلت على العكس ، من اليهود والعالم على السواء ، بالاستغراب والرفض . ونظر إليها كرد فعل غير متوازن لاضطهاد اليهود في بعض دول شرق أوربا وكإفراز خيالي على هامش جموع عصر القوميات .

والواقع أن اليهود قد نالوا حقوقاً سياسية في البلاد التي استوطنوها ، ففي فرنسا استفادت اليهودية كثيراً من مبادئها التحررية ، وقام رجال الثورة : ميرابو ، والأب غريغوار ، وسانت إتيان ، يقاتلون من أجل بسط ظل المساواة والأخوة على الجميع . وقد أكد هذه المبادئ الثورية كليرمون تونيير أحد أعضاء المجلس التأسيسي بالكلمات التالية : «إننا لا نمنح شيئاً لليهود كشعب ونمنح كل شيء لليهود كمواطنين . . . » ، وهكذا نالت اليهودية المساواة التامة في فرنسا .

وفى عام ١٨٧٤ نال اليهود فى إنجلترا وهولنـدا وألمانيا وبلجيكا والدانمرك والنرويج كامل حقوقهم الدينية والسياسية .

وفى أمريكا ينال كل مواطن حقوقاً سياسية كاملة ، فالقوانين الأمريكية لا تعترف بأكثرية تحكم أقلية ، وأقلية تخضع ، وإنما عاملت جميع المواطنين على قدم المساواة دون تمييز ، على نقيض من الإمبراطورية البيزنطية التى اعتبرت الطوائف غير المسيحية أقلية دينية وعوملت معاملة خاصة تتفق ومعتقداتها الدينية .

بينما ظل يهود أوربا الشرقية يكافحون لنيل حرياتهم الدينية والسياسية أسوة بإخوانهم فى أوربا الغربية .

من الروسيا . . . اندلعت الشرارة الأولى للصهيونية كحركة سياسية تهدف لاستعادة مجد صهيون فى أرض الميعاد ، وراحت بذرة هذه الفكرة تترعرع فى نفوس غلاة اليهود من ذوى المطامع السياسية ، وفى عام ١٨٩٧ عقد هرتزل أول مؤتمر صهيونى فى مدينة بال بسويسرا على أثر الحملة المغرضة التى شنتها الصحف الفرنسية على دريفوس أثناء محاكمته وأدلى بتصريحه للمؤتمرين بقوله: «لست أنصحكم بأن تهاجروا إلى فلسطين فذلك خطر عليكم وعلى السكان الأصليين . ابتعدوا عن فلسطين واجتنبوها واختاروا لأنفسكم بلدا غيرها. ذلك خير لكم وأولى». وكان أن وضع كتابه الأول عن الصهيونية « دولة يهوذا » شرح فيه هدفها الأساسى كما تضمن خطة عمليـة مدروسة لتحقيق هدفهم سنة ١٨٩٥ .

وبعد مرور اثنتى عشرة سنة على مولد فكرة هرتزل الصهيونية عقد المجلس اليهودى الأمريكى اجتماعاً اتخذ فيه قراراً بشجب كل محاولة ترمى إلى

إنشاء دولة يهودية ، وأعلن معارضته الشديدة للحركة الصهيونية السياسية مصرحاً بأن « صهيون كانت حقيقة وطننا العزيز فى الماضى . . ولكنها الآن ليست سوى ذكرى مقدسة وعزيزة على قلوبنا .. وهى ليست محط آمالنا فى المستقبل . إن أمريكا هى أرضنا وصهيوننا » .

وهكذا يبدو جليا أن الصهيونية كانت بالنسبة ليهود أمريكا الأولين حركة سياسية غريبة عنهم .

وقال مستر مورغانتو : « إن يهود فرنسا المستنيرين قد وجدوا صهيونا لهم فى فرنسا ، ويهود إنجلترا وجدوا صهيونا فى إنجلترا ونحن يهود أمريكا قد وجدنا صهيونا فى أمريكا . ولذا فأنا أرفض أن أسمى صهيونيا فإنما أنا أمريكى » . وقال : « إن الصهيونية هى أكبر خدعة فى تاريخ اليهودية لأنها تقوم على مجموعة من الأخطاء والأسس الفاسدة فهى مستحيلة التحقيق ، ولا ترتكز على أسس اقتصادية أو سياسية فضلا عن انعدام المثل الدينية » .

ورغم هذه المعارضة فقد أصر الزعماء الصهيونيون على رأيهم ، وواصلوا الجهد والإقناع ونجح هؤلاء وفى مقدمتهم وايزمن Weizmann وسوكولوف Soclov فى خداع الجماهير وتضليلها واستطاعوا أن يجذبوا إليهم عدداً من ذوى النفوذ وخاصة فى بريطانيا وأمريكا . حتى هرتزل المعارض الأول لفكرة « فلسطين » عاد واستسلم ووافق على قيام الدولة اليهودية فى فلسطين .

وبقيت الصهيونية فى حيز الكتابات المتفرقة والتجمعات الضئيلة المحدودة الأثر حتى استطاع أن يخطو خطوة إيجابية بعد عامين من إصدار كتابه « دولة يهوذا » ونجح فى عقد مؤتمر بال أول مؤتمر صهيونى عالمى سنة ١٨٩٧ فى مدينة بال بسويسرا وحضره ١٩٧ مندوباً من أمريكا وأوربا وتدارس المؤتمر الوسائل العملية الكفيلة بتحقيق هدفهم فى إعادة بناء «دولة داود الخامدة» وكان هرتزل

فى لباقته يرى وجوب الحصول على موافقة السلطان العثمانى لقيام دولة يهودية فى فلسطين وقال فى ذلك : « ليس لنا أن نبدأ شيئاً من أعمالنا الاستعمارية فى فلسطين قبل الحصول على ترخيص قانونى بدخولنا إليها » .

وهرتزل كان من الكتاب المتيقظين أمثال فولتير ، وجان جاك روسو رسل الثورة الفرنسية . فإن تصريحه باستئذان السلطان إنما لهدف الدخول معه فى مفاوضات والحصول منه على اتفاقيات وامتيازات كالتى حصل عليها الملك فرنسوا الأول ملك فرنسا من السلطان سليمان القانونى سلطان تركيا باسم حماية المسيحيين فى الشرق . لكنه أخفق فيما أراد . وعلى الرغم من معارضة يهود أمريكا للصهيونية فإن بعض اليهود النازحين من أوربا الشرقية حملوا معهم إلى أمريكا تقاليدهم وانعزاليتهم ، وسعوا لتطبيقها فى أمريكا ، فابتعدوا عن المواطنين الأمريكيين وعاشوا فى أحياء خاصة بهم ، كما اعتادوا أن يعيشوا فى أوربا .

وفى هذه الأحياء المنعزلة ، وبين فئة اليهود المتزمتة ، وجدت بذرة الصهيونية تربة خصبة لنموها ، فى حين راحت حركة الإصلاح تكافح هذا التيار الجديد الجارف .. تيار الحركة السياسية الصهيونية . وعندما أعلن وعد بلفور القاضى بإنشاء وطن قومى لليهود بفلسطين تفاوتت حرارة التأييد له :

فإن فئة من يهود أمريكا المحافظين شنت حملات شعواء على هذا الوعد ، بينما قبل دعاة الإصلاح من اليهود هذه الدعوة ورحبوا بالتعاون مع زعماء الحركة الصهيونية الجديدة منادين بجعل فلسطين ملجأ أميناً للجميع ومركزاً روحياً لليهود .

أما غلاة الصهيونيين من اليهود فقد تشددوا فى المطالبة بإنشاء وطن قومى يهودى بفلسطين .

وهكذا ظل الصراع سجالا بين الصهيونيين المتطرفين وبين المعتدلين من اليهود ، حتى كان عام ١٩٣٣ عندما شن هتلر حملته الاضطهادية التعذيبية على اليهود فى ألمانيا وبعض بلدان أوربا .

فانتهز زعماء الصهيونية هذه المناسبة وقاموا بحملة دعاية واسعة فى الأوساط اليهودية فى أمريكا وأوربا ، وكان من الطبيعى أن وقف عدد كبير من المنظمات اليهودية إلى جانب الصهيونيـة يؤيدها فى دعوتها لاغتصـاب فلسطين وطرد أهلها العرب .

والجدير بالذكر ، وفلسطين تعتبر جزءاً من جنوبى سوريا الطبيعية ، أن الغالبية العربية ولمدة ألف وثلاثمائة وثمان وستين سنة تعيش بسلام وطمأنينة ، وظلت طوال هذه المدة تتولى الإشراف على الأماكن المقدسة وتدعو بالإسلام كديانة توحيد إلى جانب المسيحية واليهودية[١] .

كان مؤتمر بال العالمى المنعقد سنة ١٨٩٧ نقطة تحول هامة فى تاريخ الحركة الصهيونية ، فقد سجل أول نجاح عملى للصهيونية فى بعض أوساط يهود العالم ، وحدد لها هدفها السياسى المباشر مؤكداً « أن هدف الصهيونية هو أن تخلق للشعب اليهودى وطنا فى فلسطين يحميه قانون عام » ، كما وضع البرنامج العام للاستعمار الصهيونى من ثلاثة خطوط رئيسية :

١ — تنظيم الحركة الصهيونية العالمية .

٢ — ثم تخطيط حركة الاستعمار الصهيـــونى فى فلسطين وتمويلها والإشراف عليها .

٣ — ثم إجراء الاتصالات والمفاوضات السياسية لتأمين الدعم السياسى العالمى لتحقيق هذه الأهداف .

---

(١) انظر الباب الثانى عن وايزمن والانتداب .

وهكذا وضعت فى أوربا الخطوط الأولى لأغرب وأفدح عملية اغتصاب استعمارى فى التاريخ الحديث ، من قبل أناس لم يروا فلسطين أو يطئوها من قبل .

وابتدأت الحركة الصهيونية تسير رحلة طويلة جريا وراء قوة دولية كبرى تؤيد فكرة الوطن القومى اليهودى .

وابتدأت الحركة الصهيونية رحلتها الأولى إلى الإمبراطورية العثمانية مقدمة إغراءات مالية كبيرة مقابل السماح بالهجرة وتأسيس المستعمرات فى فلسطين ، واصطحب ثيودور هرتزل المسيو فاميرى إلى السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠١ وعرض على السلطان مليونين من الجنيهات ثمنا لإجابة مطالبهم .

ولكن السلطان — رغم حاجته إلى المال فى ذلك الوقت — رفض مطالب اليهود ، فقد أحس بسوء نواياهم ، ورد على المسيو فاميرى ردا يعتز له العرب وحفظه اليهود فى قلوبهم.فقد جاء فى رسالة السلطان إلى هرتزل : « أنا لا أستطيع إعطاء كم قدما واحدة فى فلسطين ، لأنها ليست ملكى . . وعلى اليهود أن يحفظوا أموالهم لأنفسهم فقد يأخذون فلسطين هدية من أعدائنا ولكنهم لن يصلوا إلى هدفهم إلا على جثثنا » . ولم يكتف السلطان بذلك بل حرم على اليهود المقيمين فى فلسطين امتلاك أراض جديدة ، ووضع رقابة شديدة على الحدود الفلسطينية ، حتى يمنع تسرب أى يهودى إليها (١) .

---

(١) حدث هذا بعد أن تنبه السلطان إلى مآرب الصهيونية لكن كان قد تسلل باكورة الصهاينة إلى فلسطين عام ١٨٨٢ حين تمكن اليهودى المالى البارون ادمون دى روتشيلد من إقناع الحكومة العثمانيه بالسماح له بإنشاء بعض مستعمرات زراعية فى بعض الأماكن فى فلسطين وتأسست شركة « بيكا » للاستيطان ونشأت مستعمرات أربع للزراعة هى «ريشون ليزيون» و«حترون يعقوب» و«روشينا» و«بتاح تكفا» هذه المحاولة تحولت إلى دولة عام ١٩٤٨ .

ثم استأنفت الرحلة مسارها إلى عاهل الإمبراطورية الألمانية وعرضوا عليه إنشاء شركة لاستثمار الأراضى تعمل فى فلسطين تحت حماية الإمبراطورية الألمانية ، لكنه ارتاب فى صدق نواياهم فرفض مطلبهم . وفكر اليهود فى إنجلترا صديقتهم الحميمة وطلبوا منها مكاناً آخر غير فلسطين أى منطقة يحققون فيها فكرتهم ويقيمون دولتهم ، وعرض هرتزل على تشمبرلن استيطان اليهود فى قبرص أو مدغشقر أو أستراليا وهى من المناطق التى كانت خاضعة للنفوذ الإنجليزى ، وهنا ثار جدل كبير بين فريقى اليهود السياسيين والعمليين ، فكان السياسيون يرون الرضا بأى منطقة أخرى بينما أصر العمليون على فلسطين .

وأدركت حركة الصهيونية العارفة بمصالح الاستعمار البريطانى ونواياه مع اقتراب الحرب العالمية الأولى ، أن الاستعمار البريطانى هو القوة الوحيدة المهيأة لأن تشكل السند الفعال للحلم الصهيونى . وهكذا تخلت نهائيا عن محاولاتها اليائسة لدى الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية الألمانية واتجهت نحو بريطانيا مؤكدة لها باستمرار أن اليهود فى فلسطين سيكونون جزءاً لا يتجزأ من الإمبراطورية البريطانية .

وكان الحلفاء أكثر ولاء لليهود واهتماما بمصلحتهم . . إذ سرعان ما رحبوا باليهود ، ولم ينتظروا نهاية الحرب حتى كانت إنجلترا تعلن على لسان وزير خارجيتها بلفور التصريح[1] المعروف باسمه فى اليوم الثانى من نوفمبر « تشرين الثانى » ١٩١٧ والذى نص على أن حكومة إنجلترا تعتزم إقامة وطن قومى لليهود ، وهكذا ظهر غدر الإنجليز وممالأتهم للصهيونية وخيانتهم للعرب [2] .

---

(١) انظر الباب الثانى « روتشيلد وبلفور » .

(٢) كانت ممالأة بريطانيا للصهيونية استخفافا بزعماء العرب الذين ضيعوا البلاد فى سبيل مصالحهم الخاصة .

وفى عام ١٩١٤ أى قبل ثلاث سنوات من وعد بلفور ، كتب الدكتور حاييم وايزمن إلى رئيس تحرير جريدة المانشستر يقول : « من الممكن الآن أن نقول إنه إذا وقعت فلسطين فى دائرة النفوذ البريطانى ، وإذا شجعت بريطانيا بعد ذلك توطن اليهود هناك ، فإنه من الممكن أن نوجد فى تلك البلاد خلال ثلاثين عاما من الآن مليون يهودى أو أكثر يشكلون حرساً فعــالا لقناة السويس » .

هذه القــوة الاستعمارية الفريدة فى نوعهــا ، حملت منــذ نشوئها المبــكر فــكراً وعملا نزعة عدوانية سافرة عنصرية استعلائية لازمتها طيلة مراحل عملها وتجسدت كأوضح ما يــكون بعد ذلك فى الدولة الصهيونية إسرائيل .

ورأت الإمبريالية هذه النزعة العنصرية فى الصهيونية وبهؤلاء تشكل الضربة القاضية للإمبراطورية العثمانية المتداعية ، ورأت فيهم الفرصة لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية القديمة . وهكذا مدت بريطانيا يدها للصهيونية تنتشلها فلسفة وحركة ، لتبدأ وإياها فى إعداد فصول المؤامرة الــكبرى على فلسطين ، وظهرت قضية فلسطين فى حيز الوجود دوليا .

ولما وضحت الرؤية للصهيونيين كشفوا القناع عن مخططاتهم وأنهم منــذ نشأتهم قاموا على فــكرة اغتصاب فلسطين كاملة ، وطرد شعبها خارج حدودها . إنها لم تقم بقصد إيجاد مكان لليهود المضطهدين يعيشون فيه بأمان ، ولا حتى بهدف إيجاد تجمع يهودى فى فلسطين ، ولا حتى بقصد إقامة دولة يهودية على جزء من أرض فلسطين . إن الصهيونية التى فهمها البعض فى البداية على أنها مجرد رد على موجة اضطهاد اليهود ، سرعان ما سارعت إلى ملاشاة هذا الفكر

مؤكدة أن الهدف من حركة الهجرة والاستعمار هو جعل فلسطين وطنا قوميا يهوديا يجد تعبيره السياسى فى الدولة اليهودية الواحدة .

هـذا التصميم المبكر على اغتصاب فلسطين وإقامة إسرائيل نجسده فى الكتابات الصهيونية الأولى ، وفى قرار المؤتمر الصهيونى الأول العالمى فى بال سنة ١٨٩٧ ثم مؤتمر آخر فى بال سنة ١٨٩٩ ثم فى لنـدن ، وكان من نتائج هـذه المؤتمرات : إنشاء بنك يهودى برأس مال قـدره مليونان من الجنيهات تستخدم فى شراء الأراضى من عرب فلسطين .

وقد أصروا على فلسطين وطناً لهم وهـذا ما عبر عنه الدكتور حاييم وايزمن فى مؤتمر السلم العالمى بباريس عام ١٩١٩ حين أكد أن نظرة الصهيونيين لفلسطين هى أن تـكون يهودية تماما بقدرما إنجلترا إنجليزية .

وانعقد المؤتمر الصهيونى الخامس وصرح ماكس نوردو بقوله : « يدعى خصومنا أن فلسطـين غـير قادرة على استيعاب اليهود ، بل إنهـا قادرة على استيعاب ١٤ أو ١٥ مليونا من اليهود على أن يكون من الواضح أن فلسطين تشمل الأراضى المجاورة » .

وانعقد المؤتمر الصهيونى العشرون وصرح بن جوريون بقوله : « ما من صهيونى يقبل أن يتنازل عن أصغر رقعة من فلسطين » .

هذه التصريحات فى مزاعم الصهيونيين تستند عـلى قانونيتها بحسب مزاعمهم كذلك من التاريخ المقدس من التوراة .

فهم يقيمون مملـكة داود وسليمان من سنة ١٠٠٠ ق . م . إلى سنة ٩٢٧ ق . م حين اتسعت رقعتها وشملت سيناء وشرق الأردن وأجزاء من سوريا الحالية ومن لبنان وغرب العراق .

وإن إبراهيم عليه السلام الجد الأكبر لبنى إسرائيل كان يقيم قبل هجرته في « أور » بأرض العراق حين كانت تابعة للدولة الكلدانية ، ثم إنه سار فى طريقه متجها إلى حاران ، ووصل إلى مناطق أخرى من شمال الحجاز . ومن أجل ذلك فإنهم « اليهود » يرون أنهم الوريث الشرعى لجدهم الأعلى إبراهيم عليه السلام فى هذه المنطقة .

وأسرف بعضهم فى زعمهم ، ودفعتهم أنانيتهم وحبهم للسيطرة والتحكم إلى المزيد من الأطماع ، ولم يكتفوا بالأجزاء السابقة من فلسطين وسيناء والعراق وسوريا ، وإنما أضافوا إليها أجزاء من مصر « الوجه البحرى » زاعمين أن بنى إسرائيل قد عاشوا فى دلتا النيل بمصر فترة طويلة ، وأن موسى نبيهم نشأ وشب فى مصر ، وأن الأجداد الأول اليهود — وهم يقصدون بذلك أبناء يعقوب الذى هو إسرائيل — سكنوا مصر فترة طويلة ، وأنهم « أى الإسرائيليين » قد خرجوا من مصر لظروف طارئة حين أمرهم موسى بالخروج معه لينشروا دين الله ومبدأ التوحيد ولينقذوا أنفسهم من اضطهاد المصريين ، وعلى ذلك فاليهود يدخلون شمال مصر فى حدود ما أسموها أرض الميعاد ، حسب وصية الله لإبراهيم وعهده له: « فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » (١) .

وحملت الصهيونية فلسفة عنصرية صريحة ، بل لقد كانت بحكم نشأتها مسوقة إلى جعل العنصرية أساسها الفكرى الجوهرى وهو الحل لأوضاع اليهود فى غمار حركة التحرر الليبرالية، واستندوا فى ذلك إلى نداء عزرا ونداء

---

(١) راجع الجزء الأول من هذا الكتاب الباب الثانى « الوجهة الشعوبية والاجتماعية » .
وانظر تكوين ١٥ : ١٨ .

نحميا لشعب إسرائيل بعـد عودته من سبي بابل بعدم الامتزاج ومصاهرة الشعوب إبقاء على نقاء النسل (١).

دراسة تحليلية

١ — المنطقة التى يريدونها وطنا :

إذا كان دعاة الصهيونية يعتقدون أنهم أصحاب حق فى فلسطين فلماذا رضوا بجزء منها دون الآخر ؟ ثم لماذا تهاونوا ذات يوم فى هذا الحق حـين أخذوا يبحثون عن بديل عنه إذا كان ما يزعمونه حقا لهم ؟

فى إبّان الحرب الـكونية الأولى لجأوا إلى بريطانيا والتمسوا منها أن تمنحهم أى منطقة تحت نفوذها سواء أكانت مدغشقر ، أم أستراليا ، أم قبرص ، ولقد صرح ثيودور هرتزل بقوله : « يكفى أن تعطونا أية قطعة من الأرض تتناسب وحاجات شعبنا ويكون لنا السيادة عليها ». بل إن كثيرا من زعماء الصهيونية اعترضوا على التمسك بفلسطين ودعوا يهود العالم أن يستبعدوا هذه الفـكرة من أذهانهم ، وكان مما قاله ليوبنسكر : « ليس هدفنا هو الأرض المقدسة ولـكننا نريد أى بقعة من الأرض تخصص لنـا » . حتى الدكتور حاييم وايزمن فى نظرته إلى وعدالله لإبراهيم (٢) يقول قولا غير محدد : « إننى أعتقد أن الله قد وعد أبناء إسرائيل بفلسطين، ولـكنى لا أعرف الحـدود التى رسمها . إننى أعتقد بأنها أوسع من الحدود المقترحة الآن ، وربما ضمت شرق الأردن . فإذا حافظ الله على وعده لشعبه فى الوقت الذى يختاره فإن واجبنا هو إنقاذ كل ما يمـكن إنقاذه من بقايا إسرائيل » (٣) .

---

(١) المصدر السابق ، وانظر : عزرا ٩ : ١ — ١٢ .

(٢) انظر تك ١٧ : ٥ — ٨ .

(٣) مذكرات هرتزل ص ٤٧٣ .

لقد استمسك بالوعد ونسى العهد ، لقد غض النظر عن حيثيات نقضهم للعهد وبالتالى ضياع الوعد نهائيا ، لقد تجاهل نبوءة نبيهم إرمياء (١) بقضاء الله على أورشليم ، وتجاهلوا نبوءة المسيح عيسى بن مريم (٢) تأييدا لنبوءة سابقه إرمياء النبى .

وتتضافر الأحداث لتتميم إرادة الله فيدمر الإمبراطور تيطس الهيكل عام ٧٠ م ، ثم يسبى الإمبراطور هادريان بنى إسرائيل فى كل أرجاء الإمبراطورية عام ١٣٥ م . ومن ثم فقد زال حتى كيانهم الروحى وقد سبق أن زال كيانهم السياسى نهائيا عام ٥٨٦ ق . م .

وتؤكد الأحداث إرادة الله من أنه رذل شعب بنى إسرائيل فإنه قد ادخر لميراث أرض الميعاد أحفاد ذاك الذى قال عنه : « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة » (٣) . فالميراث إذن لأبناء عمومتهم والأرض إذن صارت للعرب .

إن هرتزل المبشر بالصهيونية لم يتجرأ على المطالبة بأرض فلسطين فصرح لتشمبران بقوله : « إن قاعدتنا يجب أن تكون فلسطين أو بالقرب منها . وبعد ذلك سيكون بإمكاننا أن نقيم جاليات فى أوغندة وذلك لأن جماهيرنا مستعدة للهجرة. ولكن يجب علينا أن نبنى على أسس قومية .وقد كان الجانب السياسى هو الذى شدنا إلى مشروع العريش »(٤) .

ويقول ماكس نوردو : « إن أوغندة هى معسكر ليلى لليهود . . محطة فى منتصف الطريق إلى فلسطين » .

---

(١) إرمياء ٢٢ : ٨ ، ٩ .

(٢) لوقا ١٩ : ٤١ — ٤٤ .

(٣) تك ١٧ : ٢٠ .

(٤) مذكرات هرتزل ص ٤٧٤ .

وتوهم حاييم وايزمن حدود أرض الميعاد بأن « الحد الاستراتيجى الطبيعى الوحيد هو القطاع الضيق الذى يقع فى الشمال من صيدا إلى أقصى الحد الجنوبى للبنان ، والحد الطبيعى الآخر هو وادى البقاع فى حيازة الأطراف الجنوبية للبنان وجبل الشيخ وتحصينها بشكل يكفل السيطرة على المخرج الجنوبى لهذا الوادى »(١).

فلو أن اليهود الصهيونيين مقتنعون بأحقيتهم فى فلسطين لما فكروا حتى مجرد التفكير فى أرض غيرها .

ترى لو قدر لليهود أن يستولوا على إحدى المناطق التى كانوا يريدونها مثل مدغشقر ، هل كانوا سيجدون مايبررون به استيلاءهم على هذه المنطقة ؟

قد يقولون : إن مدغشقر هى أرض ميعادهم ، وعند ذلك سيحشرون فى كتبهم المقدسة كعادتهم وفى تلمودهم مايثبت أن الله وعدهم بمدغشقر ، وسيدعون أيضا أن لهم فى مدغشقر حقا تاريخيا ويستدلون على ذلك بأسانيد كاذبة ، وسيذكرون فى كتبهم تاريخ دولتهم فى هذه المنطقة . فاليهود كما هو معروف عنهم لديهم القدرة الكافية على التزوير والافتراء .

إن اليهود لا يتورعون عن تزييف كل حقيقة ، ما دام ذلك يحقق لهم أهدافا وأغراضا .

وهكذا يتبين لنا بصورة لا ريب فيها أن اليهود ليس لهم حق تاريخى فى فلسطين ، وأن هذا الزعم ليس إلا واحدا من الأباطيل التى يطلقها الأفاقون ودعاة الصهيونية ليصدقها من فسدت أحلامهم وساروا فى ركب الصهيونيين فأضلوهم سواء السبيل .

---

(١) وايزمن ص ٤٧٤ .

٢ — بطلان نظرية المحافظة على نقاوة سلالتهم :

لقد صرح موسى هيس فى كتابه « روما والقدس » لعام ١٨٦٢ « بأن اليهود بجمعهم أصل مشترك نقى »، وأكد هذا ليوبنسكر فى كتابه « التحرير الذاتى » لعام ١٨٨٢: « أن الفضل فى بقاء اليهود شعبا واحداً وعنصراً متميزا يعود لقوانين الزواج التى كانت تحرم الزواج بغير اليهودى أو اليهودية»، ويرى نفس الرأى ثيودور هرتزل فى كتابه « دولة يهوذا » لعام ١٨٩٥ «أن قانون الأحوال الشخصية لليهود يعوق الامتزاج العنصرى » .

الواقع والتاريخ ينفيان انتماء الصهاينة إلى الأسباط :

إن الصهاينة اليوم لاعلاقة لهم بإسرائيل التوراة ، وإن الصهيونية تتنافى مع التوراة التى أوحى بها الله لموسى نبيه ؛ وقد فندت ادعاء الصهاينة بأنهم شعب الله المختار تفنيداً من توراتهم ومن مقدساتهم بما يثبت أن شعب إسرائيل قد تبدد على الأرض وامتزج بالشعوب بالمصاهرة (١) وبدخول الشعوب الوثنية إلى اليهودية .

كما حدث فى العصور الوسطى أن خشيت الكنيسة من موجة الاختلاط باليهوديات فأصدرت المجالس الكنسية قرارات مشددة بمنع زواج المسيحيين باليهود ، كما فعل مجلس توليدو عام ٥٣٨ م ، وعام ٥٨٩ م ، ومجلس روما عام ٧٤٣ .

وإن هذه القرارات بتحريم الاختلاط فى المصاهرة بين المسيحيين واليهود دليل قاطع على خطورة المدى الذى كان الزواج المختلط قد وصل إليه بالفعل. بل إن اضطهاد القوط الغربيين فى أسبانيا لليهود فى القرنين الخامس والسادس الميلادى

---

(١) حزقيال ١٦ : ٣ ، ٤٥ ؛ عزرا ٩ : ١ ، ٢ ، ١٢ ؛ نحميا ١٣ : ٢٣ — ٢٧ .

إنما يرجع كما يؤكده بعض المؤرخين إلى نشاطهم فى التبشير باليهودية وإلى تفشى الزواج المختلط بينهم وبين المسيحيين .

أما فى عصرنا الحديث فتتواتر الأدلة والأحداث الثابتة التى تؤكد الاختلاط والمصاهرة والتحول والإذابة فى المجتمعات على حد سواء .

فمع اختفاء التعصب الديني فى أوربا الصناعية ، وأكثر منه مع الحركة العلمانية المطردة ، انهارت الحواجز أمام التحول والزواج ، وتوسعت العلاقات غير الشرعية . وقد زادت بصورة لافتة للنظر التحولات الفردية فى العصور الحديثة ، ويمكن أن نتخذ من بعض الأسماء الشهيرة مؤشرا فى ذلك الاتجاه مثلا : الشاعر هاينى ، والموسيقى مندلسون ، وغيرهما من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية .

وفى روسيا القيصرية كان حصول اليهود على المساواة المدنية رهنا بتحولهم إلى المسيحية . أما فى روسيا البولشفية فإن ستالين تزوج من يهودية وكذلك مولوتوف تزوج من يهودية أيضا .

ومن الأدلة القاطعة بل والمثيرة على مدى اختلاط اليهود فى العصور الحديثة والوسيطة فى أروبا ، ما كشفت عنه تجربة النازية فى ألمانيا . فقد كان على المرء الذى يبغى إثبات الدم الآرى فيه أن يقدم نسبا يخلو لعدة أجيال من العناصر غير الآرية ، ويعنى هذا أنه يخلو من عنصر اليهودية على وجه التحديد ، ولكن المفاجأة أن التجربة كشفت أن عددا ضخما من حالات المواطنين الألمان إلى أقصى حد ثبت أن أجدادهم وأجداد أجدادهم تجرى فى عروقهم الدماء اليهودية ، تماما كما تردد عن ريتشارد فاجنر من قبل .

والخلاصة :

أن جسم الطائفة اليهودية ليس ثابتا جنسيا بل هو متحرك وفى تغير داخلى

مستمر ، وفى ابتعاد دائم عن الأصول الأولى بحيث يتضاءل أبدا وباستمرار حجم النواة النووية الحقيقية من بنى إسرائيل التوراة فيهم حتى تكاد تختفى وتنقرض ، فضلا عن أن تظل قابلة للتعرف عليها وتحديدها . إنها عملية إحلال وإبدال مزمنة وإنما معدية أحيانا ظاهرة ومستترة . إنها تكاد تكون عملية « تغيير دم » كلية وشاملة .

وفى النتيجة يكاد يصبح جسم اليهود فى آخر المطاف شيئا مختلفا جنسيا عن يهود التوراة إن لم يكن لاعلاقة له بهم تقريبا أو فى الأعم الأغلب (١). ويقرر لومبروزو Lombroso أن اليهود جنسيا آريون أكثر منهم ساميين أو بتعبير آخر انهم أوربيون تهودوا أكثر منهم يهوداً تأوربوا .

وتخريجا من هذا وترتيبا عليه تسقط على الفور عدة أفكار ومعتقدات شائعة ومتفشية ، ولكن لا ظل لها من الحقيقة فى نظر العلم الصحيح .

فأولا مادام اليهود لم يعودوا من الساميين فى شىء فيمكننا هنا أن نرى الخطأ الشائع الفاشى، إن لم يكن المغالطة الكبرى المتعمدة ، فى تسمية اضطهاد اليهود « بضد السامية » ، فنحن فى الحقيقة إزاء مشكلة « ضد الصهيونية » ببساطة وبلا تعقيد .

ولا تفسير لهذه التسمية الخاطئة إلا أنها تعتمد على أسس التوراة التى تسبق بكثير التغيير الجذرى ، والإحلال والإبدال المطلق الذى لحق بدماء اليهود ، والاضطهاد النازى لليهود فى ألمانيا لم يكن فى جوهره إلا اضطهاد

---

(١) ويتأكد هذا كله حين نتذكر ما سبق أن ألمعنا إليه بشأن الامتزاج فى مختلف عصور التاريخ قبل الميلاد بالمصاهرة ، وما تعرض له اليهود من مذابح واضطهادات قبل الميلاد وإبادة كاملة للعشرة الأسباط سنة ٧٢٢ ونفى لسبطى يهوذا وبنيامين سنة ٥٨٦ وبعد الميلاد فى النفى الشامل فى عصر الإمبراطور هادريان سنة ١٣٥ والمذابح والاضطهادات فى روسيا القيصرية ثم فى ألمانيا النازية ومع هذا فسرعان مابلغوا الملايين.

ألمان لألمان فإنهم بحسب الجنس ينتمون للآرية وإنما يختلفون فقط فى العقيدة الدينية وطريقة السلوك المعيشى ، ويسقط كذلك ببساطة وتلقائية أى دعوى قرابة دم بين العرب واليهود . قد يكون يهود التوراة والعرب أبناء عمومة — وإنما تاريخيا فحسب ، حين بدأ الكل قبائل مختلفة من الساميين الشماليين ، وحين كانت اللغة العبرية لغة تشتق من الأصول العليا التى تفرعت عنها العربية .

وقد يكون من الصحيح ، بل إنه الصحيح بالفعل ، أن أسماعيل أبا العرب وإسحق أبا اليهود إخوة غير أشقاء وكلاهما ابنا إبراهيم .

ولكن فى البداية فقط تصدق هذه الأخوة على تسليمها ، أما بعد ذلك فقد ذاب نسل أحدهما فى دماء غريبة ووصل الذوبان إلى حد الإحلال حتى أصبحنا إزاء قوم غرباء لاعلاقة لهم ألبتة بإسحق فضلا عن إسماعيل .

ولا يمكن بعد أن اختفى يهود التوراة أن يكون يهود أوربا وأمريكا أقارب العرب جنسياً أكثر من قرابة الأوربيين والأمريكيين للعرب !! وغير هذا ليس إلا من قبيل أوهام العوام . إن اليهود اليوم إنما هم أقارب الأوربيين والأمريكيين وامتداد لهم ، بل هم فى الأعم الأغلب بعض وجزء منهم وإن اختلف الدين ، ومن هنا كان اليهود فى أوربا وأمريكا ليسوا كما يدّعون غرباء أو أجانب دخلاء يعيشون فى المنفى وتحت رحمة أصحاب البيت ، وإنما هم أصحاب البيت نسلا وسلالة لايفرقهم عنهم سوى الدين .

أما أين يمكن أن يكون اليهود غرباء فى منفى ودخلاء بلا جذور ؟ فذاك فى بيت العرب وحده ، فى فلسطين حيث لا يمكن لوجودهم أن يكون

إلا استعماراً واغتصابا بالقهر والابتزاز . وغير هذا قلب بشع لحقائق التاريخ من الوجهة الجنسية والنوعية والشعوبية .

وانطلاقا من هذا يسقط كـذلك أى ادعاء سياسى للصهيونية فى « أرض الميعاد » ، فبغض النظر عن أن القانون الدولى يتكفل بشجب وتفجير ادعاءاتهم على أى أساس تاريخى أو دينى فإن علوم الجنس والنوع والشعوب تبدد أى أساس جنسى أو نوعى أو شعبى قد يزعمون فى هذا الصدد .

فمن ناحية أخرى لا علاقة لهم جنسيا أو نوعيا أو شعوبيا بفلسطين وهم أجانب غرباء عنها دخلاء عليها مثلما يعد الأوربيون أو الأمريكيون بالنسبة إليها . وهم حين يغتصبونها ليخلقوا منها إسرائيل الصهيونية فليست هذه هى عودة الابن القديم بعد رحلة طالت عبر الزمان والمكان وإنما هى غزو الأجنبى الغريب بالإثم والعدوان .

وما هى أرض الميعاد ؟

إن حديث المرأة السامرية مع المسيح عليه السلام عن الناحية المكانية وحيرتها فى بحثها عن الحقيقة بقولها : « آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه »(١)، فأجابها المسيح بقوله : « الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (٢) ، وبهذا الإفحام انتفت الناحية المكانية وانتفى الزعم بأرض الميعاد .

---

(١) يوحنا ٤ : ٢٠

(٢) يوحنا ٤ : ٢٤ .

٣ — اتفاق المصالح الامبريالية والصهيونية :

فى أوائل القرن العشرين وبينما كانت سياسة الاستعمار البريطانى تتجه نحو تثبيت الوجود البريطانى فى الهند ومصر ، وأجزاء كبيرة من إفريقيا كان حتما عليها تأمين وحماية الطرق الحيوية المؤدية لهذه المستعمرات ، فى هذه الفترة بدأت تظهر أوضاع جديدة على المسرح العالمى. فقد ظهر التنافس داخل حركة الاستعمار بصورة جدية ، كما بدأت أطماع الدول المستعمرة تطغى على اتفاقيات اقتسام مناطق النفوذ المعقودة فيما بينها سابقاً .

وكانت مجالات جديدة للاستعمار والتنافس قد بدأت فى الظهور لاسيما فى الشرق العربى ، نتيجة دخول الإمبراطورية العثمانية فى دور انهيارها النهائى ، بالإضافة إلى أن نذر رياح حركات التحرر أخذت تلوح فى الآفاق .

وكان لابد من مخططات جديدة لمواجهة الأوضاع الناشئة ، وقد خلص الاستعمار البريطانى نتيجة المراجعة الشاملة التى أجراها لهذه الأوضاع إلى تأكيد الاستراتيجية القصوى التى تمثلها فلسطين فى الظروف الجديدة ، والدور الكبير الذى يمكن أن تلعبه بحكم موقعها فى مستقبل الاستعمار البريطانى :

١ — ففلسطين موقع أساسى لحماية « قناة السويس » أخطر طريق مائى يربط الشرق بالغرب ، وهو لبريطانيا طريق الهند وإفريقيا ومن ثم فهو يعد مفتاحاً خطيراً لمصالح الاستعمار البريطانى فى الهند .

٢ — وفلسطين نقطة التقاء القارات الثلاث « إفريقيا وآسيا وأوربا » ومركز استراتيجى رئيسى للسيطرة على السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط ، وسواحل البحر الأحمر .

٣ — وفلسطين قاعدة حيوية لأية مشاريع توسعية مقبلة قد تنشأ فى سوريا والأردن والعراق وجزيرة العرب بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية .

وكانت الخطة التى وضعها الاستعمار البريطانى لفلسطين تتناسب وهذه الأهمية التى تمثلها فى نظره ، كما تدعو للدهشة فعلا .

فبالإضافة إلى ضرورة ضمها لحظيرة الاستعمار البريطانى ، خلصت بريطانيا منذ ذلك الوقت إلى ضرورة توطين أكثرية أجنبية غريبة على أرض فلسطين تشكل فيها عازلا دفاعيا هجوميا فى آن واحد . ووثائق الاستعمار البريطانى حافلة دامغة فى هذا الصدد .

فنى عام ١٩٠٤ كانت بريطانيا تمثل أقوى وأكبر الإمبراطوريات الاستعمارية فى العالم ، ولم يكن ينافس بريطانيا فى التطلع إلى إمبراطورية الرجل المريض « تركيا » سوى فرنسا التى رأت بعد الحرب السبعينية أن القارة الإفريقية هى مجالها الطبيعى فى التوسع .

وكانت ألمانيا رغم حداثة عهدها بالاستعمار قد بدأت هى الأخرى تتطلع إلى إفريقيا وإلى مناطق نفوذ الاستعمار الأنجلو — فرنسى .

درست بريطانيا كل هذه الظروف ورأت أنه من الضرورى إيجاد جبهة استعمارية (١) واحدة لتنسيق مصالح الاستعمار المتضاربة ، ولقطع خط الرجعة على أية حركة تحاول استغلال التنافس الاستعمارى للقضاء عليه وتعريض كيانه للخطر .

ونظراً لأن بريطانيا كانت تشك فى نيات ألمانيا لمحاولتها دعم الإمبراطورية العثمانية المتداعية ، فقد قصرت مشروعاتها الاستعمارية فى نطاق الدول الاستعمارية القديمة .

---

(١) راجع « المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى الإسلامى » المؤلف .

فسارعت بعد حادث « فاشودة » فى جنوب السودان إلى توقيع الاتفاق الودى مع فرنسا (١٩٠٤) محذرة إياها من خطط ألمانيا التوسعية فى إفريقيا . وقد اتسع نطاق هذا الاتفاق فشمل كلا من إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وأسبانيا وبريطانيا ، واتفقت الدول المذكورة على تأليف لجنة من خبرائها لتتولى دراسة الحلف الجديد ، وأسس تكوينه ، وأهدافه ووسائله .

توجيهات «كامبل بنرمان» وتقرير اللجنة :

وقد جاء فى توجيهات رئيس الوزارة البريطانية فى ذلك الوقت مستر « كامبل بنرمان » لهذه اللجنة الآتى :

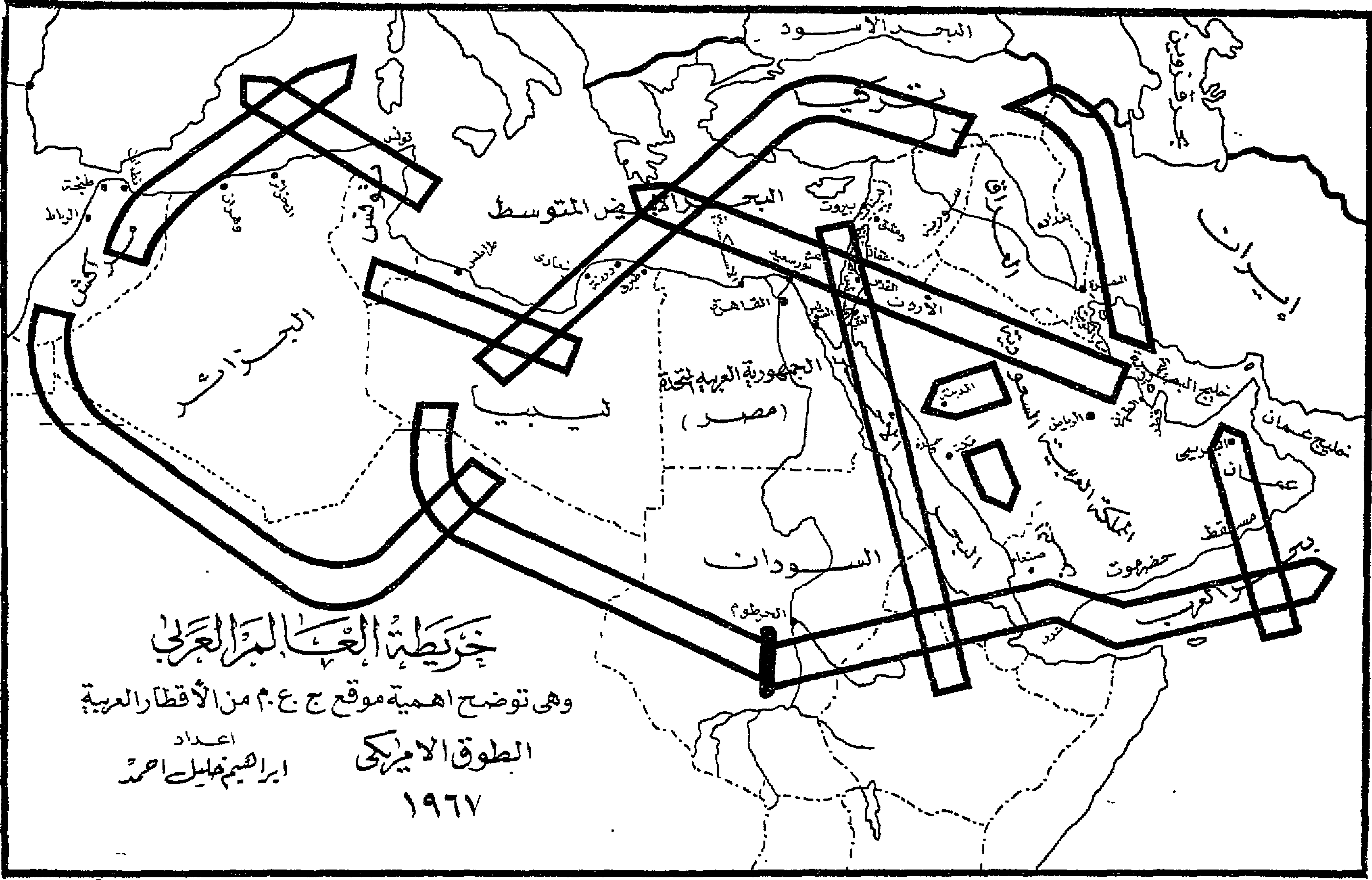
« إن الإمبراطوريات تتكون ، وتتسع ، وتقوى ثم تستقر إلى حد ما ثم تنحل رويدا رويداً ثم تزول . والتاريخ ملىء بمثل هذه التطورات وهو لا يتغير بالنسبة لكل نهضة ولكل أمة .

« فهناك إمبراطوريات روما وأثينا والهند والصين ، ومن قبلها بابل وأشور والفراعنة وغيرها . . . فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون السقوط والانهيار بينما العالم الآخر لا يزال فى شبابه يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية . . . هذه هى مهمتكم أيها السادة وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا » .

الجدية فى العمل :

أخذت اللجنة فى دراسة تاريخ الإمبراطوريات ، وكيف نشأت ، وكيف حكمت ، وكيف انحلت ، وأسباب هذا الانحلال من كافة النواحى السياسية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية .

وأخذت تدرس أيضا وضع الإمبراطوريات الحاضرة ، وكيف يمكن أن تدوم ومن أين يمكن أن تأتيها المخاطر . واستخلصوا من كل ذلك خطة



الخطوط السوداء المزدوجة تبين احتمالات الطوق الامبريالي الذي يحضره الحلف الاستعماري الرجعي في المنطقة

للمستقبل ضمنوها تقريرا كاملا وشاملا قدموه إلى وزارة الخارجية البريطانية التى أحالته بدورها إلى وزارة المستعمرات وأهم ما جاء فى التقرير الآتى :

١ — أهمية السيطرة على البحر المتوسط لأنه الشريان الحيوى للاستعمار ، فهو الجسر بين الشرق والغرب ، وملتقى طرق المواصلات فى العالم ، وإن من يسيطر على شواطئه الجنوبية الشرقية يستطيع التحكم فى العالم .

٢ — استبعد التقرير أى خطر على الاستعمار من المستعمرات الحرة « أى البلاد التى استوطنها الإنجليز » مثل جنوب إفريقيا . . كندا . . . أستراليا . كما قلل من خطر استقلال الهند ، والملايو ، والهند الصينية ، ومناطق جنوب شرقى آسيا ، لأن المشاكل الدينية والعنصرية والطائفية واللغوية ستشغل هذه الأقطار فور استقلالها ولأجل طويل .

كما قلل التقرير من خطر المستعمرات فى إفريقيا وفى المحيطين الأطلسى والهادى لانعزالها . وأكد التقرير أن مصير هذه المستعمرات هو الارتباط بالدول الأوربية اقتصاديا وثقافيا إذا انعدم ارتباطها السياسى والعسكرى نتيجة للاستقلال .

٣ — أكد التقرير أن الخطر على الاستعمار يكمن فى البحر المتوسط ، صلة الوصل بين الشرق والغرب ، وفى حوضه حيث مهد الديانات والفلسفات والحضارات عبر القرون والأجيال . وأن يسكن فى هذه المنطقة شعب واحد تتوافر له من وحدة تاريخه ووحدة لغته وآماله كل مقومات التجمع والترابط . كما أنه إذا ما تكاملت لهذا الشعب كل هذه المقومات علاوة على ثرواته الطبيعية ، ونزعة أهله إلى التحرر ، فإنه ستحل الضربة القاضية حتما بالإمبراطوريات الاستعمارية ، وعندها ستتبخر أحلام الاستعمار .

لذلك فعلى كل الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار وضع

هذه المنطقة المجزأة المتخلفة على ما هو عليه من تفكك وجهل ، وأوصى التقرير بضرورة محاربة اتحاد هـــذه الجماهير أو ارتباطها بأى نوع من الارتباط الفكرى أو الروحى أو التاريخى .

وكإجراء سريع لدرء الخطر أوصى التقرير بضرورة العمل على فصل الجزء الإفريقى من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوى ، واقترح لذلك إقامـــة حاجز بشرى قوى وغريب فى منطقة الجسر البرى الذى يربط آسيا وإفريقيا ويربطها معا بالبحر الأبيض المتوسط بحيث يشكل فى هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار ، وعدوة للسكان فى المنطقة .

على أساس هذا التقرير سارت سياسة الاستعمار فى الوطن العربى لتمزيق هذا الوطن ومحاربة حركته التحررية، وعلى هديه حدد منذ مطلع القرن العشرين موقفه من عروبة فلسطين .

٤ — التحديات التى تواجهها الدول العربية :

لقد طالعتنا جريدة المحرر اللبنانية(١) الصادرة فى ٢٤ إبريل « نيسان » ١٩٦٧ أى قبل العدوان الإسرائيلى فى ٥ يونيو « حزيران » ١٩٦٧ عن حلف استعمارى رجعى موجود الآن وحقيقى كالموضح بالرسم .

فلقد بات الاستعمار يدرك أن المواطن العربى تعود أن يرفض الأحلاف الغربية فى المنطقة ، وكالعادة كان تـكيفه مع هذه الحقيقة سريعا وللغاية وتحايله عليها يتناسب مع حاجته إليها ، وتغير المنطق من الحلف إلى القواعد العسكرية .

لقد كانت الغاية الأساسية للأحلاف الغربية التقليدية فى منطقة الشرق الأوسط طوال الخمس عشرة سنة التى خلت تستهدف ما يلى :

١ — ضمان النفوذ الغربى فى المنطقة سياسيا واقتصاديا .

---

(١) بقلم غسان كنفانى .

٢ — حماية إسرائيل .

٣ — إيقاف المد الثورى والحيلولة دون اتساعه .

وبالوسع تلمس هذا الحلف الموجود عمليا فى الشرق الأوسط باسم قواعد عسكرية عبر حلقتين : واحدة منهما أساسية والثانية احتياطية .

أما الحلقة الأساسية فترتكز على النقاط التالية :

من القواعد الأمريكية بالمغرب مرورا بتونس ، إلى القواعد الإنجليزية بليبيا ، وتتكىء هذه الحلقة على « دولة الأسطول السادس » فى المتوسط وتكمل سيرها من ثم . . من إسرائيل إلى الأردن إلى السعودية ، إلى عدن إلى الساحل الجنوبى للجزيرة ، فالخليج حيث تنعقد فى البحرين .

أما الحلقة الاحتياطية والتى يمكن استدعاؤها بسهولة لدى أى نزال طارىء فتمتد من المغرب حتى الكويت ، مروراً بتونس وليبيا والسودان والسعودية والجنوب المحتل والخليج وإسرائيل والأردن ودولة الأسطول السادس فى المتوسط .

إن الحديث عن « حلف قادم » هو مجرد قفز فوق الموضوع الراهن فالحلف الاستعمارى الرجعى اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، موجود عمليا . . ولن يكون من الممكن حدوث ذلك التنسيق الاقتصادى والسياسى والعسكرى بين دول هذا الحلف بالشكل الذى نراه يتبلور يوميا ، لو لم يكن هذا الحلف موجودا وجودا فعليا وبصيغة غير معلنة .

إن الإثباتات — إن كان ثمة حاجة لها — للتدليل على وجود هذا الحلف يمكن استعراضها بإيجاز كما يلى :

١ — صفقات السلاح الأمريكى البريطانى للأردن والسعودية وإسرائيل والمغرب فى وقت واحد .

٢ — الوضع فى الجنوب اليمنى المحتل تبلور نهائيا بصيغة « وراثة الرجل الأبله » وهو الشعار الذى كان يوازيه فى نهاية القرن الماضى شعار « وراثة الرجل المريض » فى القسطنطينية . والرجل الأبله هنا هو حكم السلاطين الذين وضعتهم بريطانيا بنفسها على رأس السلطة هناك .

٥ — الحملة الفرنسية على مصر رائدة الاستعمار للمنطقة :

إن الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ يتعين على القوى الثورية التقدمية دراستها من نواح متعددة : فإن حملة عسكرية تأخذ طريقها إلى الشرق مزودة بالأجهزة العلمية ، وبمطبعة عربية وأخرى فرنسية ، ويرافقها عدد من العمال والعلماء الإخصائيين فى شتى العلوم ، تدفعنا إلى أن نتساءل : أهى حملة عسكرية حربية أم حملة علمية تجسسية ؟ فإن الغرب إذا تحرك إنما يتحرك بأبعاد مدروسة ، لذلك فإن الحملة تهدف إلى التحصيل العلمى وهو أبقى لها من السيطرة العسكرية . فكان مما عنيت به الحملة رسم خرائط لمصر ، ودراسة أحوالها الاقتصادية والاجتماعية ، وقد جمع ذلك كله بعد رجوع الحملة إلى فرنسا فى كتاب اسمه « وصف مصر » ، كما اهتموا بدراسة آثار مصر القديمة فرسموا الكثير منها ، وفى عام ١٧٩٩ كشف أحد الضباط الفرنسيين حجرا قرب رشيد كان مكتوبا عليه عبارات بالهيروغليفية والديموطيقية واليونانية القديمة وفى عام ١٨٢١ استطاع شامبليون أن يفك طلاسم هذا الحجر وبذلك أمكن الوصول إلى أسرار الكتابة المصرية القديمة ، وقراءة النقوش الموجودة على الآثار المصرية . وبذلك تم كشف قسط كبير من تاريخ مصر القديم ، وبعث هذه الحقبة الزاهية الخاصة بمدنية من أسبق مدنيات العالم .

ومما قامت به الحملة أيضاً دراسة مشروع توصيل البحرين الأبيض والأحمر وهو ما تمخض فى النهاية عن مشروع قناة السويس ذات الأهمية الكبرى فى تاريخ مصر الحديث .

إن الغرب يسير وفق مخطط مدروس يربط بين الماضى والمستقبل، وانطلاقا من الحاضر يعدون خطتهم كاملة ثم يحققون أهدافهم إن عاجلا أو آجلا ، حسب إمكانيات استيعاب الأيام لخططهم .

٦— حقائق تاريخية عربية :

عاصرت قضية فلسطين نهاية الثورة العربية الكبرى إبان الحرب الكونية الأولى . ونشأت كمشكلة قومية بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها. وتمت التجزئة حسب معاهدة سايكس ـ بيكو ، واحتل الإنجليز فلسطين لتنفيذ وعد بلفور ، والأردن ، والعراق ، كما احتل الفرنسيون سوريا ولبنان .

كانت الحركة العربية فى تلك الآونة حركة ذات مفاهيم عشائرية ، ولما وقعت التجزئة أخذت تتبلور بشكل بطىء على أسس علمانية ، لكنها مع الأسف فقدت وحدتها العضوية ، وانقسمت إلى حركات وطنية مستقلة لها قياداتها المتعددة المنفصلة .

ومع الزمن أخذ الترابط فى العمل القومى يفقد قوته وفعله بين هذه الحركات الوطنية . ولا شك أن تقطيع أوصال المشرق كان سببا مباشرا فى تمزيق الحركة العربية الواحدة .

ثم اختلاف الظروف الاستعمارية التى وقعت تحت طائلها هذه الأقطار قد ساعد على انكماش النضال القومى على صورة حركات وطنية متعددة تناضل من أجل الاستقلال القطرى .

وهذا ما جعل القضية الفلسطينية تتقلص فى حدودها القطرية ، وبرزت قياداتها المستقلة لتقود الكفاح الوطنى الفلسطينى بمعزل عن التفاعل الإيجابى مع الحركات الوطنية الأخرى فى البلاد العربية التى كانت تخوض فى نفس الوقت معارك الاستقلال .

وبالرغم من كل ذلك كانت الروابط الروحية تشد الحركة الوطنية فى فلسطين بالحركة الوطنية فى كل من سوريا والعراق . وقد حافظ هذا الترابط إلى حد كبير على المفهوم القومى للقضية الفلسطينية ، فبقيت فى إطارها العام مسألة قومية ، وإن كانت عناصر الفعل فيها قطرية فى غالبيتها — فالثوار فلسطينيون ، والثورات وقادتها فلسطينية وفلسطينيون ، وساحة المعركة أرض فلسطين .

وبقيت القضية فى حدودها الإقليمية إلى أن استقلت بعض الأقطار العربية مثل سوريا ولبنان والعراق ، وقامت الجامعة العربية ، وتولت الدفاع عن قضية فلسطين فى المحافل الدولية ، إلى أن صدر قرار التقسيم ، ودخلت الجيوش العربية فلسطين كحل قومى للمشكلة .

ولكن هذا الحل فشل لأن الدول العربية أسقطت من حسابها القوى الفلسطينية الفاعلة فى المعركة بتجميدها هذه الفعاليات الثورية المسلحة .

والحق أن هذه العملية كانت خطة مدبرة من القيادات العربية الحاكمة فى الأردن والعراق ومصر . وحلت النكبة بثقلها على الشعب العربى الفلسطينى ، وتأثرت بها إلى حد بعيد معظم الأقطار العربية المجاورة لفلسطين .

إن الذهنية العشائرية الانفعالية التى قادت الثورة العربية الأولى هى نفس الذهنية البورجوازية العاجزة التى سيطرت على معركة سنة ١٩٤٨ الفاشلة ، لقد سلبت الجماهير الفلسطينية إرادة العمل بالقوة والضغط السياسى ، ومزقت الحركة الوطنية الفلسطينية كشرط أساسى لدخول الجيوش العربية وسلامتها. حلت النكبة وشعرت الجماهير العربية بمرارة المأساة والهزيمة فتحركت.

بعنف وأطاحت بالحكام المنحرفين ، وبدأ التيار القومى يقوى ويشتد إلى أن برزت إلى حيز العمل الثورى حركات عقائدية تقود الجماهير فى طريق الثورة .

كانت تلك المرحلة تمثل بداية الانعطاف التاريخى فى الحياة العربية ، فقوى دعاة الحركات القومية ، وأخذت تتوثق الروابط القومية ، وامتدت الدعوة القومية ، وأخذت تنادى بشعار الوحدة طريقا إلى فلسطين ، وهذا ما جعل النضال القومى يبنى على أسس علمية حية (١).

عرض موجز

للتحركات العسكرية للجيوش الأجنبية والتدخل الأجنبى فى البلاد العربية

اولا – الحروب الصليبية :

هزيمة الصليبيين على أيدى المصريين عام ١٢٢١ م .

ثم هزيمتهم وإزالتهم من الوجود العربى «الفلسطينى والمصرى» عام ١٢٤٩ م .

وأسر الملك لويس التاسع ملك فرنسا فى مدينة المنصورة .

رد الفعل :

تربص الغرب بالشرق ، وفى غفلة من حكام تركيا استطاع فرنسوا الأول ملك فرنسا الحصول على امتيازات من السلطان سليمان القانونى باسم حماية المسيحيين فى الشرق . وتمكنت فرنسا من بسط نفوذها عن طريق الهيئات التبشيرية والعلمية التى ثبت بالواقع والتاريخ أن أعضاءها عيون وآذان للإمبريالية العالمية .

---

(١) للباحثين والمجتهدين فى التحرى انظر :

١ — الهاشميون وقضية فلسطين — للدكتور أنيس صايغ لبنان .

ب — ملوك العرب — لأمين الريحانى — طبعة ١٩٢٤ .

حـ — مذكرات عبد الله التل — عبد الله التل — الأردن .

ثانيا — الاحتلال الفرنسى :

١ — ١٧٩٨ — ١٨٠١ مصر

٢ — ١٨٣٠ — ١٩٦٢ الجزائر

٣ — ١٨٨١ — ١٩٥٦ تونس

٤ — ١٩١٢ — ١٩٥٦ مراكش بالاشتراك مع أسبانيا

٥ — ١٩١٨ — ١٩٤٦ سوريا ولبنان

ثالثا — الاحتلال الانجليزى :

١ — ١٨٣٤ — ١٩٦٧ عدن

٢ — ١٨٨٢ — ١٩٥٦ مصر

٣ — ١٨٩٩ — ١٩٥٦ السودان

رابعا — الاحتلال الايطالى :

١٩١١ — ١٩٥١ ليبيا

خامسا — التآمر على فلسطين :

١٦ / ٥ / ١٩١٦ معاهدة سايكس / بيكو

٢ / ١١ / ١٩١٧ وعد بلفور

١٩٢٢ أقرت عصبة الأمم صك الانتداب البريطانى على فلسطين.

ويصرح الكاتب اليهودى آرثر كوستلر عن وعد بلفور بقوله: « إنه وثيقة سياسية أعطت فيه أمة لأمة أخرى وعدا بأرض تملكها أمة ثالثة » .

* * *

التدخل الاجنبى فى مصر نتيجة لنزوات حكامها وقتئذ :

إن الغفلة التى اتسم بها سعيد والانسياق فى تيار النزوات التى اتسم بها إسماعيل ورط البلاد بالتزامات سياسية وأعباء مالية ضيعت على البلاد ليس حقوقها فى قناة السويس فحسب ، بل سيادتها على البلاد بعدئذ . ولا أدل من

طلب لجنة التحقيق التى شكلت لدراسة المالية المصرية تأليف وزارة أوربية فى مصر عام ١٨٧٨ برئاسة نوبار باشا الأرمنى تضم وزيرا إنجليزيا وآخر فرنسيا عدا عدد كبير من الموظفين الأوربيين الآخرين الذين شغلوا بعض المناصب الكبرى فى الإدارة المصرية .

وقد استطاع جمبيتا رئيس وزراء فرنسا أن يؤثر فى إنجلترا فيقنع وزير خارجيتها بأن ترسل الدولتان مذكرة مشتركة إلى الخديو تعدانه فيها بالمساعدة فى رد الأخطار التى قد تواجهه ، وقدمت المذكرة إلى الخديو فى ٧ يناير ١٨٨٢ ، فأثارت شعور الوطنيين المصريين إذ أن مجرد توجيهها يعد تدخلا سافراً فى شئون مصر .

المؤتمرات السياسية واقتسام الشام :

إن تقرير « كامبل بنرمان » السابق ذكره كان ومايزال موضع تقدير ساسة الإمبريالية ، ومن خلال الحقيقة الاستعمارية التى أثبتها تقرير « كامبل بنرمان » يتضح لنا التقاء الاستعمار الجديد مع الحركة الصهيونية المتصاعدة . فالاستعمار يهدف إلى محو عروبة المنطقة التى تصل آسيا بإفريقيا ، والصهيونية تريد السيطرة على أرض الميعاد وإقامة دولة إسرائيل فى فلسطين.

سار الاستعمار والصهيونية منذ عام ١٩٠٧ جنبا إلى جنب ، حيث التقت أهدافهما لمحو عروبة فلسطين ؛ ولما لم تكن بريطانيا تسيطر على فلسطين وقتئذ ، فقد اقترحت توطين اليهود وإقامة مستعمرات لهم فى شبه جزيرة سيناء ، إلا أن الحكومة المصرية فى ذلك الوقت تنبهت إلى هذا الخطر وقاومته بشدة .

وعادت بريطانيا تعرض على الصهيونيين استيطان مستعمرة « أوغندة »

فى وسط إفريقيا كمنطقة تجمع اليهود ثم يصير نقلهم بعد ذلك إلى فلسطين ، غير أن المؤتمر الصهيونى فى عام ١٩٠٨ رفض هذا العرض ، وأصر على ضرورة هجرة اليهود إلى أرض الميعاد .

ومنذ ذلك التاريخ وضعت الصهيونية كل إمكانياتها ونفوذها المالى والسياسى فى خدمة الاستعمار البريطانى ، وساهمت فى خلق ظروف الحرب العالمية الأولى ، كما اتفقت مع بريطانيا للضغط على أمريكا لدخول الحرب بجانب الحلفاء مقابل الوعد بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .

وما إن نشبت الحرب العالمية الأولى حتى أخذ اليهود يضغطون على بريطانيا لتحقيق وعودها لهم ، بالرغم من أن بريطانيا سبق أن وعدت العرب باستقلالهم مقابل مساعدتهم لها فى القضاء على الإمبراطورية العثمانية .

وقبل نهاية الحرب قدم الزعيم الصهيونى « البريطانى الجنسية » « صموئيل » إلى الحكومة البريطانية تقريرا عرض عليها فيه مشروع تأسيس دولة يهودية فى فلسطين تحت إشرافها ، واقترح حشد ٣ أو ٤ ملايين يهودى أوربى فيها ، وبرر مشروعه بجملته المشهورة : « فنكون بذلك قد أوجدنا بجانب مصر وقناة السويس دولة جديدة موالية لبريطانيا » . وبعد مشاورات شكلية صدر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ تصريح بلفور وزير خارجية بريطانيا وقتئذ ، والمشهور « بوعد بلفور » والذى جاء فيه :

« إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى . وسوف تبذل أفضل جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية . . . » . وقد جاء هذا الوعد بعد سنة ونصف سنة فقط من اتفاق بريطانيا مع العرب على استقلال البلاد العربية ومن ضمنها فلسطين .

لقد حاولت بريطانيا أن تبرر صدور « وعد بلفور » بظروف الحرب العالمية الأولى ، وأن ما قصد به هو الحصول على تأييد الصهيونية العالمية وخصوصا فى أقوى معاقلها بالولايات الأمريكية المتحدة لقضية الحلفاء .

والواقع أن وعد بلفور ما هو إلا جزء من خطة الاستعمار للقضاء على عروبة فلسطين ، ويؤيد هـذا ما قاله الدكتور حاييم وايزمن بعد انتهاء الحـــــرب :

« إننا اتفقنا مع الحكومة البريطانية على تسليم فلسطين لليهود خالية من سكانها العرب »

من ذلك يتضح لنا أن الادعاء التاريخى بالوطن القومى ، وأطماع الرأسمالية اليهودية ، وخطط الاستعمار العالمى ـ التقت أهدافها على أرض فلسطين .

فلولا الاستعمار البريطانى بالذات لما قامت مشكلة إسرائيل ولما واجه العالم مأساة من أفجع مآسيه .

بريطانيا تتآمر على العرب :

منذ أن التقت أهداف الاستعمار والصهيونية فى أوائل القرن الحالى أخذت بريطانيا تعمل جاهدة لتنفيذ مخططها الاستعمارى بتمزيق شمل الوطن العربى ، والسيطرة عليه سياسياً واقتصاديا ، وكان سبيلها فى ذلك هو إقامة دولة إسرائيل لتكون قاعدة للاستعمار العالمى وأداة للإرهاب والعدوان على الشعب العربى .

وقد سنحت لبريطانيا هذه الفرصة فى فترة الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ ، فاستطاعت باعتبارها أكبر الدول الاستعمارية وقتئذ وأقواها نفوذا بالتعاون مع الاستعمار العالمى والصهيونية العالمية ، والرجعية العربية

أن تنفذ تخطيطها المرسوم والموجه إلى قلب الأمة العربية فى فلسطين .

لقد بدأت بريطانيا سياستها فى هذه الفترة بالغش والخداع ، فأطماعها فى أملاك الإمبراطورية العثمانية معروفة منذ أن احتلت مصر عام ١٨٨٢ ولهذا أخذت تعلن عن مبادىء الحرية وعن حق تقرير المصير بالنسبة للشعب العربى مقابل أن يثور على الحكم التركى.. إلا أن العرب كانوا حريصين ، ولم يستجيبوا إلى هذه الوعود التى لا تستند إلى أى دليل أو اتفاق ، بل كانت مجرد وعود جوفاء .

ولكن على أثر الهزائم التى منى بها الإنجليز فى معركتى غاليبولى فى تركيا وكرت العمارة فى العراق بدأوا فى اتخاذ خطوات إيجابية بالاتصال بالعرب لإجراء مفاوضات للوصول إلى اتفاق .

قبول الشريف حسين لوعد بلفور (١) :

أكد هجارث — مندوب القيادة البريطانية فى مصر — للشريف حسين أن وعد بلفور لا يعرض العرب لحكم اليهود قط . وأخذ يصور له حسنات وهمية يجنيها العرب من تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين : منها أن صداقة الصهيونيين للعرب تتيح للهاشميين صداقة دول كثيرة تخضع للنفوذ الصهيونى ، وأن يهود أوربا وأمريكا سيهاجرون إلى فلسطين وهم يحملون ثرواتهم لاستغلالها فى البلاد ، وإشراك العرب بأرباحها .

ولقد سبق أن استعمل بالمرستن هذا المنطق مع السلطان العثمانى بواسطة سفيره ١٨٣٩ — ١٨٤٠ للسماح باستيطان اليهود لأجزاء من فلسطين ، وإذا كنا نصدق هجارث ، وليس لدينا مصدر رسمى غيره عن تفاصيل رحلته لمقابلة

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين للدكتور أنيس صايغ ص٦٧ .

الحسين ، فإن الحسين « أبدى استعداده التام لقبول الفكرة ووافق عليها بحماس قائلا : إنه يرحب باليهود فى كل البلاد العربية » . لكن هجارث لم يكتم سخريته من حماس الحسين ، وقال إن عميد الهاشميين وافق على مشروعه ، « دون أن يعرف شيئا عن واقع فلسطين الاقتصادى » .

ومما يدعونا إلى تصديق ما رواه هجارث أن حسين نفسه كتب مقالا فى جريدة « القبلة » [١] بعد زيارة ضيفه البريطانى بوقت قصير ، يمدح فيه الهجرة اليهودية إلى فلسطين ويشيد بأثرها فى تطوير البلاد ويعلن تشجيعه لها . ولم يجد الحسين فى مقاله فرقا بين اليهود والصهيونيين إلا أنها « حركة سامية لا اعتراض عليها » .

الثورة العربية الكبرى (٢) :

اندلعت الثورة العربية ضد تركيا ، وبدا كل شىء وكأنه يسير فى طريق مضاد تماما لما كان مأمولا ومرجوا من العناصر العربية القومية التى تحركت إلى الثورة ضد الخلافة العثمانية ، مدفوعة بأحلام عريضة فى استقلال الأمة العربية ووحدتها .

وكان السبب الرئيسى هو دور الشريف حسين الذى اختاره الإنجليز عدوا لتركيا ، واختاره فى نفس الوقت أحرار العرب ، تصوروا من الجانبين — وعلى غير اتفاق بينهما — أن الثورة ضد الخليفة العثمانى لا يمكن أن تنجح إلا إذا تصدرها رأس تعلوه عمامة ! !

---

(١) ١٩١٨/٣/٢٣ .

(٢) ملوك العرب — أمين الريحانى . وللدكتور أنيس صايغ المؤرخ اللبنانى القدير فى دراسة له عن الهاشميين وفى صفحة ٩٨ من الجزء الأول فيها نص عن التيارات التى لعبت دورا بين القوميين مثل عزيز المصرى ، ولما أخفقت هذه التيارات معه واجهته السلطات البريطانية بالتعويق ومراقبة تحركاته ثم طرده من مصر ، فاختار اسبانيا مقرا لنفيه .

ووفد على الشريف حسين رسول من كتشنر قائد القوات البريطانية فى مصر يعرض عليه أن يشارك فى المجهود الحربى ضد سلطان تركيا ، وأن يتزعم المسلمين خليفة عليهم بعد سقوط استانبول ، وتجمع كل المصادر التاريخية أن الشريف حسين قبل أن يفتح باب الحديث عريضا ومتصلا مع الإنجليز لعدة أسباب :

١ — أن رسول كتشنر ثم رسل مكماهون من بعده — وبينهم لورنس — حملوا إليه ذهبا كثيرا وسلاحا كثيرا ووعدوه بذهب أكثر وسلاح أكثر .

٢ — أن الشريف حسين كان فى حاجة إلى المال لأن مواسم الحج بارت كلها بسبب ظروف الحرب ، وانقطاع طريق البحر .

٣ — أن السلطان العثمانى كان يشك فى شريف مكة وأبنائه ولا يثق بهم ، ورفض أن تكون فيهم إمارة الحجاز متوارثة لهم .

٤ — أن أحرار العرب بدأوا يسقطون واحداً بعد واحد أو يبتعدون عن الثورة أو ما بقى من أشباحها ، حتى لم يعد فى الميدان غير الهاشميين والإنجليز .

فقد انسحبت أو أبعدت أو صفيت حتى بالاغتيال — كما حدث لعبد القادر الجزائرى ، وكما حدث لعزيز المصرى — كل العناصر القومية التى حلمت يوما باستقلال العرب ووحدتهم .

لم يبق إلا الهاشميون . . . ولورنس . . . وستورز . . .

وقد اتخذت بريطانيا من الشريف حسين ركيزة للاعتماد عليها ، وجرت المفاوضات على شكل رسائل متبادلة بين آرثر مكماهون المندوب السامى البريطانى فى مصر فى ذلك الوقت ، والشريف حسين شريف مكة ، وتبودلت بينهما عشر رسائل فى الفترة من يوليو ١٩١٥ — إلى مارس ١٩١٦ ، وكانت تعرف برسائل مكماهون — حسين .

وقد اعترفت بريطانيا فى هذه الرسائل بحق العرب فى الاستقلال والوحدة ، وكان من نتيجة ذلك ثورة العرب على الأتراك وتركهم صفوف الجيش التركى والانضمام إلى القوات العربية التى شكلت فى ذلك الوقت لمعاونة القوات البريطانية الزاحفة إلى فلسطين وبلاد الشام . وحينما اطمأنت بريطانيا إلى العرب وأنهم قد صدقوا وعودها ، بدأت سلسلة من الاتفاقات السرية مع حلفائها .

فعقدت معاهدة بطرسبورج بين بريطانيا وفرنسا وروسيا فى مارس « آذار » سنة ١٩١٦ ، وقد اتفق فى هذه المعاهدة على تقسيم أملاك الدولة العثمانية بين الدول الثلاث ، فكانت أملاك تركيا فى آسيا الصغرى من نصيب روسيا ، وسوريا ولبنان من نصيب فرنسا ، والعراق وفلسطين من نصيب بريطانيا ، واستبعدت من التقسيم الحجاز ونجد واليمن .

ثم جاء اتفاق «سايكس ـ بيكو » فى مايو سنة ١٩١٦ بين بريطانيا وفرنسا تدعيما لما اتفق عليه فى معاهدة بطرسبورج الذى وزع العالم العربى شركة بين الاستعمار البريطانى ، والاستعمار الفرنسى ، ولقد أذيعت تفاصيل هذه المعاهدة وسط أحداث الثورة العربية وذلك أن نسخة منها كانت محفوظة فى سجلات وزارة الخارجية لروسيا القيصرية ، وحين انهارت القيصرية بهزيمتها فى الحرب وبقيام الثورة الشيوعية حرصت الحكومة الثورية الجديدة على أن تذيع أمام الرأى العام العالمى كل الارتباطات الاستعمارية التى كانت سبب الحرب العالمية الأولى ومحركها القوى ، وروع أحرار العرب جميعا بنصوص هذه المعاهدة إلا الهاشميين .

ولما اطمأنت بريطانيا إلى أن زمام الأمور أصبح فى يدها . . أصدرت وحدها فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ وعد بلفور وبلغته سراً إلى زعماء الصهيونية قبل دخول جيوشها إلى فلسطين .

ومما هو جدير بالذكر أن بريطانيا كتمت تفاصيل اتفاقها مع حليفتيها روسيا وفرنسا وتآمرها مع الصهيونية على اغتصاب فلسطين عن حلفائها العرب، كما أنها لم تعلن تفاصيل اتفاقها مع العرب فى الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين ومكماهون والمعروفة برسائل « حسين ـ مكماهون » .

وكان وعد بلفور صدمة لكل عربى حر إلا الهاشميين الذين كانوا يعتبرون الثورة العربية الكبرى مسألة عائلية توزع مناصبها جميعا على أبناء الشريف حسين: الأمير على أكبر أبنائه نائبا للملك فى الحجاز، والأمير عبدالله نائبا للملك فى العراق، والأمير فيصل نائبا له فى الشام. كل ذلك ونصيب الأسرة الهاشمية فى الثورة لم يزد على رصاصة أطلقت فى الهواء من شرفة القصر فى مكة إعلانا لبدئها فى حركة مسرحية اقترحها عليه « لورنس» الذى شهدها ووصفها فى أعمدة الحكمة السبعة .

وحين كتبت بعض الصحف البريطانية تبدى تخوفها من أن التاريخ قد يقول يوما إن بريطانيا طعنت أصدقاءها العرب فى ظهورهم أثناء معركتهم إلى جانبها، اكتفى رئيس الوزارة البريطانية لويد جورج بأن يقول وقتها :

« لدى ما يحملنى على الاعتقاد وأنا واثق — أنه ليس فيما فعلناه ما يمكن أن يكون مفاجأة لأصدقائنا العرب » ! !

وعلى أثر نشوب الثورة الشيوعية فى أكتوبر سنة ١٩١٧ التى كان من ورائها قولا وعملا وتمويلا وتخطيطا عتاة اليهود الصهيونيين، أعلنت الحكومة السوفيتية ـ هادفة لتأكيد قانونية وعد بلفور بإعلانه للعرب الطرف الثانى — الاتفاقات السرية التى عقدتها حكومة روسيا القيصرية — مع إنجلترا وفرنسا — وقد استغلت الحكومة التركية ذلك فى تنبيه العرب إلى افتضاح مؤامرات بريطانيا، مما دعا العرب الأحرار إلى التساؤل

من بريطانيا عن حقيقة هذه الاتفاقيات ، فنفت بريطانيا ذلك بشدة ، وأكدت عزمها على مساعدة العرب على نيل حريتهم وتشكيل حكومات وطنية مستقلة في البلاد العربية .

وبالرغم من هذه الوعود التي بذلتها بريطانيا « باحترام استقلال البلاد العربية » فقد فوجيء العرب بوضع فلسطين بعد تحريرها تحت إشراف إدارة أراضي العدو المحتلة . وباشرت السلطات البريطانية وضع « وعد بلفور » موضع التنفيذ وسمحت لليهود بالمشاركة في إدارة البلاد وإعدادها للوطن القومي اليهودي .

ويقول الكاتب اليهودي آرثر كوستلر عن وعد بلفور : «إنه أول وثيقة سياسية تحصل عليها الصهيونية تأييدا لأهدافها » . وبصدوره دخلت فلسطين أولى مراحل كفاحها الطويل حفاظا على عروبتها وحريتها .

أما وجهة نظر بريطانيا باستعمار فلسطين فيمكن أن نأخذ مثالا عنها من رسالة بعث بها الكولونيل مايتز تساغن إلى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا سنة ١٩١٩ يقول فيها : « إننا نسير بحكمة زائدة مستهدفين السماح لليهود بإنشاء وطن قومي في فلسطين. لقد حررنا العرب من نير الاستعمار التركي ولن نستطيع البقاء في مصر إلى الأبد . . وبريطانيا تتحكم الآن في الشرق الأوسط . ونحن لانستطيع أن نكون أصدقاء للعرب واليهود في آن واحد ، وإنني أقترح منح الصداقة البريطانية لليهود وحدهم باعتبارهم الشعب الذي سيكون صديقنا المخلص الموالي في المستقبل ».

ويقول الدكتور أنيس صايغ(١) عن الخطة التي استخلصت منها

(١) الهاشميون وقضية فلسطين — صفحة ٦٩ .

بريطانيا قانونية وعد بلفور : « افترض حلم سايكس الدبلوماسى البريطانى الذى شارك فى التوقيع على اتفاقية سايكس — بيكو المشئومة التى قسمت العالم العربى ، أن يكون للحركة القومية العربية زعامة « معتدلة » تربط بين أهداف الحركة والأطماع الصهيونية » .

لذلك علقت الآمال على فيصل منذ أن استبشر لورنس به خيرا وأخذ يقدمه على أبيه وإخوته وسلط الأضواء عليه ، ونتيجة لذلك أعد المسئولون البريطانيون فى القاهرة مشروع لقاء بين الدكتور حاييم وايزمن وفيصل ، هو الأول من نوعه بين زعماء الحركتين المتناقضين ، ليسهم الجمع بينهما فى تحقيق الحلم ويسهل على بريطانيا تحقيق وعد بلفور ، بعد أن نجح هجارث فى الحصول على تأييد الحسين فى مطلع ١٩١٨ . وكان وايزمن قد جاء إلى فلسطين فى ربيع تلك السنة على رأس لجنة صهيونية ـ بريطانية خولتها الحكومة البريطانية درس مستقبل العلاقات بين اليهود وسلطات الاحتلال فى فلسطين ، وعهدت إليها بتقوية تلك العلاقات وتنظيم شئون يهود فلسطين وتأسيس مستعمرات جديدة ، وكانت تلك اللجنة تمثل صهيونيي العالم ، واشترك فيها أربعة من كبار الصهيونيين ، ومراقبان رسميان أحدهما يهودى صهيونى « جيمس روتشيلد » والآخر ضابط شبه مستعرب أصبح فيما بعد وزيراً للمستعمرات ، الميجور أورمسبى جور « اللورد هارلش » فيما بعد .

غادرت اللجنة لندن ، بعد أن قابلت الملك جورج الخامس ، ووصلت القدس فى أوائل إبريل « نيسان » ١٩١٨ ، وعملت فى الأسابيع الأولى من إقامتها فى فلسطين على تركيز وضعها بين يهود فلسطين وفى تأسيس شبه حكومة ودوائر رسمية وسفارات وشرطة وجيش وميزانية . وقد حاولت بعد أن انتهت من تلك الأعمال ، أن تقنع زعماء فلسطين بالتعاون معها . ولكنها

فشلت وصدها أغلب الزعماء ، بالرغم من جهود رونالد ستورز . عند ذاك رتب الجنرال اللنبي ، القائد العام للقوات البريطانية فى فلسطين ، أمر الجمع بين رئيس اللجنة وفيصل ، وكان فيصل يقيم مع جنوده فى جوار العقبة ، قبيل بدء الهجوم العام على الشمال ، وكان والده قد أخبره بمضمون مباحثاته مع هجارث ، وطمأنه إلى حسنات وعد بلفور ومزاياه . وقد ذكر فيصل فيما بعد ، فى حديث أجراه مع صديقته السيدة أرسكن أن والده أرسل يأمره بألا يهتم بالضجة التى أقامها بعض العرب حول قصة وعد بلفور حينما عرفت تفاصيله ، وأن يتابع عمله فى خدمة البريطانيين ، وإلا فهو « خائن » فى نظر أبيه .

وقد كان فيصل فى خدمة بريطانيا والصهيونية العالمية ، وقد جاء فى أهرام ٣٠ يونيو « حزيران » ١٩٦٦ أن السيد / أحمد الشقيرى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية قدم عشر وثائق خطيرة إلى ممثلى الملوك والرؤساء العرب أثناء انعقاد ثالث وآخر جلسات دورتها الحالية ومنها هذه الوثيقة « اتفاقية وايزمن / فيصل » ، وتتضمن المواد التالية :

المادة الأولى : قيام علاقات بين الدول العربية وفلسطين وتعيين ممثلين معتمدين فى بلديهما .

المادة الثانية : إنشاء لجنة لوضع الحدود بين الدولة العربية وفلسطين .

المادة الثالثة : الموافقة على تنفيذ وعد بلفور الصادر فى ١٩١٧/١١/٢ .

المادة الرابعة : تنشيط الهجرة اليهودية على نطاق واسع ، وإسكان اليهود فى الأراضى .

المادة السابعة : الجمعية الصهيونية تساعد الدول العربية على تنمية مواردها الطبيعية وإمكانياتها الاقتصادية .

المادة الثامنة : يتعاون الطرفان بانسجام وتفاهم تامين لدى مؤتمر الصلح في جميع الأمور الواردة في هذا الاتفاق .

ولقد استندت الصهيونية فى قانونية الاستيطان بفلسطين إلى الاتفاقية التى تمت بين فيصل ووايزمن فى ٣ يناير ١٩١٩ والمعروفة باتفاقية فيصل وايزمن والتى قدمتها إلى لجنة التحقيق البريطانية سنة ١٩٣٨ وتنص على ما يأتى :

« اتفق الطرفان على ما يلى :

« تأسيس كيان فلسطينى منفصل عن الدولة العربية فى سورية » (مادة ١) .

«تقوم الدولة الفلسطينية ، بكل التدابير لتحقيق وعد الحكومة البريطانية فى الثانى من نوفمبر ١٩١٧ فى دستورها وإدارتها » (مادة ٣) .

« اتخاذ كل الإجراءات الضرورية لتمهد هجرة اليهود إلى فلسطين على نطاق واسع وتشجيعها بأسرع وقت ممكن ليستقر المهاجرون الجدد فى البلاد » (مادة ٤).

« أن يرسل الصهيونيون لجنة لدرس أوضاع فلسطين وإمكانياتها ومدى استثمارها لصالح العرب واليهود » (مادة ٧)

« أن تكون الحكومة البريطانية هى الحكم فى حال نشوب خلاف بين الطرفين » (مادة ٩)

وقد يبدو لأول وهلة أن النص واحد فى الوثيقة التى قدمها الشقيرى وفى الوثيقة التى قدمتها الصهيونية إلى لجنة التحقيق البريطانية سنة ١٩٣٨ ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، فإن التزييف اللفظى فى التركيب والبناء يعطى الصهيونيين حقوقا لا مناص منها .

والواقع أن بريطانيا استطاعت أن تعتمد على شخصية عربية حققت لها

مطامعها الإمبريالية وحققت لها تنفيذ وعد بلفور، والفضل فى هذا الاكتشاف لصالح الإمبريالية الصهيونية هو فى نصيحة لورنس الذى قال : « لا أمل فى قيام وحدة عربية ، لا فى الحاضر ولا فى المستقبل ، وإن التعامل مع العرب يجب أن يكون بواسطة الهاشميين ، وبواسطة أبناء الحسين بنوع خاص »(١) .

وهكذا كانت الخطة الثانية هى خطـــة التهويد « Judaization » بعد أن تحقق لبريطانيا الاطمئنان إلى تنفيذ وعد بلفور من الجانب العربى ، ولا يتأتى تهويد فلسطين إلا بوضعها تحت سلطة الانتداب البريطانى .

الانتداب البريطانى على فلسطين

وفى عام ١٩٢٢ أقرت عصبة الأمم صك الانتداب الذى تضمن المخطط العملى لتأييد الدولة الصهيونية ، ونصت المادة الثانية منه على مسئولية الدولة المنتدبة — بريطانيا — عن تهيئة الأوضاع السياسية والإدارية والاقتصادية بما يكفل تنفيذ إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين، وفى ظل الحكم العسكرى البريطانى الممهور بتوقيع عصبة الأمم سارت عملية خلق إسرائيل وفق ذلك المخطط المدروس الشامل .

بريطانيا تنفذ صك الانتداب :

كان لابد أولا من إيجاد نسبة من السكان اليهود تكون كافية لتبرير

---

(١) لورنس فى مذكرة رسمية من وثائق وزارة الخارجية البريطانية وكان اقتراحه فيها أن يصبح الشريف حسين ملكا للحجاز ، ويخلفه ابنه على، وأن يكون فيصل ملكا فى سوريا، وزيد ملكا فى شمال العراق ، وعبد الله ملكا فى جنوب العراق .

فكرة الوطن القومى اليهودى نظريا ، وإقامة الدولة الصهيونية عمليا . وهكذا فتح الاستعمار البريطانى أبواب فلسطين لهجرة اليهود الغرباء ، وبسط حمايته على الهجرة غير المشروعة .

فبينما لم يزد عدد المهاجرين اليهود طيلة ٣٥ عاما قبل الاحتلال البريطانى عن ٢٥ ألف يهودى ، فإنه قد دخل مهاجرا إلى فلسطين خلال الأربع السنوات الأولى فقط من الاحتلال أكثر من ٢٦ ألفا يهودى .

وارتفع هذا العدد إلى ١٠٠ ألف بعد عشر سنوات من الاحتلال ، ثم ارتفع إلى ٢٥٠ ألفاً بعد ١٧ سنة من الاحتلال .

لقد دخل الاستعمار البريطانى فلسطين وفيها ٥٦ ألف يهودى فقط ، وغادرها بعد أن ترك فيها ٧٠٠ ألف يهودى ، أى أن عدد اليهود ارتفع بمقدار ١٢ ضعفا خلال فترة الاحتلال البريطانى وبفضله . وكان لا بد بعد إيجاد السكان اليهود من إيجاد الأرض لهم .

ولما لم تجد سياسة الإغراء المالى التى لجأت إليها الصهيونية ، تقدم الاستعمار البريطانى ليمارس سياسة شاملة من تضييق الخناق على العرب ، وسن التشريعات الزراعية المجحفة ، وتحميل المزارعين من العرب مزيداً من الضرائب بهدف دفعهم إلى بيع أراضيهم بينما تمنح الأراضى لليهود ويشجعون بمختلف الحوافز القانونية على امتلاك الأرض . ومع ذلك فإن نسبة ما استحوذوا عليه لم تزد على ٢¼ ٪ ولم يتجاوز مجموع الأراضى التى امتلكها الصهيونيون حتى عام ١٩٤٨ ٦ ٪ من مجموع أراضى فلسطين ، وهى مساحة ليست بكافية لاستيعاب اليهود المهاجرين .

وكان لا بد من تأسيس إدارة صهيونية تنظم وجود أولئك السكان على تلك الأراضى وتكون نواة حكومة الدولة الصهيونية مستقبلا .

وهكذا رفض الاستعمار البريطانى البحث فى أى حكم وطنى أو حتى

دستورى ، لأن ذلك كما قال تشرشل : « يتناقض مع الوعد الممنوح لليهود بإقامة وطن قومى يهودى فى فلسطين » . ولـكنه اعترف فى الوقت نفسه بالوكالة اليهودية ، وأشرك اليهود على نطاق واسع فى إدارة البلاد بحيث أصبحت الوكالة اليهودية فى فلسطين « دولة داخل دولة » ، وكان لابد أخيراً من إيجاد قوة عسكرية منظمة تحمى هذا الوجود الصهيونى النامى من جهة ، وتقاتل لإقامة الدولة الصهيونية حين يأتى الوقت من جهة ثانية .

وهكذا سمح الاستعمار البريطانى للوكالة اليهودية بتأسيس منظمة الهاجاناه العسكرية والمنظمات الإرهابية الصهيونية التى تفرعت منها : الأرغون ، والشترن ، وأمد المستعمرات اليهودية المبنية على أساس استراتيجى بالسلاح ، وأسهم فى تدريب اليهود عسكريا . كل ذلك فى الوقت الذى كان فيه السجن المؤبد والإعدام من نصيب من يمتلك سلاحا من العرب ، وكانوا يقترون على الجيش العربى فى السلاح ولا يسلحونه إلا بأسوأ أنواعه وأقدمها ، وكان بعضها من بقايا الحرب الروسية اليابانية فى مطلع القرن ، وكان بعضه يتفجر فى وجه الجنود عند استعماله . وكانوا يتركون الجنود الجدد على فوضويتهم البدائية التى تحول دون تحويلهم إلى جنود حقيقيين ، وكانوا يمنعون الضباط العرب من الاطلاع على الخطط العسكرية التى هى من اختصاصهم ، وكانوا يكتمون هذه الخطط حتى عن القائد العام « العربى » .

مؤتمر ومعاهدات الصلح

حين عقد مؤتمر الصلح فى يناير سنة ١٩١٩ ، شكل وفد عربى ليعرض أمام المؤتمر مطالب العرب فى الحرية والاستقلال كما وعد الحلفاء . . . كما طالبت الوكالة اليهودية بتنفيذ وعد بلفور الممنوح للصهيونيين بإقامة وطن قومى يهودى

بفلسطين. وأعلنت بريطانيا أن وعودها لا تشمل فلسطين ، وأخذت مع فرنسا تخططان وتبحثان شئون البلاد العربيـة بينهما على ضوء مصـالحهما فقط دون أدنى اعتبار للمواثيق والعهود التى قطعتاها على نفسيهما ، ودون مراعاة المواثيق والمبادىء الدولية .

وفى يونيو ١٩١٩ انتهى مؤتمر الصلح فى فرساى من وضع ميثاق عصبة الأمم المتحدة ، وكان واضحا أن الحلفاء قد نسوا فى نشوة انتصارهم مبادئهم ووعودهم للشعوب التى تحررت من الحـكم التركى والألمانى ، كما توصلوا إلى طريقة جديدة تمـكنهم من السيطرة على الشعوب باسم « الانتداب » ، وجاء المجلس الأعلى للحلفاء فى مؤتمر سان ريمو فى إبريل سنة ١٩٢٠ ليؤكد وضع فلسطين والعراق تحت الانتداب البريطانى ، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى ، وذلك بعـد أن آثر أبناء الشريف حسين وهم : فيصل ، وعبد الله ، وزيد ، الخضوع لرغبات بريطانيا والوكالة اليهودية مقابل عروش زائفة عرضها عليهم الإنجليز .

ثم وقع المجلس الأعلى للحلفاء معاهدة سيفر مع تركيا فى أغسطس سنة ١٩٢٠ تحت شعار فصل الولايات العربية عن تركيا المهزومة .

ومن الغريب أن يكون ذلك قبل بحث صك الانتداب على فلسطين وجاءت هذه المعاهدة مؤكدة لوعد بلفور ، ولإنشاء وطن قومى فى فلسطين . غير أن معاهدة لوزان التى عقدت بين الحلفاء وتركيا فى يوليو ١٩٢٣ وحلت محل معاهدة سيفر لم يرد فيها قبول تركيا مبدأ الانتداب على الولايات العربية المشطورة منها ، أو قبولها وعد بلفور ، فقد رفض كمال أتاتورك معاهدة سيفر وكل ما جاء فيها .

الانتداب على فلسطين والتدخل الامريكى :

على الرغم من إعلان عصبة الأمم مشروع الانتداب على فلسطين فى يوليو

١٩٢١ فإن إقرار صك الانتداب لم يتم إلا فى يوليو ١٩٢٢ ويرجع ذلك إلى تدخل أمريكا فى الأمر لمحاولة الاتفاق مع بريطانيا لصيانة مصالحها فى فلسطين قبل إقرار صك الانتداب على أساس أنها إحدى دول الحلفاء التى اشتركت فى الحرب . وقد اتخذ الكونجرس الأمريكى قرارا فى يوليو ١٩٢٢ بتأييد إنشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين ، وبإقرار صك الانتداب ، والموافقة على أن تكون بريطانيا هى الدولة المنتدبة على فلسطين .

وقد أشير فى صك الانتداب إلى وعد بلفور وموافقة دول الحلفاء على إنشاء وطن قومى لليهود ، ومسئولية الدولة المنتدبة فى إنشاء هذا الوطن .

كما صار الاعتراف بالوكالة اليهودية كهيئة لإبداء المشورة والمعونة لإدارة فلسطين فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية ، كما نص على تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين ومنحهم الجنسية الفلسطينية . . وأن تكون الإنجليزية والعبرية والعربية هى اللغات الرسمية فى فلسطين .

تواطؤ بريطانيا سبب الاضطرابات بفلسطين

عينت بريطانيا السير « هربرت صموئيل » مندوبا ساميا لها ، وهو صهيونى النزعة يهودى الديانة ، وما إن تسلم مقاليد الحكم فى البلاد حتى شرع فى الاستمرار فى عملية تهويد الإدارة ، وتهيئة البلاد لقيام الوطن القومى اليهودى ، رغم استنكار العرب وتنبيههم لبريطانيا بخطورة هذه الإجراءات ، واتخذت بريطانيا عدة أساليب ملتوية لتطمئن العرب ، واتخذت من سياسة لجان التحقيق ، والكتب البيضاء ، والقرارات بعد كل ثورة ، وسيلة لإخفاء نواياها وأهدافها الحقيقية .

كما لم تحاول بريطانيا تنفيذ شروط انتدابها على فلسطين رغم إجحافها

بحقوق العرب ، فهى لم تمنح العرب حق الحكم الذاتى ، ولم تحقق لهم إنشاء أى مؤسسة من مؤسسات هذا الحكم كما يقضى بذلك ميثاق عصبة الأمم ، بل على العكس أخذت تسلب الشعب حقوقه وتغزوه بسيل من المهاجرين اليهود من كافة أنحاء العالم . وبصفة عامة تجاهلت كافة حقوق وأمانى الشعب العربى فى فلسطين ، مما أدى إلى قيام الاضطرابات والثورات فى كافة أنحاء البلاد .

الاضطرابات فى فلسطين :

كانت أولى هذه الاضطرابات فى عام ١٩٢٠ التى انقلبت إلى ثورة مسلحة فى كل من القدس ويافا ، وقتل فيها كثير من اليهود المقيمين والمهاجرين .

ولما وجدت بريطانيا أن مهمتها فى فلسطين ليست بالسهولة التى تصورتها لجأت إلى أسلوبها التقليدى بتأليف لجنة تحقيق فى إبريل عام ١٩٢٠ باسم « لجنة التحقيق العسكرية » للوقوف على أسباب هذه الثورة . وقد جاء تقرير هذه اللجنة صفعة لبريطانيا لأنها أوضحت الأسباب الحقيقية لهذه الاضطرابات التى تعرفها بريطانيا حق المعرفة ، والتى تنحصر فى خيبة أمل العرب لعدم تنفيذ الوعود باستقلالهم ، ولاعتقادهم بأن وعد بلفور يتضمن إنكارا لحق مصيرهم، وخوفهم من إنشاء الوطن اليهودى .

وبالرغم من هذا الاتهام الصريح لبريطانيا الذى جاء فى تقرير اللجنة والذى منع نشره فى فلسطين ، فقد استمرت بريطانيا فى سياستها لتمكن اليهود من السيطرة على البلاد مما أدى إلى قيام ثورة يافا عام ١٩٢١ التى شملت معظم أنحاء البلاد . وقد تردد صدى هذه الثورة فى البلاد العربية المجاورة ، مما أدى إلى قيام مظاهرات شعبية فيها تندد ببريطانيا وتلعن عهودها ومواثيقها .

ووفقا لسياسة بريطانيا التقليدية شكلت لجنة تحقيق عرفت باسم لجنة

هيكرافت ، وقد جاء تقرير اللجنة فى أكتوبر عام ١٩٢١ يدين بريطانيا ويؤيد تقرير اللجنة السابقة .

وفى عام ١٩٢٢ سافر وفد من عرب فلسطين إلى بريطانيا لعرض قضية بلاده فيها . وقد اهتم مجلس اللوردات بوجهة النظر الفلسطينية ، وقرر عدم الموافقة على صك الانتداب لمناقضته لعهود بريطانيا للعرب ، ولأنه لا يتفق مع رغبات سكان فلسطين .

إلا أن الضغط الصهيونى على مجلس العموم جعل هذا المجلس يتغاضى عن قرار مجلس اللوردات وأيد سياسة الحكومة التى كان يوجهها مستر تشرشل وزير المستعمرات فى ذلك الوقت ، والذى جاء فى رده على الوفد الفلسطينى : « إن الحكومة البريطانية لا تسمح بوضع دستورى فى فلسطين يحول دون تنفيذ عهد خطير قطعته بريطانيا كوعد بلفور ، ولا توافق على تأليف حكومة وطنية فى هذه المرحلة ، لأن ذلك يحول دون الإيفاء بعهودها للشعب اليهودى » .

وأصدرت بريطانيا كتابا أبيض فى يونيو ١٩٢٢ ، أوضحت فيه أن عهودها للشريف حسين شريف مكة لا تشمل فلسطين ، كما رفضت قيام حكم وطنى فى فلسطين ، وأعلنت تصميمها على استمرار الهجرة اليهودية وتنفيذ سياسة الانتداب .

وقد حاولت بريطانيا فى هذه الفترة إنشاء مجلس تشريعى لفلسطين يكون معظم أعضائه من الموظفين الإنجليز واليهود ، ويكون للمندوب السامى حق نقض قراراته ، إلا أن العرب لم يوافقوا ورفضوا الاشتراك فيه ، فاستعاض الإنجليز عنه بمجلس استشارى مثل فيه الموظفون الإنجليز واليهود فقط رغم أن العرب كانوا يؤلفون ٩١ ٪ من سكان فلسطين وقتئذ .

ثورة ١٩٢٩ :

وفى عام ١٩٢٩ ثار العرب ضد بريطانيا والصهيونية وشملت الثورة جميع البلاد وخاصة مدينة الخليل . وقد اشترك فى هذه الثورة كثير من أبناء البلاد العربية ، وتكبد الإنجليز واليهود خسائر فادحة نتيجة للهجمات التى كان يشنها الثوار العرب .

الكتاب الأبيض ١٩٣٠ :

وبالرغم من معرفة بريطانيا لأسباب الثورة فقد شكلت لجنة تحقيق جريا على سياسة المماطلة والخداع عام ١٩٣٠ برئاسة القاضى والترشو قاضى القضاة البريطانى السابق ، لمعرفة أسباب الثورة . ومرة أخرى تجىء النتائج مؤيدة لوجهة النظر العربية وتؤكد الظلم الواقع على العرب فى كل المجالات السياسية والاقتصادية والزراعية .

واضطرت بريطانيا فى أكتوبر من العام نفسه إلى إصدار الكتاب الأبيض الثانى المعروف بكتاب «باسفيلد» — نسبة إلى اسم وزير المستعمرات فى ذلك الوقت — وأكدت فيه عزمها على تنفيذ توصيات لجان التحقيق، ووضعت نصوصا تقيد انتقال الأراضى العربية إلى اليهود ، كما حددت الهجرة ورسمت خطوط الإصلاح الزراعى والاجتماعى فى البلاد ، كما أعلنت عن عزمها على تشكيل مجلس تشريعى.

لم يرفض العرب للشروع كما كانت بريطانيا تتوقع ، مما أحرج الحكومة البريطانية ، وأخذ غلاة الاستعماريين ينتقدون الحكومة ويطالبون بإلغائه ، كما قامت المظاهرات اليهودية فى انجلترا وأمريكا احتجاجا على المشروع ، مما حدا بالحكومة إلى التراجع عنه . وهكذا عادت بريطانيا إلى النقطة التى بدأت منها واستمرت سياستها وإجراءاتها التعسفية .

مشروع المجلس التشريعي ١٩٣٥ :

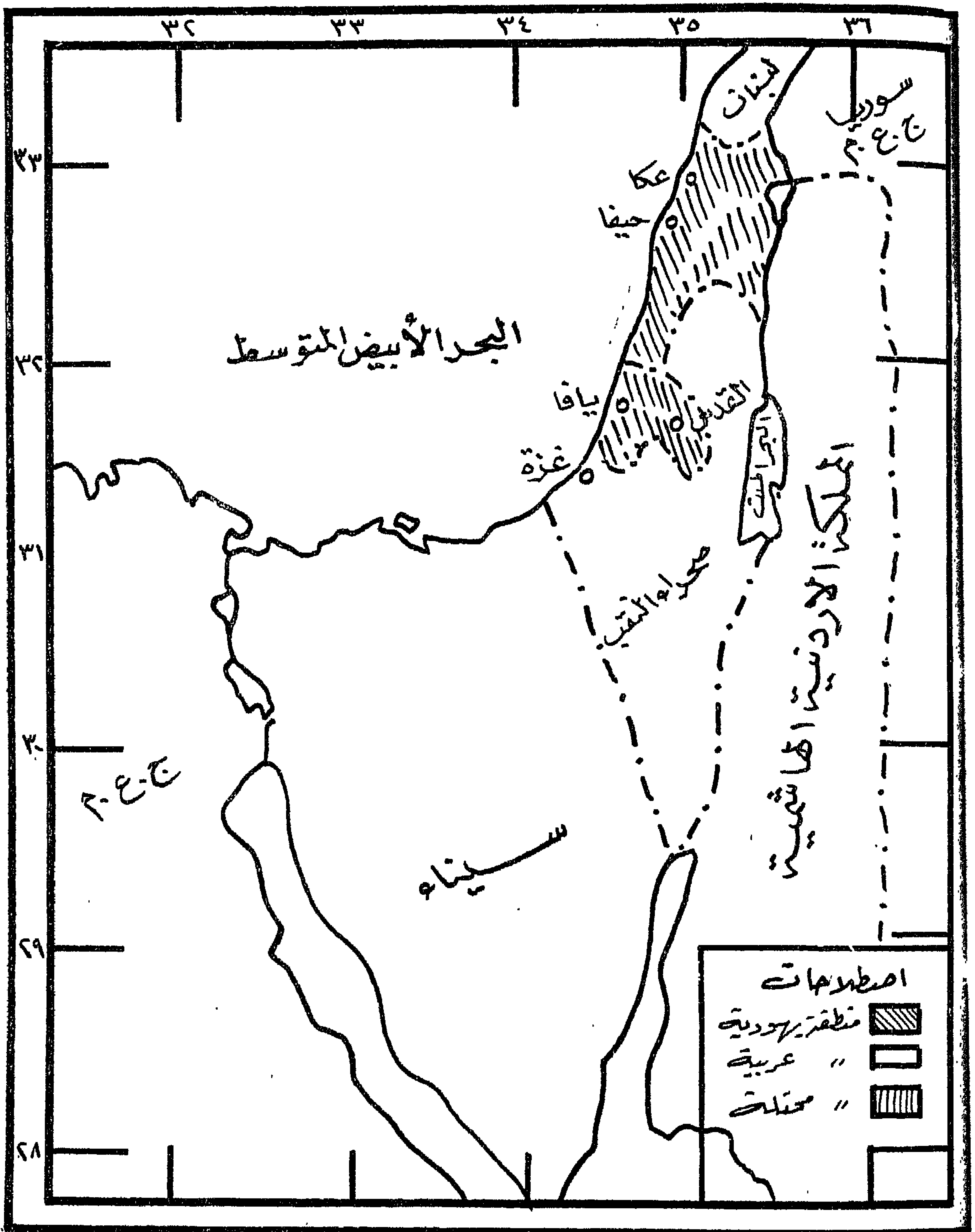
وإزاء تجدد حركات المقاومة عام ١٩٣٢ وما بعده ، فكرت بريطانيا فى وسيلة جديدة للخداع والتضليل ، فعرضت فى عام ١٩٣٥ مشروعا على العرب واليهود لإنشاء مجلس تشريعى من ٢٨ عضوا منهم أربعة عشر عضوا عربيا ، وسبعة من اليهود ، وسبعة من الموظفين الإنجليز. وقد قبل العرب هذا المشروع من ناحية المبدأ إلا أن اليهود بالاتفاق مع بريطانيا رفضوا المشروع وطالبوا بأن يكون لهم نصف الأعضاء على الأقل. وكانت بريطانيا قد رفعت نسبتهم السكانية إلى ٢٨٪ بعد أن كانوا ٥٪ عام ١٩١٨ ، وبدا أن الحكومة البريطانية غير متحمسة للمشروع وعلى استعداد للرجوع عنه ، فقامت ثورة عربية جديدة عام ١٩٣٥ احتجاجا على تآمر بريطانيا — وكانت الثورة بقيادة الشيخ عز الدين القسام وهو من أبناء سوريا — على قاعدة شعبية واعية ناتجة عن تنظيمات وخلايا سرية ، وكان مركزها حيفا ، وشملت جميع أنحاء البلاد ، وقد استشهد فيها قائد الثورة « الشيخ عز الدين القسام » واثنان من رفاقه أحدهما من مصر وثانيهما من فلسطين .

ثورة عام ١٩٣٦ :

وفى إبريل سنة ١٩٣٦ أعلن إخوان الشهيد عز الدين القسام الثورة الكبرى التى استمرت حتى أواخر سنة ١٩٣٩ ، وكانت أعظم ثورة عربية فى النصف الأول من القرن العشرين ، إذ اشترك آلاف من عرب فلسطين يدعمهم مئات من أحرار العرب الثوريين فى حرب ضد الإمبراطورية البريطانية ، وفى مواجهة جيش الإمبراطورية البريطانية الذى قدر بحوالى ثمانين ألف جندى .

وقد سجل العرب عشرات الانتصارات العسكرية فى جبال فلسطين ووديانها على الجيش البريطانى الذى كان مسلحا بأحدث أنواع الأسلحة ويقوده أكبر قادة بريطانيا العسكريين أمثال ويفل ، وديل ، ومونتجومرى .

طول شرق جرينتش



مشروع بالتقسيم سنة ١٩٣٧ وضعته اللجنة
الملكية البريطانية

اللجنة الملكية البريطانية :

وحينما رأت بريطانيا جيوش الثورة تسيطر على البلاد سارعت فى أغسطس عام ١٩٣٦ إلى الإعلان عن تأليف « اللجنة الملكية البريطانية التى تعرف باللجنة « بيل » للتحقيق فى أسباب الثورة ، وفى « يوليو » عام ١٩٣٧ أعلن تقرير اللجنة الذى نص على انتهاء الانتداب على فلسطين على أساس التقسيم إلى دولتين إحداهما عربية وتضم شرق الأردن ، والأخرى يهودية ، ومنطقة ثالثة تشمل القدس وبيت لحم وتمتد فى ممر يشمل مدينتى اللد والرملة حتى يافا على البحر الأبيض ، وتظل تحت الانتداب البريطانى ولا يسرى عليها مفعول وعد بلفور .

وقد رفض العرب مشروع التقسيم كما رفضه اليهود أيضا ، لأن هذا الحل يخالف وعد بلفور ويناقض تعهدات بريطانيا لهم بجعل فلسطين يهودية . وقد عرضت بريطانيا هذا الحل على عصبة الأمم فى ذلك الوقت لإقراره، واستطاعت بنفوذها الحصول على موافقة العصبة .

مؤتمر لندن عام ١٩٣٩ :

إلا أن استمرار الثورة العربية بقوة جعل بريطانيا تتراجع عن مشروع التقسيم ، وأصدرت قرارا باستحالة قيام دولة يهودية ، كما أقرت أن قضية فلسطين قضية تخص الشعب العربى لا فى فلسطين وحدها بل فى كل الأقطار العربية .

ودعت إلى عقد مؤتمر لندن فى فبراير سنة ١٩٣٩ وحضره ممثلون عن حكومات مصر والسعودية والأردن والعراق واليمن ، كما حضره ممثلون عرب عن فلسطين وحضره مندوبون عن اليهود ، وكان الإنجليز يجتمعون مع العرب فى الصباح ومع اليهود فى المساء .

وكان من الممكن فى هذا المؤتمر التوصل إلى تسوية للقضية لولا ارتباط

السياسة البريطانية الدائم بخططها ومشاريعها الاستعمارية . وبدأ تدخل الولايات المتحدة الأمريكية لصالح الصهيونية العالمية . وقد عرض فى هذا المؤتمر مشروع قيام حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة لضمان مصالحها العسكرية والاقتصادية على أن تسبق قيام هذه الحكومة فترة انتقال لمدة عشر سنوات ، ويشترط كذلك موافقة كل من العرب واليهود على أسس هذا المشروع . وقد رفض العرب هذا المشروع لطول فترة الانتقال وشرط موافقة اليهود ، كما رفضه اليهود لأنه يخالف وعد بريطانيا بجعل فلسطين يهودية .

الكتاب الأبيض ١٩٣٩ :

إن تراجع بريطانيا فى الواقع عن مشاريع التقسيم يرجع أولا إلى اشتداد الثورة العربية فى فلسطين حيث كانت قوات الثوار تسيطر على معظم أجزاء البلاد ، كما يرجع إلى شعورها باقتراب خطر الحرب العالمية الثانية التى كانت على الأبواب وحاجتها إلى استمالة العرب إلى جانبها .

ففى مايو سنة ١٩٣٩ أصدرت بريطانيا كتاباً أبيض أوضحت فيه سياستها بما لا يخرج عما عرض فى المؤتمر ، مع بعض التعديلات الطفيفة بالنسبة لتحديد الهجرة ومنع انتقال الأراضى إلى اليهود حسب ظروف كل منطقة فى البلاد .

وقد قابل عرب فلسطين والدول العربية هذا الكتاب بتحفظ شديد لسابق خبرتهم بألاعيب بريطانيا ، أما اليهود فقد سارعوا إلى رفض هذا المشروع الجديد لأنه يخالف جميع اتفاقيات بريطانيا السرية والعلنية معهم .

الخلاصة

اولا — الكتب :

١ — الكتاب الأبيض يونيو ١٩٢٢ : التصميم على الهجرة ، والتمسك باتفاقية الشريف حسين .

٢ — الكتاب الأبيض أكتوبر ١٩٣٠ : كتاب باسفيلد ، تنفيذ توصيات لجنة شو .

٣ — « « مايو ١٩٣٩ : تحديد الهجرة ، منع انتقال الأراضى.

ثانيا — اللجان :

١ — لجنة التحقيق العسكرية عام ١٩٢٠ : انتهت من عملها بإدانة بريطانيا والحنث بوعودها للعرب .

٢ — لجنة هيكرافت عام ١٩٢١ : انتهت من عملها بإدانة بريطانيا وتأييد التقرير السابق .

٣ — لجنة والتر شو عام ١٩٣٠ : انتهت من عملها بإدانة بريطانيا ، وتأييد وجهة النظر العربية .

٤ — اللجنة الملكية البريطانية «بيل» عام ١٩٣٦ : انتهت من عملها بإقرار انتهاء الانتداب ، ومشروع التقسيم وإقرار عصبة الأمم لمشروع التقسيم .

ثالثا — المجالس التشريعية :

١ — مجلس استشارى عام ١٩٢٢ : من الإنجليز واليهود فقط .

٢ — مجلس تشريعى أكتوبر عام ١٩٣٠ : لتنفيذ مضمون الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ .

٣ — مشروع لمجلس تشريعى عام ١٩٣٥ : مكون من ١٤ عربيا ، ٧ يهود ، ٧ إنجليز .

رابعا — المؤتمرات :

١ — وفد عربى فى لندن عام ١٩٢٢ : استطاع إقناع مجلس اللوردات بوجهة النظر العربية إلا أن الضغط

الصهيونى -لى مجلس العموم بدل
الأوضاع ونجم عنه رد تشرشل
الذى يكشف نوايا الاستعـــمار
لفلسطين .

٢ — مؤتمر لندن عام ١٩٣٩: تمخض عن إقرار حكومة
فلسطينية ، وعلى اجتياز البلاد
لفترة انتقال لمدة عشر سنوات .

المقاومة العربية والإرهاب الصهيونى

وملامح الحرب الـكونية الثانية

١ — لم يقف العرب الأحرار عرب فلسطين صامتين إزاء الخطر المحدق ببلادهم نتيجة لهذا المخطط البريطانى الصهيونى. وقد خاضوا طيلة ثلاثين عاما من ١٩١٧ — ١٩٤٧ نضالا شعبياً بطوليا ضد بريطانيا أكبر قوة استعمارية فى العالم وضد الصهيونية العالمية بامتداداتها السياسية واحتكاراتها المالية الضخمة .

ومنذ صدور وعد بلفور ثم صك الانتداب حتى عام التقسيم ١٩٤٧ تتالت الانتفاضات الثورية من العرب الأحرار عام ١٩٢٠ ثم عام ١٩٣٣ ثم الانتفاضة الثورية الـكبرى عام ١٩٣٦ ثم الثورة الشعبية الشاملة عام ١٩٣٧ ، وفى هذه الانتفاضات الثورية أثبت الشعب الفلسطينى، بالرغم من تـكبيله وتقييد حريته وإرادته وسلب سيادته على أرضه وإنـكار حق تقرير المصير عليه ، بالرغم من هذا كله أثبت كيانه ليتصدى للدفاع عن أرضه ووطنه .

وقدم شعب فلسطين خلال هذا النضال المرير آلاف الشهداء ، وتعرض لأعنف عمليات القمع الاستعمارى من السجن والتعذيب إلى أحكام الإعدام رمياً بالرصاص أو بالشنق ، إلى نسف البيوت والقرى دفاعاً عن عروبة فلسطين

وتأكيداً لرفض أبنائها العرب للوطن القومى اليهودى الذى لاسند له من التاريخ كما سبق أن صرح بذلك الدكتور أرنولد توينبى المؤرخ البريطانى .

أمام هذه المقاومة العربية العنيفة التى وصلت ذروتها عام ١٩٣٨ ونتيجة لهبوب رياح الحرب العالمية الثانية تظاهرت بريطانيا بالرضوخ وأصدرت فى عام ١٩٣٩ الكتاب الأبيض الذى ألغت فيه مشروع التقسيم المجحف الذى كانت قد اقترحته لجنة بيل الملكية البريطانية وأعلنت أن التزاماتها تجاه فكرة الوطن القومى اليهودى قد انتهت وأن الهجرة اليهودية ستقف نهائياً بعد إدخال ٧٥ ألف يهودى خلال خمس سنوات ، وأنها ستنهى الانتداب على فلسطين بعد عشر سنوات ، ملوحة بإمكانية الموافقة على قيام دولة بأكثرية الثلثين العربية .

رفض اليهود الكتاب الأبيض معلنين أن الهجرة يجب أن تستمر ، وأن الوطن القومى اليهودى يفترض قيام الدولة اليهودية ، وابتدأت الصهيونية فى الخارج عملية ضغط عالمية واسعة تركزت فى بريطانيا وأمريكا بشكل خاص ، كما ابتدأت فى الداخل موجة من الإرهاب الصهيونى المسلح ضد بريطانيا والعرب على السواء ، ومنذ عام ١٩٤٤ انتقلت موجة الإرهاب الصهيونى المسلح إلى مستوى جديد من العنف فنسفت بعض دوائر السلطات البريطانية ، وشنق عدد من الجنود البريطانيين ، ودمرت الجسور والمبانى ، واغتيل اللورد موين الوزير البريطانى للشرق الأوسط ، بينما أخلد العرب إلى السكينة بانتظار وفاء بريطانيا بتعهدها سنة ١٩٣٩ .

سيطرة بريطانيا على الشرق الأوسط :

قامت بريطانيا باحتلال طرق المواصلات الحيوية عبر قناة السويس ، وأراضى الشرق الأوسط الممتدة من البحر المتوسط إلى الخليج العربى . وأصبحت بريطانيا القوة الوحيدة المسيطرة على المنطقة ، فقد انتهت منافسة كل من روسيا وألمانيا لها ، كما انتهت منافسة فرنسا بأخذ نصيبها باحتلال كل من

سوريا ولبنان . وجاء صك الانتداب الذى أصدرته عصبة الأمم مصحوباً بالمعاهدة بين بريطانيا والعراق ليضيف شكلا رسمياً لواقع الإشراف . أما فلسطين — كما توضح سابقاً — فكان لبريطانيا سلطات إدارية كاملة ومطلقة تمارسها عن طريق مندوبيها السامين ، وأما شرق الأردن فكان تابعاً للإدارة الفلسطينية وإن ظل مستثنى من نصوص وعد بلفور .

وبذلك كانت العراق ، وشرق الأردن ، وفلسطين تؤلف همزة الوصل البرية ، وفيما بعد أصبحت طريقا لتدفق البترول بين البحر الأبيض والخليج العربى . كما كانت قناة السويس الموجودة فى الأراضى المصرية هى الطريق البحرية والتى كان يتحتم بقاؤها تحت سيطرة بريطانيا دون منافس .

وتمكنت بريطانيا بفضل هذه العلاقات الخاصة مع العراق وفلسطين وشرق الأردن ومصر من المحافظة على سيطرتها التامة على المنطقة ، وأصبح الممثل البريطانى « الرئيس ذا النفوذ » ، فله سلطاته وواجباته ووسائله الخاصة لتنفيذ هذه الواجبات ، وكان هو الذى يقدم النصيحة والمشورة والتدريب على فن الحكم والمساعدة بالرجال والخبراء فى مختلف الميادين .

وبذلك تحقق حلم بريطانيا فى السيطرة التامة على المنطقة بلا منافس ، وأمكنها أن تفتت الشعب العربى إلى دول وإمارات ، متعاونة فى ذلك مع الرجعية العربية التى وجدت أن مصالحها تتفق مع مصالح الاستعمار فى تجزئة الوطن العربى .

وهذا الوضع مضاد للوعود التى قطعتها بريطانيا وفرنسا على نفسيهما نحو العرب ، فقد أعلنتا بلاغا فى نوفمبر سنة ١٩١٨ بأن الهدف من محاربة الدولة العثمانية فى أملاكها بالشام هو « تحرير الشعوب التى عانت طويلا من اضطهاد الأتراك وعسفهم تحريراً كاملا ونهائياً ، وإقامة حكومات وإدارات تستمد

سلطاتها من أهل البلاد الذين يجب أن يكون لهم الحق المطلق فى اختيارها وممارستها » .

وكانت صلاحيات بريطانيا بموجب الانتداب قد أشارت إلى القواعد العسكرية البريطانية بصفتها حاميات إمبراطورية . وبدا للعرب أنهم خدعوا وجروا من أنوفهم ليصبحوا جزءا من هذه الإمبراطورية ، وكانت السياسة البريطانية فى فترة الانتداب قائمة على نوع من الوصاية يساعد فيها الموظفون والمستشارون الإنجليز على إقامة دول الشرق الأوسط معتمدين فى ذلك على الباشوات والشيوخ لحكم البلاد بدلا من إزاحتهم من الطريق ، ثم تأتى مرحلة أخرى تمنح فيها هذه البلاد استقلالها على أساس معاهدات وصفقات قائمة على تبادل أصيل للمصالح التى تضمن حاجات بريطانيا الاستراتيجية. ومادام الملوك والحكومات العربية لا يخرجون على حدود السياسة الخارجية التى تضعها لهم الحكومة البريطانية فلا إشراف ولا تدخل ويظلون محتفظين باستقلالهم الاسمى ماداموا لا يقومون بأى عمل مستقل عن التوجيه البريطانى، وعلى هذا الأساس تضمنت المعاهدة البريطانية العراقية عام ١٩٣٢ وكذلك المعاهدة البريطانية المصرية عام ١٩٣٦ جميع النصوص الضرورية التى تضمن مصالح بريطانيا والتى كانت تتضمن أربع نقاط حيوية :

أولا — التحالف الأبدى مع بريطانيا .

ثانيا — موافقة كل من الطرفين على أن حماية خطوط المواصلات البريطانية أمر ضرورى لكليهما .

ثالثا — أن أيا من الفريقين لن يتخذ موقفا من الدول الأجنبية يتعارض مع المعاهدة أو يسبب ارتباكا للفريق الآخر .

رابعاً — السماح بإقامة القواعد البريطانية العسكرية مع إعطاء بريطانيا الحق فى استخدام كافة التسهيلات الموجودة فى البلاد فى حالة نشوب الحرب .

وبذلك كانت هذه المعاهدات تضمن لبريطانيا حق الحماية العسكرية لمصالحها الاستراتيجية الحيوية ، ولكيان هذه الدول السياسى — هذا علاوة على السيطرة الاقتصادية التى كانت تمارسها بريطانيا من حيث السيطرة على الناحية المصرفية « البنوك » والمالية وتبعية هذه الدول لكتلة الاسترلينى ، وبذلك أصبحت الحركات الوطنية التى تطالب بالاستقلال الكامل بحكم الوضع معادية لمصالح بريطانيا ، كما أنها من ناحية أخرى تعتبر حركات غير دستورية ، إذ أن المعاهدات فرضت على الملوك والحكام التزامات بأن يعتبروا مصالح بريطانيا الحيوية مصالح حيوية لبلادهم ولأنفسهم .

وعلى هذا الأساس اعتبر الإنجليز أن فرضهم حكومة معينة على مصر فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ كان من صميم اختصاصات بريطانيا حيث أن الملك قد وافق على التسليم بها فى معاهدة سنة ١٩٣٦ .

وكانت معاهدة سنة ١٩٣٦ ، التى عقدت بين مصر وبريطانيا والتى اشتركت فى توقيعها جبهة وطنية تضم كل الأحزاب السياسية العاملة فى ذلك الوقت ، صك الاستسلام للخديعة الكبرى التى وقعت فيها ثورة سنة ١٩١٩ ، فقد كانت فى مقدمتها تنص على استقلال مصر ، بينما صلبها فى كل عبارة من عباراته يسلب هذا الاستقلال كل قيمة وكل معنى له .

كذلك كان اشتباك القوات البريطانية مع القوات العراقية عام ١٩٤١ لإعادة الحكم الملكى إليها إثر ثورة رشيد عالى الكيلانى متفقا تمام الاتفاق مع نصوص المعاهدة ودستور العراق أيضاً .

المعاهدات كانت تفرض على الملوك تعيين رؤساء وزارات موالين لبريطانيا :

وبذلك أصبحت سياسة بريطانيا تسير فى حلقة مفرغة بالنسبة للعرب ،

فليست هناك ضرورة لمنح العرب استقلالهم ما داموا لم يطالبوا به . . أما إذا طالبوا بالاستقلال فإن المطالبة فى حد ذاتها تكون كافية لحرمانهم منه . . وقد كانت المعاهدات تفرض على الملوك من ناحية عملية تعيين رؤساء وزارات موالين لبريطانيا ، وكان هذا يحتم عليهم أيضا أن يضمنوا لهذه الحكومات بطريق أو بآخر برلمانات تمنحها الثقة أو تسكت على الأقل .

وكانت هذه البرلمانات تتكون من العناصر الرأسمالية والإقطاعية ومن أصحاب الآراء المعتدلة «جدا» الذين يمكن أن يوكل إليهم تأييد سياسة العهد القـــائم .

وبذلك أقيمت الملكيات العربية الدستورية ببرلماناتها المنتخبة فى ظـل التوجيه البريطانى ، وكانت القوة البريطانية هى التى تحافظ على وجودها وبقائها فى السلطة ، وكثيرا ما أعادت إليها القوة التى فقدتها. وأصبحت القواعـــد العسكرية البريطانية فى البلاد العربية لا كقواعد لقوات حليفة يقصد منها أن تكون موجهة ضد أعداء خارجيين — كما نصت المعاهدات على ذلك — بل كانت فى الواقع قواعد بوليسية موجهة ضد العرب تؤمن مصالح الصهيونية العالمية التى بدأت فى احتلال أراضى فلسطين منذ بداية الإدارة البريطانية عـام ١٩١٨ ، كما أصبح ملوك العرب ورؤساء وزاراتهم حراساً تعينهم بريطانيـا للمحافظة على مصالحها فى البلاد العربية، وتحرم على العرب كل ما يؤمنون بأنه حق من حقوقهم .

أما فلسطين فقد استطاع الصهيونيون — عن طريق وعد بلفور ، وصك انتداب بريطانيـا لفلسطين الصادر من عصبة الأمم والذى أضفى على الوعـد الصفة الدولية — أن يغتصبوا موطىء قدم لهم تحت حماية بريطانيا وعطفها وتشجيعها، ودخلت فلسطين فى مشكلة تاريخية استمرت ثلاثين عاما منذ عام

١٩١٧ — ١٩٤٧ تعانى جسما غريباً تسبب فى طرد أبناء فلسطين المواطنين، إذ أمكن لبريطانيا بالتعاون مع الصهيونية العالمية محو عروبة فلسطين ، وتنفيذ حلمها القديم بإقامة الحاجز البشرى بين عرب آسيا وعرب أفريقيا من شعب غريب عن المنطقة موال لها وللاستعمار العالمى ، ليكون أداة لضرب الشعب العربى وتفتيت كفاحه .

وأبان الميثاق التقاء الأهداف الإمبريالية بالأهداف الصهيونية بهذا النص : « إن قطعة من الأرض العربية فى فلسطين قد أعطيت من غير سند من الطبيعة أو التاريخ لحركة عنصرية عدوانية ، أرادها المستعمر لتكون سوطا فى يده يلهب به ظهر النضال العربى إذا استطاع يوما أن يتخلص من المهانة وأن يخرج من الأزمة الطاحنة ، كما أرادها المستعمر فاصلا يعوق امتداد الأرض العربية ، ويحجز المشرق عن المغرب ، ثم أرادها عملية امتصاص مستمرة للجهد الذاتى للأمة العربية تشغلها عن حركة البناء الإيجابى .

إن ذلك كله تم بطريقة تحمل طابعا استفزازيا ولاتقيم وزنا لوجود الأمة العربية أو لكرامتها .

ممارسة حقوق السيادة والتحرر من المعاهدات :

إن التاريخ يقدم لنا أدلة بارزة على الانتفاضة القومية ضد سيطرة الاستعمار وتحكم الصهيونية :

أولا — تركيا :

ظهر مصطفى كمال أتاتورك الذى رأى فى معاهـــدة سيفر المنعقدة فى ١٠ / ٨ / ١٩٢٠ إهداراً لكرامة تركيا ، وسرعان ما قامت حركة قومية قاد صفوفها ضد مؤامرات الحلفاء على تركيا واتخذ أنقرة عاصمة للبلاد ، وقاد الجيوش

إلى النصر، وأرغم الحلفاء على الاعتراف بتركيا مستقلة ذات سيادة، واضطرهم إلى عقد معاهدة جديدة هي معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ بمقتضاها امتدت حدود تركيا إلى ما بعد أدرنة بقليل، واعترف الحلفاء بملكية تركيا للقسطنطينية وتراقيا الشرقية وآسيا الصغرى.

ثانيا — ألمانيا :

ودليل ثان لا يقل عن الأول في روعته ظهر بظهور أدولف هتلر الذي ما إن أصبح رئيسا للوزارة عام ١٩٣٣ حتى أعلن عزمه على التخلص من أحكام معاهدة فرساي، فبعد أن استرد إقليم السار أعلن التجنيد الإجباري، وزيادة عدد الجيش، ووضع موارد البلاد الفنية والاقتصادية بأكملها لتجهيز قواتها الحربية بأحدث الأسلحة، كما شرع في تحصين أراضي الراين، وأخذ في تنفيذ برامجه التي تهدف إلى توحيد جميع الشعوب المتكلمة باللغة الألمانية تحت راية الرايخ، وشرع في السيطرة على أوربا الوسطى كما شرع في تحطيم قوة عدوه بريطانيا.

ثالثا — معركة بورسعيد :

بل إن معركة بور سعيد عام ١٩٥٦ هي نقطة تحول للأمة العربية تولد عنها انتفاضات قومية وقيام الحكم الجمهوري بالعراق ثم باليمن، إلى معارك مستمرة لتصفية الرجعية العميلة للإمبريالية في الأقطار العربية، إلى سيادة الجزائر، وإلى سيادة جمهورية الجنوب العربي واستقلاله.

الشعوب العربية تفتقر الى الوحدة في الهدف والصف :

يقول الله تعالى: « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »(١).

ويقول المسيح عليه السلام: « كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب »(٢).

(١) آل عمران : ١٠٣.

(٢) لوقا ١١ : ١٧.

ويستنبط الدكتور يحيى عويس[1] الموقف العربي بقوله : « كانت الأمة العربية تسير فى سياستها على التمسك بالمثالية ، وتعلق الأمل على الدبلوماسية ، والتفاهم والصداقة كوسائل لتحقيق الأهداف . وإن معظم الدول العربية لم تكن قد استكملت سيادتها القومية بعد وغالبيتها كانت مرتبطة بمعاهدات سياسية مع بريطانيا » .

فى هذا الوقت كانت الصهيونية تسعى جادة لتحقيق أطماعها . لا عن طريق التمسك بالقيم الأخلاقية والمثل العليا . ولا عن طريق الاعتماد على الدبلوماسية والتفاهم ، ولا عن طريق الحق والعدل ، وإنما عن طريق المخادعة والدعاية الكاذبة ، والتدبير المحكم لأعمال الضغط السياسى ، واستغلال النفوذ المالى مع سلسلة محكمة من أعمال الإرهاب والتنكيل والتهديد والغدر والقتل المتعمد .

وتعرضت فلسطين كما تعرض كل صوت حر مثل صوت الكونت برنادوت ، وصوت جيمس فورستال ، واللورد موين لخطة عسكرية منظمة من الإرهاب الصهيونى من عصابات الهاجاناه والبالماخ The Hagana and Palmach ومنظمة الأرغن زفاى ليومى The Urgon Zvai Laumi وعصابات الشترن The Stern groups التى يقودها ناثان فريدمن بتواطؤ مع الدول الكبرى .

إن الحكومات العربية كانت مكتوفة الأيدى لارتباطها بالتزامات قبل الحلفاء ، أو لانشغال ساستها بالتفكير فى الوسائل التى تحقق بها الأهداف القومية وحل المشاكل المحلية العاجلة .

لم يقدر الصهيونيون حرج مركز إنجلترا إبان الحرب ، بل راحوا يوجهون إليها الطعنة تلو الطعنة ، غير عابئين بسقوط هيبتها أو اضمحلال مصالحها . وكان الصهيونيون قد بدءوا يفقدون الأمل فى العناصر البريطانية المؤازرة ، التى

(١) إسرائيل والدول الكبرى ص ٣٧ — ٤٠ .

طالما استغلوها ، فبريطانيا التى كانت تميل إلى عدم إثارة الرأى العام العربى وبخاصة فى السنين الحرجة قبيل الحرب العالمية الثانية ، لن تجرؤ على تحقيق المطامع الصهيونية بل إنها سوف تسير فى سياسة تردد كتلك التى تمخض عنها الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ (١) .

لذلك رأى الصهيونيون الاتجاه إلى تأييد دولة كبرى غير بريطانيا وبخاصة بعد أن بدأت تلوح عليها عوامل الضعف السياسى، فحاول فريق منهم استمالة روسيا، ولكن الغالبية رأت أن تتجه إلى الولايات الأمريكية المتحدة لاستغلال ساستها كما استغل ساسة بريطانيا فى السنين السابقة(٢) .

لقد كان لدى الصهيونيين فرص العمل بحرية فى الحقل الأمريكى الذى يزخر بالعناصر اليهودية ذات النفوذ المالى الكبير ، وحيث لا توجد جبهة عربية معارضة ، وحيث تتوافر العناصر الصهيونية الأمريكية التى يمكنها استغلال يهود أمريكا لتحقيق المآرب الصهيونية دون أن يتيقظ الرأى العام الأمريكى لحقيقتها ومدى آثارها على المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط .

تحولت قيادة الصهيونية من العناصر البريطانية إلى العناصر الأمريكية ، وتحول مركز القيادة العامة من لندن وسويسرا إلى نيويورك وواشنطن ، وكان هذا التحول متمشيا مع منطق الأهداف الصهيونية . فالعناصر البريطانية وقادة الصهيونية القدماء وعلى رأسهم حاييم وايزمن قد لا تستطيع إقحام حكوماتها فى سياسة تتعارض مع الاتجاه العام للسياسة البريطانية فى الشرق الأوسط ، وهو عدم إثارة الرأى العام العربى والإسلامى بإجراء سافر فى صالح اليهود .

---

(١) إن توصيات الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ على ما أثارته من ضجة فى الأوساط العربية اعتبرتها الصهيونية تراجعا وتخاذلا من جانب بريطانيا .

(٢) انظر تعليق كرمت روزفلت فى المجلد الثانى — العدد الأول ص ٤ من مجلة The Middle East Journal.

أما العناصر الأمريكية فقد كانت أمامها الفرصة للسير فى سياسة التطرف ، والتمادى فى المطالب ، وإقحام السياسة الأمريكية وسياسة البيت الأبيض فى سياسات لم يفهم مدى عواقبها نظراً لجهل غالبية الرأى العام الأمريكى بحقيقة مصالح أمريكا فى الشرق الأوسط ، ولاعتبارات أخرى سيرد ذكرها فى الباب الثالث .

تغيير ميزان القوى

انتقلت إذن القيادة العملية للصهيونية فى الميدان السياسى من لندن إلى نيويورك فواشنطن تحت لواء عناصر كانت تمثل الجبهة المتطرفة(١) تحت لواء أناس من أمثال سلفر الأمريكى الذى حاز تأييد الصهيونية المطلق بتصريحاته التى كان يرمى من ورائها إلى إقحام حكومة الولايات المتحدة فى سياسة صهيونية محضة ، ولقد كان سلفر هذا يجاهر بتأييده لسياسة العنف والإرهاب التى سار عليها اليهود فى فلسطين ، ولم يكن ليتورع عن إظهار مقاصده الجامحة فى الأوساط السياسية الأمريكية ، بل لقد حصل على تأييد شامل لاتجاهه المتطرف .

فيقول مثلا منددا بسياسة وايزمن — التى كان يعتبرها معتدلة إلى حد المساس بحقوق الصهيونية : « إن سياسة الدبلوماسية القديمة لم تعد ذات جدوى اليوم . يجب على اليهود أن يستعدوا ويتكتلوا للطوارىء والحرب والصراع الدموى والتكتيك الإرهابى ، وألا يخلطوا بين هدف الصهيونية وهدف إنشاء دولة يهودية بمجرد قبول عدد معين من اللاجئين اليهود »(٢).

---

(١) لم يكن هناك انقسام بتاتا بين قادة الصهيونية ، وإنما كان هذا اختلافا فى الإمكانيات : إمكانيات تحقيق الهدف — بين جانب يمثله وايزمن وآخر يمثله سلفر .

(٢) ورد هذا النص فى مجلة Zionist Review, Abba Hillel Silver

وهكذا وجد الصهيونيون حقلا خصبا فى الولايات المتحدة للتنظيم المحكم الذى ساعد على تحقيق مآربهم ، مستغلين فى ذلك أساليب الضغط السياسى الحزبى ، والنفوذ المالى المتوفر ، وجهل الرأى العام الأمريكى بحقيقة المطامع الصهيونية وخطرها على المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط .

وبينما كان وايزمن ورفاقه يستميلون روزفلت وساسة البيت الأبيض ويحاولون إقناعهم بمؤازرة الصهيونية رسميا ، كانت العناصر الصهيونية الأخرى تسعى جادة فى شتى الولايات المتحدة الأمريكية لإصدار بيانات وقرارات تؤيد بها الأهداف الصهيونية ، حتى إذا ما تجمعت تلك القرارات كان لها أثرها الجماعى على السياسة العليا للولايات المتحدة . حدث هذا بينما كانت الحرب العالمية الثانية على أشدها بين عامى ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ (١) !

وأحكمت المنظمات الصهيونية تدابيرها ، وانتقلت من ميدان الولايات المتحدة الأمريكية إلى ميدان السياسة المركزية العليا . ونجح قادة الصهيونية فى الإيعاز إلى عدد من النواب والشيوخ فى الكونجرس الأمريكى لاقتراح استصدار قرار على ربط عجلة السياسة الأمريكية بالأهداف الصهيونية ، ونص هذا القرار الذى كان مقررا على الكونجرس أن يصدره نثبته فيما يلى :

« تستعمل الولايات المتحدة وساطتها لاتخاذ التدابير اللازمة فى سبيل فتح باب الهجرة على مصراعيه ، حتى يتيسر لليهود الهجرة إلى فلسطين دون قيد أو شرط ، وأن تهيأ الفرصة كاملة لاستعمار « استيطان » اليهود للأراضى الفلسطينية حتى يتمكنوا من تكوين دولة ديمقراطية حرة فى فلسطين » (٢) .

---

(١) راجع مقال كرمت روزفلت فى المجلد الثانى — العدد الأول ص ٤ من مجلة The Middle East Journal

(٢) أرجىء إصدار القرار نهائيا عام ١٩٤٤ بالنسبة لظروف الحرب ، بيد أن الكونجرس أصدر قرارا مشابها له فى ديسمبر ١٩٤٥ .

طرح هذا القرار على المسئولين فى البيت الأبيض ، وبعد استطلاع رأى الملحقين العسكريين لأمريكا فى الشرق الأوسط ، طلب جنرال مارشال أن يرجأ استصدار القرار خوفا من إثارة الرأى العام العربى ، ونظراً لحاجة الحلفاء إلى الاستقرار فى الشرق الأوسط ، واعتزامهم نقل القوات الاحتياطية المرابطة هناك إلى الجبهة الغربية ، وجبهة الشرق الأقصى . وكان مارشال بعيد النظر فى نصيحته ، فإصدار مثل هذا القرار المؤيد للصهيونية سوف يثير حالة من القلق فى الشرق الأوسط مما يضطر بريطانيا إلى الإبقاء على عدد من قواتها ومعداتها للمحافظة على النظام فى تلك المنطقة . ومرة أخرى نجد أن المصالح الذاتية الاستراتيجية المحضة — وليس أى اعتبار إنسانى أو أخلاقى آخر — كانت هى المحرك الأول للسياسة التى اتبعتها الدول الكبرى .

ولكن هل كفت الصهيونية عن المضى فى خططها حتى بعد اقتناعها بالمصالح الاستراتيجية المؤقتة للولايات المتحدة ؟

لا . إن الصهيونية لا تتورع عن أن تلقى بأية دولة أو أية حكومة إلى جحيم الأخطاء السياسية والتهورات الدبلوماسية مادام ذلك يحقق المطامع التى تبتغيها وتسعى إليها .

فقد ذهبت وفود من زعماء الصهيونية بعد أيام من إعلان إرجاء هذا القرار إلى الرئيس روزفلت وطلبت إليه أن يصدر تصريحا رسميا يؤيد فيه الأهداف الصهيونية . وكان لهم ما أرادوا ، وأصدر روزفلت تصريحا يؤيد فيه الآمال الصهيونية ، ولو أنه حرص على ألا يقيد حكومة الولايات المتحدة بارتباطات محددة . « ومنذ ذلك الوقت كانت السياسة المتبعة بالنسبة لقضية فلسطين ترسم فى البيت الأبيض على الرغم من إرشادات ونصائح المختصين فى وزارات الخارجية والحربية والبحرية حيث استمرت المعارضة الشديدة — التى كانت تزيد يوما

بعد يوم — لتلك السياسة التى تؤيد الأهداف الصهيونية (١) .

التدخل الامريكى فى المشكلة :

كانت أمريكا حتى ذلك الوقت بعيدة عن المشكلة حيث فرضت على نفسها العزلة منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى . ولكن منذ أن أخذت أهمية منطقة الشرقين الأدنى والأوسط الاستراتيجية والاقتصادية تبرز للعيان ، ونظراً لتطور الرأسمالية الأمريكية فى فترة مابين الحربين العالميتين وحاجتها إلى أسواق جديدة لاستثماراتها — بدأ الاستعمار الأمريكى الجديد — ومن ورائه الصهيونية العالمية — يطل برأسه ، وبدأت أمريكا تقحم نفسها فى شئون المنطقة ، ورأت مايمكن أن يحققه لها قيام دولة يهودية فى فلسطين بمساعدتها المادية والمعنوية من مكاسب لرأس المال الأمريكى، لتكون قاعدة ورأس جسر لامتداده وسيطرته على جميع أجزاء المنطقة .

كما أحست الصهيونية باحتمال تراجع بريطانيا فى مخططها لإقامة دولة يهودية فى فلسطين ، فارتمت فى أحضان الاستعمار الأمريكى ليكون البديل عن الاستعمار البريطانى لتحقيق أهدافها الأثيمة .

ومنذ ذلك الوقت بدأ كل من الاستعمارين الأمريكى والبريطانى يتنافسان لكسب الصهيونية إلى جانبهما ، وكانت أرض فلسطين وشعب فلسطين هما ميدان التنافس ، وقد امتد هذا التنافس إلى الأحزاب السياسية فى كل من بريطانيا وأمريكا التى أخذت كل منهما تسعى لإرضاء الناخبين اليهود فى بلدها .

---

(١) كرمت روزفلت فى المجلد الثانى — العدد الأول — ص ٤ من مجلة :
The Middle East Journal

وقد نشطت الصهيونية فى إثارة هذا التنافس واستغلاله إلى أبعد الحدود ، ونجحت فى إقحام أمريكا فى ميدان القضية الفلسطينية كطرف أقوى ومتحمس إلى جانبها ، مما جعل بريطانيا تتخلى عن ترددها ، وأسرعت فى مجاراة أمريكا فى هذا السبيل إرضاء لحليفتها الصهيونية وأملا فى كسب ود إسرائيل المنتظرة .

وكانت أولى بوادر تدخل أمريكا أثناء انعقاد مؤتمر لندن فى فبراير سنة ١٩٣٩ حيث رضخت بريطانيا باسم التحالف والصداقة لضغطها ، وأعلنت إيقاف المباحثات . وحينما اضطرت بريطانيا إلى إصدار الكتاب الأبيض فى مايو ١٩٣٩ طلب عدد من أعضاء الكونجرس الأمريكى يمثلون الحزبين الحاكم والمعارض من لجنة الشئون الخارجية بحث اقتراحهم بإلغاء الكتاب الأبيض فورا وبإعلان فلسطين دولة يهودية . وفى نفس الوقت أصدر حزب العمال المعارض فى بريطانيا بيانا جاء فيه : « إن سياسة الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ تمثل استسلاما آخر للعدوان ، وهى نكسة للقوى التقدمية، لذلك فهو يطالب الحكومة البريطانية أن تتجاوز عن هذه السياسة ، وأن تعيد فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية » .

وقد أجبرت ظروف الحرب العالمية الثانية التى نشبت فى سبتمبر ١٩٣٩ دولتى الاستعمار على إيقاف منافستها مؤقتا والنظر بعين الواقع والمصلحة إلى علاقاتهما مع العالم العربى ، فعمدت بريطانيا فى أوائل ١٩٤٠ إلى إصدار بعض أنظمة الأراضى تنفيذا لما جاء فى الكتاب الأبيض ، وإظهارا لحسن نيتها تجاه العرب ، كما قام الرئيس الأمريكى روزفلت باتصالات مع الدول العربية لإقناعها بتأييد بريطانيا ، والوقوف إلى جانبها واعدا بتسوية القضية الفلسطينية تسوية عادلة بعد انتهاء الحرب مؤكدا تدخله الشخصى لحماية حقوق العرب فى فلسطين.

وما إن اطمأنت الدولتان إلى أن العرب قد خدعوا بأساليبهما ، وانتهت الثورة فى فلسطين وتشتت قادتها ، وانحاز الحكام العرب إلى الحلفاء وأعلنوا الحرب على ألمانيا النازية ، حتى بدأ التنافس يعود مرة أخرى إرضاء للصهيونية على شكل بيانات من الحكومتين تؤيدان فيها قيام الوطن القومى اليهودى والمطالبة بإلغاء الكتاب الأبيض وإقامة الدولة اليهودية فى فلسطين ، وأخذ اليهود يتدفقون على فلسطين من كل أنحاء العالم ، وأغدقت أمريكا عليهم المال والسلاح ، وأمدتهم بريطانيا بالأراضى والمدربين .

وما إن جاء عام ١٩٤١ حتى أصبحوا قوة عسكرية واقتصادية يعتد بها فى فلسطين، ينتظرون إشارة البدء لتنفيذ سياسة الاستعمارين البريطانى والأمريكى .

وفى نوفمبر سنة ١٩٤٥ أدلى مستر بيفن وزير خارجية بريطانيا ببيان عن القضية الفلسطينية نسف فيه الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ من أساسه وأعلن إدخال أمريكا طرفا فى القضية وفى أى حل لها ، ودعاها للتعاون مع بريطانيا فى تأليف لجنة تحقيق إنجليزية — أمريكية مشتركة لبحث مسألة يهود أوربا والقيام باستعراض آخر لمشكلة فلسطين .

وقد تألفت هذه اللجنة فى ديسمبر سنة ١٩٤٥ ؛ من اثنى عشر عضوا نصفهم من الإنجليز والنصف الآخر من الأمريكان ، وقد كان واضحا من قرار اللجنة أن هدف بريطانيا وأمريكا هو إلغاء الكتاب الأبيض نهائيا ، وإزالة كل أثر من آثاره ، وفتح أبواب الهجرة إلى فلسطين لضمان وجود أغلبية يهودية منظمة ومسلحة قبل الإقدام على اتخاذ الخطوة النهائية بإعلان دولة إسرائيل .

هذا بالرغم مما جاء فى توصيات اللجنة من معارضة لقيام دولة عربية أو يهودية فى فلسطين ، ومن ضرورة بقاء الدولة المنتدبة فى إدارة البلاد لحين وضعها تحت الوصاية الدولية .

الباب الثانى

المخطط الصهيونى لاغتصاب فلسطين

المخطط الصهيونى لامتلاك أراضى فلسطين

إن أول مستعمرة يهودية زراعية أنشئت فى فلسطين يرجع تاريخها إلى عام ١٨٨٠ ، وكانت بدائية متأخرة . فقد ابتاع الصهيونيون (١) مستعمرة رفح لينقلوا إليها مهاجرى الإسرائيليين من روسيا ورومانيا وغيرها ، وذلك لأن رفح قريبة من فلسطين ، وفى طور سيناء حيث نزل الإسرائيليون عند خروجهم من مصر .

فقد ابتاع الكسندر ريستوفيتش أحد تجار غزة من مشايخ العرب التابعين للحكومة المصرية ١٤٠٠ دونم(٢) من الأراضى الزراعية ، واتفق مع الصهيونيين على أن يبيعهم هذه الأراضى .

ومن عادة الأهالى هناك أن يكون البيع بينهم عرفا ، فلما اتصل الخبر بمديرية طور سيناء أبلغته لقلم المخابرات فى نظارة الحربية لأن علاقة طور سيناء بهذا القلم دون سواه .

فصدر الأمر من السردار بإلغاء هذا البيع ، ووقفت المسألة عند هذا الحد ، وكان المشترى قد دفع ثمنا للدونم الواحد ٣٠ ثلاثين قرشا ، واتفق مع ثيودور هرتزل وشركائه على أن يبيعهم الدونم بمبلغ ١٠٠ مائه قرش .

ويبدو أن الصهيونيين الأمريكيين كانوا قد حاولوا شراء هذه الأراضى فلم يفلحوا ، فمكنهم الخواجة الكسندر ريستوفيتش من الوصول إلى بغيتهم .

وقد يزعم الصهيونيون أنهم امتلكوا الأراضى بثمن غال ، ومهما كان الأمر فإن طريقة شرائهم للأرض كانت سلباً ونهبا لأملاك العرب الذين

---

(١) الأهرام فى ١٤ / ٤ / ١٩١١ .
(٢) الدونم = ١٠٠٠ متر مربع .

لم يفطنوا إلى ما يخططه الصهيونيون من أهداف بعيدة للاستيلاء على فلسطين كلها ، إذ أرادوا أن يستندوا على حق شرعى فى الاستقرار الزراعى يعتمدون عليه فى مطالبتهم بفلسطين .

ومع هذا وعلى الرغم مما بذلوه فى شراء الأراضى فإن تلك الأرض تشكل نسبة ضئيلة من المساحة التى تسيطر عليها إسرائيل فى الوقت الحاضر .

أما ما اغتصبته الصهيونية من أرض فلسطين نهبا وسلبا فهو نسبة كبرى تتضاءل أمامها نسبة ما اشتروه غدرا من الأرض بالإضافة إلى ما امتلكوه من البيوت والفاكهة والأموال المنقولة التى يستعملها اليهود ، ويتمتعون بها ، فهى مازالت حقا شرعيا للاجئين العرب الذين يعيشون خارج بيوتهم فى الوقت الحاضر . إن كثيرا من اللاجئين يعيشون على مرمى البصر من تلك البيوت فى ظروف قيد الشقاء والقنوط .

إذن فاليهود فى فلسطين خلال الانتداب البريطانى لم يكن ينقصهم الكثير من مظاهر الدولة « وإن كانت تنقصهم المقومات القانونية للسيطرة على الدولة كالأكثرية العددية وبلوغ السلطة النهائية »، فلقد كانوا يحصلون على القوانين والأنظمة الملائمة لأغراضهم فى معظم الحالات والظروف ، وكانوا يتمتعون بالكثير من ميزات الحكم الذاتى سواء كان ذلك عن طريق قانونى أو عن طريق الأمر الواقع . كما كانت الوكالة اليهودية (١) تعنى بالكثير من نواحى حياتهم عن طريق دوائرها المختصة بالعمل السياسى والمالى والتعليمى والصحى والاستيطانى وسواها . ولقد كانت الوكالة اليهودية وأجهزتها المختصة والمؤسسات المتعاونة معها تمهد لاستيلائهم على أكبر رقعة ممكنة من الأراضى

(١) انظر الرسم البيانى عن المنظمة الصهيونية العالمية ١٨٩٧ — ١٩٤٨ إعداد : أسعد عبد الرحمن — بيروت — فبراير ١٩٦٥ .

العربية ، ومن أمــلاك الدولة ، وتعمل على ذلك بشتى الأساليب القانونية وغير القانونية .

كما كانت هذه الوكالة تعمل على تقوية شأنها بتهجير أكبر عدد ممكن من إخوانهم اليهود إلى فلسطين ، بوسائل تعتبرها السلطات مشروعة وأخرى غير مشروعة لــكى يتغير ميزان السكان العددى فى صالحهم تدريجيا .

ذلك أن اليهود فى فلسطين كانوا يدركون أن كون ميزان القوى الاقتصادية والتنظيمية والسياسية فى صالحهم ، وكون ميزان القوة العسكرية فى صالحهم أيضاً لم يكن ليجعلهم ينسون أن ميزان القوة العــددية للســكان لم يــكن فى صالحهم .

وإن الوكالة اليهودية مدعوة إلى تصحيح هــذا الوضع العددى ليصبح فى صالحهم ، للتغلب على إحــدى الحجج العربية القوية فى رفض الوطن القومى لليهود ألا وهى حجة الأكثرية العربية وحق الأكثرية العربية فى تقرير مصيرها ، وبالتالى فى تقرير مصير وطنها فلسطين .

الوكالة اليهودية وصك الانتداب :

جاء فى صك الانتداب على فلسطين ، كما صادق عليه مجلس عصبة الأمم فى ٢٤ يوليو ١٩٢٢ ما يأتى :

يعهد بإدارة فلسطين إلى صاحب الجلالة البريطانى كحاكم منتدب ، وتجعل حكومة الانتداب مسئولة عن وضع وعــد بلفور الصادر فى ٢ / ١١ / ١٩١٧ موضع التنفيذ ، مع العلم بأن صك الانتداب يعترف بالرابطة التاريخية بين الشعب اليهودى وفلسطين .

وقد نصت المادة الرابعة من صك الانتداب على الاعتراف بوكالة يهودية مناسبة ، وتعتبر كهيئة عامة غرضها تقديم المشورة للإدارة الفلسطينية

والتعاون معها فى شتى المسائل الاقتصادية والاجتماعيـة وغيرها من المسائل التى قد تؤثر فى قيام الوطن اليهودى ومصالح السكان اليهود فى فلسطين .

هدف الوكالة :

١ — تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين بكافةالوسائل والطرق .

٢ — تأكيد الضمانات التى تكفل الحاجات الدينية اليهودية .

٣ — الدعاية للغة العبرية والثقافة اليهودية .

٤ — شراء الأراضى كأملاك يهودية والإنفاق عليهـا من الصندوق القومى اليهودى .

٥ — العمل على نجاح الاستيطان الزراعى ، وتشجيع الطاقة العماليةاليهودية .

أجهزة الوكالة :

١ — المجلس وهو الهيئة الحاكمة العليا .

٢ — اللجنة الإدارية وتتألف من أربعين عضوا بالتساوى « صهيونيين ولا صهيونيين » .

٣ — اللجنة التنفيذية وهى تشكل وحدة كلية منفردة ولها مسئولية جماعية .

تواطؤ بريطانيا مع الوكالة اليهودية :

وانتعشت الوكالة اليهودية بتشجيع الانتـداب البريطانى فى فلسطين ، فأوجدت الظروف الملائمة لنمو المجتمع اليهودى فى فلسطين ، وتزايد قوته العددية والعسكرية والسياسية والتنظيمية والاقتصـادية مع ارتفاع مستواه الاجتماعى والثقافى ، وتعاظم وحدته وتراصه رغم تباين أصول فئاته . وهكذا تمكن هذا المجتمع من إرساء أسس اقتصادية امتدت إلى شتى القطاعات وإلى مختلف أجزاء البلاد ، ضمن مخطط واع بعيد النظر تتضح مبرراته اليوم كما كانت تتضح فى حينها للذين كانوا يعنون بالقضية الفلسطينية بجد ، ويدرسون الخطر الصهيونى

بتعمق ومسئولية ، ووصل بهم الترابط بين بعضهم وبعض فى مختلف الدول إلى الحد الذى يبدو من البيان التالى الذى يوضح المقاعد التى يشغلونها والمكاتب التى يديرونها فى كل أنحاء العالم :

اسم الدولة	عدد المقاعد	اسم الدولة	عدد المقاعد
الولايات الأمريكية المتحدة	٤٤	أستراليا ونيوزيلندة	١
بولونيا	١٤	الهند	١
بريطانيا وأيرلندة الشمالية والحرة	٧	بلغاريا	١
ألمانيا	٧	مصر	١
فلسطين	٦	يوغوسلافيا	١
رومانيا	٦	اليونان	١
فرنسا	٤	مراكش.. الجزائر.. تونس	١
تشيكوسلوفاكيا	٣	سويسرة	١
هنغاريا	٢	إيطاليا	١
النمسا	٢	لاتفيا	١
الأرجنتين	١	ليتوانيا	١
بلجيكا	١	هولندا	١
كندا	١	مقعد يوزعه المجلس على أى دولة أو مجموعة من دول قد تطلب تمثيلها	١
جنوب إفريقيا	١		١١٢

من هذا يتبين مدى امتدادهم واتصالاتهم وبالتالى مرونة الحركة الدعائية لهم فى مختلف الدول للوصول إلى أهدافهم .

الوكالة اليهودية والاقتصاد الاسرائيلي :

إن الاقتصاد الإسرائيلي اليوم هو تتمة لاقتصاد صهيونى كانت تتوفر له وسائل القوة ، وكانت تحيط به الإطارات التنظيمية والعقائدية الصالحة لنموه . أى أن الاقتصاد الإسرائيلي اليوم إلى جانب مايجنيه من ثمار جهود المجتمع الإسرائيلي الحالى يجنى ثماراً سخية بجهود بذلت طيلة ثلاثين سنة ضمن ظروف كانت ملائمة له دون ريب ، مهما ادعى اليهود أنها كانت معادية لهم وتقف فى سبيلهم .

كان هنالك عدد كبير من المؤسسات العامة ، وشبه العامة ، التى تعمل بنشاط وعلى نطاق واسع فى خدمة الأغراض الصهيونية .

من هـذه المؤسسات ما كان من مشتقات المؤسسة الأم « أى المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية» ، ومنها ماكان مستقلا ، على أن صيغة الاستقلال يجب أن تؤخذ بتحفظ ، فإن المؤسسات المستقلة — وبعضها مما كان يناهض الوكالة اليهودية ويصرح باختلافه معها الاختلاف العقائدى والسياسى — إنما كانت مستقلة بالمعنى المحدود ، أى أنها لم تكن مؤسسات نص عليها دستور الوكالة ، أو انبثقت عن مقررات الوكالة . وبخلاف هذا كانت هذه المؤسسات تنسجم مع الوكالة فى أهداف العمل رغم التباعد المؤقت فى وسيلة العمل ، كما أنها كانت تجمد شكاواها من الوكالة ومآخذها عليها فى الساعات العصيبة ، وعلى الأخص عند مجابهة العرب أو السلطة المنتدبة أو العالم الخارجى .

ومن هذه المؤسسات التى كانت تعمل أثناء الانتداب :

١ — الجمعيــة اليهودية للاستعمار بفلسطين Palestine Jewish Colonization association : أنشأها البارون إدمون دى روتشيلد سنة ١٨٨٣م . وقد أنفقت هذه الجمعيــة منذ تأسيسها حتى أواخر الانتــداب مايزيد على ١٥ مليون جنيه فلسطينى ، وابتاعت مايزيد عن ٤٥٠٫٠٠٠ دونم من الأراضى .

٢ — صندوق الائتمان اليهودى للاستعمار لمتد Jewish Colonial Trust Ltd. :

وهو من المؤسسات المنبثقة عن المؤسسة الأم أو التابعة لها . أنشىء هذا الصندوق سنة ١٨٩٩ ، واختص أولا بالأعمال المصرفية ثم فيما بعد بمهمة

الائتمان على الأوراق المالية للمؤسسات الصهيونيـة المنبثقة عن المنظمـة الصهيونية ، وقد أنشأ الصندوق بنك « انجلو فلسطين ليمتد » سنة ١٩١٢ كشركة فرعية له ، كما أنشأ بدوره مؤسسات مالية فرعية للقروض الزراعية والصناعية للتأمين والاستعمار المالى وللرهون العقارية ولبناء المساكن .

٣ — الصندوق القومى اليهـودى « كيرن كايميت الإسرائيلي ليمتـد » Jewish National fund Ltd. : وهو أيضا تابع للمؤسسة الأم ، أنشىء عام ١٩٠٧ ومهمته شراء الأراضى الزراعية والمدن ، وإدارتها بالنيابة عن الوكالة اليهودية والائتمان عليها ائتمانا دائما ، على اعتبارها وقفا يهوديا باسم الشعب اليهودى لايجوز بيعه أو التصرف به ، أو السماح باستغلاله لغير اليهود ، أو استخدام غير اليهود للعمل فى الأراضى التابعة له ، هذا إذا لزم استخدام عمال بالأجرة للعمل الزراعى .

وجاء فى دستور الوكالة اليهودية لدى توسيعها الموقع فى زيورخ فى ١٤/٨/٢٩(١) :

« ينبغى ألا يتسلم الأرض أحد من غير اليهود . فإذا توفى المستأجر اليهودى ولم يكن له وريث يهودى ، فيحق للصندوق أن يسترد الأرض بشرط أن يعطى الوارث مهلة ثلاثة أشهر قبل الاسترداد ، ويشترط على الوارث خلال هذه المدة أن ينقل حقوقه إلى يهودى ؛ وإلا استرد الصندوق الأرض دون أن يكون للوارث حق الاعتراض » .

٤ — الصنـدوق الفلسطينى التأسيسى « كيرن هايسوا ليمتـد » : Palestine foundation fund

أنشىء فى عام ١٩٢٠ كجهاز تابع للمنظمة الصهيونية وتحول منها إلى الوكالة اليهودية عام ١٩٢٩ على أن يكون الإدارة المالية لبناء الوطن القومى اليهودى (٢) .

(١) Report of Immigration, Land Settlement and Development by Sir John Hobb. P. 78, 79 London 1930 .

(٢) انظر الرسم البيانى من إعداد : أسعد عبد الرحمن — بيروت فبراير ١٩٦٥ من كتابه « المنظمة الصهيونية العالمية » .

برنامج بلتيمور

تناسق العمل بين المنظمات الصهيونية وبرنامج بلتيمور :

ومما هو جدير بالذكر أن الأحزاب السياسية اليهودية كانت تولى القضايا السياسية والقومية اهتماما واضحا ، وتكرس لهـا نصيبا يذكر من برامجها وسياستها ، وعلى وجه التحديد فإن معظم الأحزاب قبلت بدون تحفظ برنامج « بلتيمور » .

فقد عقد مؤتمر صهيونى أمريكى فى فندق بلتيمور فى نيويورك خلال عام ١٩٤٢ ، وصدر عن هذا المؤتمر عدة مقررات هامة عرفت فيما بعد ببرنامج بلتيمور وهى :

١ — إنشاء دولة يهودية فى فلسطين فوراً تكون جزءاً أصيلا من العالم الديمقراطى .

٢ — رفض الكتاب الأبيض البريطانى الصادر فى مايو ١٩٣٩ والذى وضع قيودا صارمة على انتقال الأراضى من العرب إلى اليهود .

٣ — إطلاق الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، والاستيطان اليهودى فيها دون عوائق .

٤ — وضع شئون الهجرة والاستيطان تحت سيطرة الوكالة اليهودية .

٥ — تشكيل قوة عسكرية يهودية تحت العلم اليهودى والاعتزاز بها .

مدى مساعدات المنظمة اليهودية حتى بعد قيام اسرائيل :

أبرق رئيس المنظمة الصهيونية فى أمريكا عام ١٩٥٢ إلى بن جوريون يقول : إن الوكالة اليهودية الأمريكية قد تنبهت للخطر ، وأعدت لكل شىء

عدته ، وإن المنظات الصهيونية فى أمريكا بإمكانها الآن أن تحرك الرأى العام الأمريكى ، لكى يبادر لمعونة إسرائيل ، ويضغط على البيت الأبيض، أو غيره من الدوائر الرسمية الأمريكية ، مستخدما نفس الوسائل الناجحة التى استعملها فى عامى ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ولولاها لما قامت إسرائيل (١) .

ويجمل أن أذكر بضعة من الأحزاب أثناء الانتداب لاتساق الموضوع فمنها (٢) :

١ — حزب العمل اليهودى الفلسطينى « مابای » :

وهو القوة الدافعة فى إنشاء حركة المستعمرات ، واتجاهه اشتراكى ، ومنطق سياسته القائلة بوجوب قيام اليهود بالعمل فى جميع المرافق التى بين أيديهم بالادعاء أن هذه السياسة تمنع استغلال اليهود للغير . ويستهدف فى سياسته الخارجية عدم الارتباط بأية كتلة دولية وتقوية السلطة السياسية والأدبية لهيئة الأمم المتحدة .

٢ — حزب عمال مزراحى :

« بويل مزراحى » يقول هذا الحزب بالقومية المرتكزة إلى مركز دينى ، وينصرف اهتمامه إلى بناء الدولة على أسس الدين اليهودى . ولهذا فإن اهتمامه بالشئون الاجتماعية ينبثق عن موجبات دينية .

٣ — حزب الإصلاحيين :

ويشكلون حزبا يمينيا متطرفا يقول بإنشاء دولة إسرائيل على جانبى الأردن على أسس قومية متطرفة ، ومن هذا الحزب انبثقت المنظات الإرهابية العسكرية

(١) إن هذا اعتراف صريح بالأسلوب الذى به قامت إسرائيل فى حركة استفزازية لا أخلاقية غير قانونية .

(٢) نقلا عن تقرير حكومة فلسطين جزء ثان ص ٩٢٥ — ٩٦٢ Sirvey of Palestine

« بريت ترومبلدور » أو « بيطار » و « أرغون زفاى ليومى » و «شترن» .

وقد نشطت هذه المنظمات المسلحة وفى طليعتها « الهاجاناه » وهى المنظمة العسكرية شبه الرسمية التى كانت الوكالة اليهودية تشرف على تمويلها وتجهيزها. كما كانت هناك أيضاً المنظمة الإرهابية المعروفة باسم «أرغون زفاى ليومى» وهذه المنظمة هى التى راحت منذ سنة ١٩٤٣ تقوم بأعمال التخريب فى المؤسسات الحكومية ، وقد انشق عنها فيما بعد منظمة أخرى عرفت باسم « شترن » وقامت هذه المنظمة الإرهابية خلال سنى الحرب الأخيرة بأعمال غاية فى الجرأة والوحشية ، ومنها اغتيال اللورد موين وزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط فى أحد شوارع القاهرة فى نوفمبر ١٩٤٤ ودفعت هذه الحوادث الوحشية بريطانيا إلى أن تعلن عن سخطها وغضبتها على الصهيونية . فقد صرحت الصحيفة البريطانية « كوفنترى » فى شهر مايو سنة ١٩٤٧ « بأن الرأى العام البريطانى قد أبدى سخطه ونقمته ليس فقط على يهود فلسطين ، بل على اليهود البريطانيين لأنهم أى يهود بريطانيا أيدوا بالعاطفة أعمال أولئك الإرهابيين الصهيونيين فى اغتيال الجنود البريطانيين والتمثيل بجثثهم ، ولهذا كان من الطبيعى أن تتضاعف الكراهية والنقمة ضد اليهود ، وتكون خطرا داهما يتهدد جميع يهود بريطانيا إن لم يبادر العقلاء إلى وضع حد لهذه الأعمال »(١) .

٤ — الحزب الشيوعى :

وهو منذ إنشائه يعارض الصهيونية بشكل عام ، إلا أنه كان يقول بإنشاء الوطن القومى اليهودى ، وبإلغاء الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ الذى وضع قيودا على انتقال الأراضى العربية لليهود ، وعلى الهجرة اليهودية فى فلسطين .

---

(١) الاحتجاج شكلى فلا قصاص ولا استمساك بالحق والعدل لكنها الصهيونية بقوتها وثقلها لن تحرم العطف، يؤيد ذلك العبارة الأخيرة من التصريح : «إن لم يبادر العقلاء إلى وضع حد لهذه الأعمال » .

٥ — حزب المابام :

« حزب العمال الاتحاديين » وهو يهدف إلى جمع شمل اليهود فى داخل دولة اشتراكية يهودية ، وتدريب الشباب اليهودى فى داخل إسرائيل وخارجها ليكونوا طليعة فى إنشاء المزارع الجماعية ، وهو يدعو إلى وضع تشريع تقدمى اجتماعى ، ويدعو إلى حرية الضمير ، ويعارض كل اضطهاد فى داخل الدولة ، ويهتدى بنظريات كارل ماركس ، وانجلز ، ولينين ، وستالين ، وينتهج سياسة مناهضة للفاشية تهدف إلى إقامة سلام دولى دائم وتوطيد الصداقة بين إسرائيل والاتحاد السوفيتى والقوى التقدمية الأخرى فى العالم . ويعارض إقامة قواعد عسكرية أو اقتصادية للدول الأجنبية فى إسرائيل .

تعدد الاحزاب فى اسرائيل ، تعدد السبل مع اتفاق الهدف :

إن تعدد هذه الأحزاب وانقسامها الظاهر فى الرأى حول بعض المسائل الداخلية يعود بالدرجة الأولى إلى ما قبل قيام إسرائيل ، وإلى طبيعة أصلها ، ومنشئها الأوربى ، وبالتالى إلى الأفكار الصهيونية التى نادى بها ثيودور هرتزل ، ودخلت فى صلب منظمة الصهيونية العالمية لتصبح جزءاً من تاريخها الحافل بالتعقيد والتآمر .

هذا التعدد ، الذى يشاء البعض اعتباره من مظاهر الديمقراطية الصحيحة ، ينبع بصورة رئيسية من تركيب إسرائيل العجيب وطبيعة القادمين إليها من المهاجرين اليهود . إنه نسخة طبق الأصل من وضع إسرائيل المجتمعى ، والتناقضات القائمة فى وجودها ، وليس تنافسها وتطاحنها إلا من قبيل التسابق على اقتسام المغانم والأسلاب ، والمزايدة السياسية فى أسواق الصهيونية السياسية . فالتحزبات والتجمعات والتكتلات التى تتخذ شكل الأحزاب السياسية وتطبع نفسها بالطابع العقائدى ليست فى الواقع غير تعدد فى الوسائل لتحقيق أهداف الصهيونية والحفاظ على مصالحها .

أسلوب العمل الموحد بين الصهيونية والوكالة اليهودية

عرف الصهيونيون فى عصرنا هذا مواطن القوة التى تسخرها لهم الدعاية المستترة ، فشنوا الحملات فى أرجاء العالم بأسماء غيرهم ، وهى فى الواقع سلاحهم الذى يعتمدون عليه .

ذلك لأن جمهرة القراء يصغون إليها ، ولا يهتمون أو لا يتهمون قائليها ، بل لا يشعرون بأسباب تدعو إلى الاتهام فى أكثر الأحيان .

وساعدهم الاستعمار على هذا الأسلوب المستتر لأن خطر العروبة عليه أكبر من خطر الصهيونية ، وما يماثلها من الأخطار العنصرية ، ولهذا فإن الصهيونيين قد تمكنوا من تسخير الدعاية لأغراضهم وذلك بالسيطرة وامتلاك الكثير من أجهزتها ، وقد برعوا فى تسخيرها وإخفاء مراميها .

ومن أساليب الدعاية ما أثاره الممثل الإسرائيلى فى كندا فى عبارة السيد / عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية استنكاراً للعدوان الإسرائيلى الأثيم على العرب الآمنين فى ديارهم بقوله : « سيرى العالم حرب إبادة ومذابح جماعية يتحدث عنها التاريخ وتذكرها الأيام كما ذكرت شبيهاتها المغولية والصليبية » .

اتخذ هذه العبارة ليبدأ بها دفاعه عن الأعمال الإرهابية التى ارتكبتها العصابات الصهيونية لتبرير أعمالها باعتبارها تواجه كراهية العرب للصهيونية ، وانعكست الصرخة لغير صالح العرب بفضل أسلوب الدعاية الصهيونية ضد العرب الذى يعتمد دائماً على سياسة «دموع التماسيح » .

وجميع عصابات منظمات الهاجاناه ، والبالماخ ، والأرغن زفاى ، والشترن ، ترتكب أعمالها الشريرة منذ سنة ١٩٣٥ بتوجيهات من الوكالة اليهودية

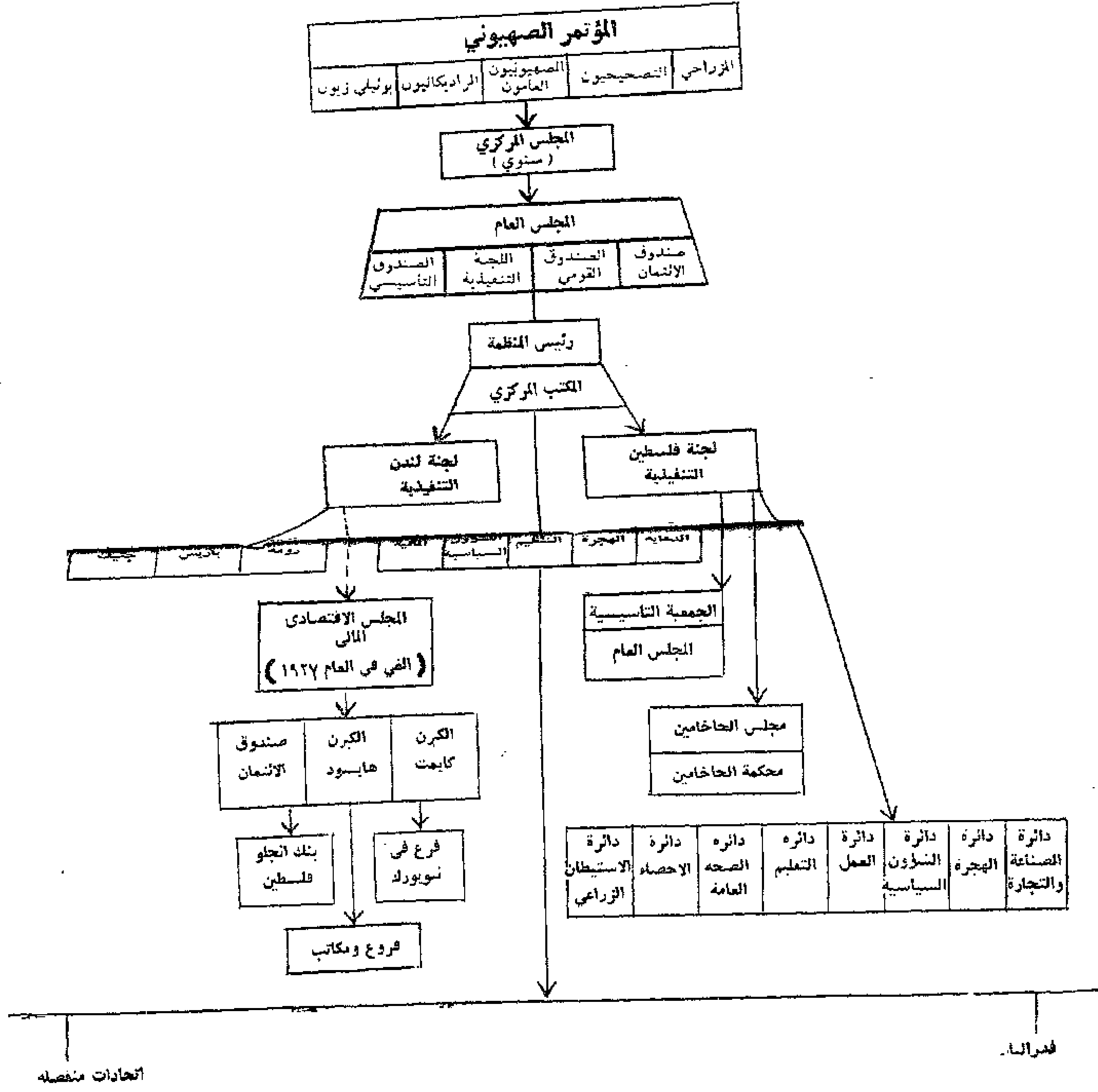
العالمية ، ومن عقيدة دينية تمتد جذورها عبر القرون إلى عهد يشوع بن نون خليفة موسى عليه السلام ، إذ تزعم التوراة أن يشوع قد أمر الإسرائيليين بذبح الرجال والنساء فى مختلف الأعمار دون شفقة أو رحمة وإبادتهم حتى تخلو المدينة لهم:« وأحرق يشوع عاى وجعلها تلا أبديا خرابا إلى هذا اليوم .وملك عاى علقه على الخشبة إلى وقت المساء وعند غروب الشمس أمر يشوع فأنزلوا جثته عن الخشبة وطرحوها عند مدخل باب المدينة وأقاموا عليها رجمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم »[1] .

ولم يكن العرب وحدهم يستنكرون هذا العدوان فحسب ، بل إن رجالا من ذوى الضمائر الحية من بريطانيا قد استنكروا أعمال هذه العصابات ، وقيام دولة الصهيونيين بفلسطين ، ومن هؤلاء الدكتور أرنولد توينبى الذى وصف المذابح وأعمال الإبادة التى ارتكبتها العصابات الصهيونية فى قرية دير ياسين بقوله : « إن الأعمال الشريرة التى اقترفها اليهود الصهيونيون ضد عرب فلسطين ، والتى لايمكن مقارنتها بالجرائم التى اقترفها النازيون ضد اليهود ، وذلك لفظاعتها وعنصر الوحشية بها ، و التى لايمكن تصورها من أساليب الوحشية التى اتخذت من ذبح النساء والرجال والأطفال فى « دير ياسين » فى التاسع من إبريل « نيسان » سنة ١٩٤٨ ، مما نتج عنه هروب السكان العرب مذعورين فى أعداد كبيرة من المناطق التى تقع ضمن نطاق أعمال القوات اليهودية المسلحة » .

ولهم فى دعايتهم ماكمكنهم من تضليل الرأى العام العالمى،من ذلك أن مناحم بيجين الإرهابى الخطير قام بزيارة للولايات الأمريكية المتحدة فى موسم انتخابات رئاسة الجمهورية ، وتألفت لجنة استقبال وكان فى جملتها بعض

---

(١) يشوع ٨ : ٢٨ — ٢٢ .



المؤتمر الصهيوني
المزراحي
التصحيحيون
الصهيونيون العامون
الراديكاليون
بوئيلي زيون
المجلس المركزي
(سنوي)
المجلس العام
صندوق الائتمان
الصندوق القومي
اللجنة التنفيذية
الصندوق التأسيسي
رئيس المنظمة
المكتب المركزي
لجنة لندن التنفيذية
لجنة فلسطين التنفيذية
الهجرة
التنظيم
باريس
المجلس الاقتصادي المالي
(الغي في العام ١٩٢٧)
الجمعية التأسيسية
المجلس العام
مجلس الحاخامين
محكمة الحاخامين
الكرن كايمت
الكرن هايسود
صندوق الائتمان
فرع في نيويورك
بنك انجلو فلسطين
فروع ومكاتب
دائرة الصناعة والتجارة
دائرة الهجرة
دائرة الشؤون السياسية
دائرة العمل
دائره التعليم
دائره الصحه العامة
دائرة الاحصاء
دائرة الاستيطان الزراعي
فدراليات
اتحادات منفصله

الشيوخ وأعضاء الكونجرس ، وحكام الولايات المتحدة ، وحملة الأقلام وأرباب الصحافة والإذاعة ، حتى رجال الدين أنفسهم ، فقد اجتمعوا كلهم للاشتراك فى استقبال المحتفى به زعيم المنظمة الإرهابية « أرغون زفاى ليومى » The Urgan Zvai Laumi . وقد قوبل « مناحم بيجين » بحماس وتأييد للأعمال الباهرة — فى نظرهم — التى قام بها فى فلسطين من نسف فندق الملك داود بمن فيه من النزلاء والخدم الأبرياء ، إلى وضع قنبلة موقوتة تحت مبنى القنصلية البريطانية ، إلى شنق عدد من الجنود البريطانيين ، إلى ذبح النساء العربيات والأطفال ، والمسنين فى دير ياسين . وكانت زيارته فى وقت تشتد فيه المعركة الانتخابية مما جعلها فرصة استغلها الحزبان للفوز بأصوات اليهود بأن عمد البعض من المرشحين ، زيادة فى استرضاء اليهود ، إلى الإيعاز إلى صحيفة « نيويورك تايمز » لكى تنشر مقالا عن « بيجين » بعنوان : الرجل الذى هزم إمبراطورية وكسب المجد لإسرائيل .

ومع هذا فإن الحق أحق أن يتبع ، ففى غمرة هذه المظاهر تبرز جماعة من الأمريكيين « المعتدلين » يستهجنون أعمال العصابات الصهيونية . فلقد استهجن السناتور آرثر كابر ، والسناتور هربرت أوكتور — إدراج اسميهما فى لجنة الاستقبال دون علمهما أو موافقتهما ، كما أبرق عضو الكونجرس الأمريكى جون كنيدى إلى لويس برومفيلد يطالب شطب اسمه من لجنة الاحتفال بمناحم بيجين وهذا الأخير لم ينج من مداهمة الدهماء له من الصهيونيين الذين لقى مصرعه بأيديهم إبان رئاسته لجمهورية الولايات الأمريكية المتحدة .

ووقف من اليهود المعتدلين من يستهجن أعمال العصابات الصهيونية منهم العلامة الأمريكى ألبرت أينشتاين ، والبروفسور سيدنى هوك ، وغيرهما من كبار

العلماء والشخصيات اليهودية المتزنة ، إذ أعلنوا منذ اللحظة الأولى معارضتهم لسياسة مناحم بيجين الإرهابية التى تشجع العنصرية الدينية .

بل يقرر الدكتور أرنولد توينبى بقوله : « لم تكن لليهود مبررات فى عام ١٩٤٨ لتشريد عرب فلسطين من بيوتهم ، بقدر مالم تكن هناك مبررات عند نبوخذ نصر ملك بابل ، وتيطس وهادريان أباطرة الرومان ومحاكم التفتيش الإسبانية والبرتغالية فى عهد الملك فرديناند والملكة إيزابلا . ولعل الصهيونيين فى عام ١٩٤٨ كانوا يعرفون من تجاربهم الخاصة — من سبق اضطهاد الشعوب الأوربية لهم ـ ماذا يعملون ! ! ولعلها مأساتهم الكبرى » .

أما الظلم الذى وقع عليهم من اختباراتهم مع سادتهم الألمان النازيين فإنه لم يجنبهم الوقوع فى ذلك ، بل دعاهم إلى تقليد بعض الأمور والأعمال الشريرة التى اقترفها النازيون ضدهم ، ولاريب فى أن ذبح النازيين لليهود رغم ما أضفى عليه الصهيونيون من مبالغة كان عاراً صارخاً .

لكن ذبح الصهيونيين للعرب العزل من السلاح والآمنين فى ديارهم لا يمكن وصفه بأية عبارات مستمدة من معاجم إنسان الغاب .

التغلغل الصهيونى فى الغرب

١ — التغلغل اليهودى فى الولايات المتحدة الامريكية :

يؤكد روبرت إدموندسن [1] مدى التغلغل اليهودى فى الولايات المتحدة بالقائمة التالية :

---

(١) I Testify . Robert Edmondson , Oregon U.S.A. 1935 .

الوظيفة	عهد الرئيس ويلسون ١٩١٤ — ١٩١٨	عهد الرئيس روزفلت ١٩٣٩ — ١٩٤٥
المستشار للشئون الاقتصادية	برنارد باروخ	برنارد باروخ
المستشار للشئون المالية	المليونير هنرى مورجانتو	المليونير هنرى مورجانتو (١)
المستشار للشئون السياسية	الكولونيل ماندل	صموئيل روزنمان
المستشار القانونى الدولى	وولتر ليمان	وولتر ليمان
المستشار القضائى	جستس لويس براندیس	جستس لويس براندیس
كبير المستشارين السياسيين والمتسلط على البيت الأبيض	المليونير فيلكس فرانكفورتر	المليونير فيلكس فرانكفورتر

وروزفلت نفسه كان يهوديا ، ولذلك جمع أيام حكمه أكبر عدد من اليهود وحشدهم فى دوائر الحكومة ، ولقد صور المجاهد الأمريكى إدموندسن فى كتابه « أشهد » هذا التغلغل الصهيونى فى سيطرة اليهود على اقتصاديات البلاد ومواردها الطبيعية. وفى عهد روزفلت اتخذت نجمة سليمان شعاراً لدوائر البريد، وعلى أختام البحرية الأمريكية وعلى طبعة الدولار الجديد ، وعلى ميدالية رئيس الجمهورية ، وعلى شارة الصدر التى يضعها العمدة Sheriff فى كثير من المناطق .

وقد تنبأ بالخطر الذى يهدد الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة لسيطرة اليهود على جميع مرافق الجمهورية الفيلسوف بنيامين فرانكلين بقوله (٢) : « إن

---

(١) المليونير هنرى مورجانتو قدرت ثروته بألفى مليون دولار .

(٢) Philadalphia museum 1787.

A great big danger threatens the United States of Amerca, the Jewish terror . If on the constitution we are drafting , we fail to put a end to Jewish immigration . =

الولايات المتحدة مهددة بخطر عظيم » . والخطر الذى قصده فرانكلين هو الخطر اليهودى ، فقد رأى بعين السياسى والفيلسوف مستقبل الولايات المتحدة بعد مائتى عام فرآها تركع تحت أقدام بضعة ملايين يهودى يسيطرون على سياستها ، ويوجهون ثقافتها ودعايتها وفنها ، ثم ترتبط بهم مصالحها الاستعمارية بعد ذلك فتضعهم فى فلسطين رأس جسر لمحاولتها التى لا تنتهى للسيطرة على المنطقة العربية ، ولإسقاط الأنظمة الثورية التى نبتت فى أرضها . والرسالة التى وجهها هذا الفيلسوف اللامع صاحب وثيقة الاستقلال إلى ممثلى الأمة الأمريكية لامثيل لدقتها فى تصور المستقبل الذى تجرى الآن فصوله وأحداثه . كأن بنيامين فرانكلين كان يقرأ فى كتاب مفتوح فيقول (١) :

ــ إن خطرا عظيما يهدد الولايات المتحدة . . هو الرعب اليهودى .

ــ إننا إذا ماعجزنا عن طريق هذا الدستور الذى نضعه عن وقف الهجرة اليهودية ، فإنهم « اليهود » سوف يحكموننا فى أقل من مائة عام ، وسوف يغيرون نظام حكمنا ، الذى بذلنا نحن الأمريكيين دماءنا ، وقدمنا أرواحنا فى سبيله .

ــ إننى أحذركم أنكم إذا لم تلقوا باليهود خارجا بحيث لايعودون

= They " the Jews " will govern us in less than a hundred , and will change the form of our government for which we the Americans shed our blood and gave our lives .

I am warning you , if you do not thrash the Jews out , never to come again , your sons , and grandsons curess will follow you eternality. Benjamin Franklin .

(١) رسالة بنيامين فرانكلين إلى المؤتمر الدستورى الاتحادى الذى عقد بفلادلفيا عام ١٧٨٧ .

أبداً مرة أخرى ، فإن لعنة أولادكم وأحفادكم سوف تلاحقكم إلى الأبد .

بنيامين فرانكلين

فهل جاوز فرانكلين الحقيقه ؟

إن ماتصوره الفيلسوف منذ قرنين تقريبا يتم الآن بدقة بالغة.

وعودة إلى التغلغل الصهيونى فى واشنطن حيث نلتقى بالرئيس ترومان خليفة الرئيس الراحل روزفلت ، فقد كان ترومان هذا من أشد المتحمسين للصهيونية ، وكتابه المقدس المفضل هو التلمود ! !

وقد جمع من حوله أقطاب اليهود وعملاءهم ، وملأ الدوائر بهم ، فكان عهد ترومان من أسوأ العهود فى رئاسة جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ، بل كان أسوأ من سلفه « روزفلت » وجمع حوله فى أكبر مناصب الدولة :

الوظيفة	الاسم	ملاحظات
المستشار الخاص	سام برجر	
المستشار للشئون الخارجية	دافيد نايلز	
مساعد المستشار « « (اوربا)	دين اتشيسون	نصف يهودى
رئيس لجنة الذرة	تيودور اشبلز	
	برنارد باروخ	
مساعد المندوب السامى فى ألمانيا	تينو ايزر	
السفير فى لندن	بول داربرج	
حاكم ألاسكا	كرونتج	
مدير الإنتاج الحربى	فليخمان	
مساعد مدير التعبئة الدفاعية	واينبرج	

ملاحظات	الاسم	الوظيفة
	ماكس ليفا	سكرتير وزارة الدفاع
	أنا روزنبرج	سكرتيرة وزارة الدفاع
	فينلــــتر	سكرتير القوات الجوية
	الجنرال مارك كلارك	رئيس أركان حرب القوات الأمريكية
	الجنرال جينز برج	مدير المخابرات العامة
	الجنرال ليمان	مدير المساعدات الحربية الخارجية
	الجنرال كيرتس لى مى	استراتيجية قيادة الجو
نصف يهودى	الجنرال دوايت أيزنهاور	القائد الأعلى للقوات المسلحة
	الجنرال فيلدمان	رئيس أركان حرب الإدارة والمهات
	فيليب بيرلمان	المحامى العام — قضايا الدولة
	فيليب كيسر	نائب سكرتير عام العمل
	ربر	المستشار السياسى المندوب السامى فى ألمانيا الغربية
	ولف سون	مساعد وزير الداخلية
	سبتجارن	مساعد خاص لترومان
	موريس كاسترو	حاكم جزيرة فيرجين
	وليم بالى	رئيس لجنة المواد الخام
	هاريس	مساعد المدعى العام
	ليون كيسرلنج	رئيس المجلس الاستشارى للاقتصاد
	بنجامين كوهين	السكرتير الصحفى المسئول فى الأمم المتحدة
	ليوبا فونسكى	مساعد وزير الخارجية وهو الذى سبق فوضع ميثاق هيئة الأمم المتحدة
	جوليوس كلين	مستشار الحزب اليهودى للشئون الدفاعية .

ومن هذا يظهر أن ترومان جعل حاشيته من الصهيونيين ومكنهم من الوظائف العليا بالوزارات والمصالح الحكومية. وبلغت نسبة شغلهم للوظائف الحرة والمهن الحرة بالإضافة إلى سيطرتهم على أجهزة الحكومة درجة عالية :

من المحامين	٧٠ ٪	يهود	يقابلها	٣٠ ٪	أمريكيون
من الأطباء	٦٩ ٪	»	»	٣١ ٪	»
من التجار	٧٧ ٪	»	»	٢٣ ٪	»
من موظفي الدولة	٣٨ ٪	»	»	٦٢ ٪	»

مع الإحاطة بأن الوظائف الرفيعة في البيت الأبيض يسيطر عليها الصهيونيون سيطرة كاملة ، وليس بينهم عمال مزارعون أوكادحون أوعاطلون.

بينما نسبة تعدادهم تقدر ب ٤ ٪ من نسبة السكان

٢ — التغلغل اليهودي في هيئة الامم المتحدة :

وجاءت الإحصائية عن السنوات الأولى التي أعقبت تأسيس جمعية الأمم المتحدة بعد انتهاء الحرب الكونية الثانية سنة ١٩٤٥ (١) تؤكد أن منظمة هيئة الأمم المتحدة يسيطر عليها الصهيونيون :

الوظيفة	الاسم	الديانة
السكرتير العام	تريجفي لي	يهودي
مساعد السكرتير العام لشئون الإعلام	بنجامين كوهين	»
مدير المكتب الإداري	ك . وايتر	»
مستشار خاص للإدارة الاقتصادية	ا . روزنبرج	»
مدير الإدارة الاقتصادية	د . وينتروب	»

(١) World Dictatorsbip, Hillary Cotter. Suffolk, 1951.

الوظيفة	الاسم	الديانة
مدير قسم الإعلام	بنويث ليڤى	يهودى
نائب مدير الهيئة الإدارية	ماكس ابراموفتش	«
مدير الإدارة القانونية	ا . فيلر	«
مدير إدارة المطبوعات . قسم الوثائق	د . زايلودسكى	«
مدير قسم الترجمة	ج . رابينوفتش	«
مدير مركز الأمم المتحدة فى جنيف	ج . شابيرو	«
مدير التنفيذات	م . بيرجمان	«
مدير عام مكتب العمل الدولى فى جنيف	د . مورس	«
سكرتير البنك الدولى	م . مندلر	«
مدير إدارة الاعتمادات المالية الدولية	ك . چت	«
مساعد « « « «	و . التمان	
مدير الأبحاث فى الاعتمادات المالية الدولية	م . برنشتاين	«
المستشار الأول فى الاعتمادات المالية الدولية	جوزيف جولد	«
المستشار الثانى فى الاعتمادات المالية الدولية	ليو لافنال	«
المدير الفنى لهيئة الصحة العالمية	ج . ماير	«
مدير مؤسسة اللاجئين الدولية	م . كوهين	«
مساعد مدير مؤسسة اللاجئين الدولية	ج . جيكوبسن	«

الوظيفة	الاسم	الديانة
نائب المدير الفنى لهيئة الصحة العالمية	ز . دوتشمان	يهودى
مدير مكتب التوتر الدولى	و . كلينبرج	»
عضو لجنة الطاقة الذرية الدولية	برنارد باروخ	»
نائب مندوب الولايات المتحدة الدائم	إيرنست كروس	»
ممثل الأمم المتحدة فى كوريا	الفرد كاتزن	»
مندوب الولايات المتحدة فى اللجنة الاقتصادية وشئون الموظفين	إزادور لوبين	»
مندوب بولندا الدائم	جوليوس كاتز سوشى	»
مندوب روسيا فى مجلس الأمن	مانيلو سكى	»
مدير قسم التعويضات الدولية	ر . يودين	»

وفى قسم اليونسكو بالأمم المتحدة يسيطر اليهود على النشاط الثقافى للأمم المتحدة ، ويوجهون ذلك النشاط إلى خدمة الأهداف اليهودية العالمية .

ومن المسئولين الكبار عن اليونسكو :

الوظيفة	الاسم	الديانة
مدير إدارة نشر الثقافة	ج . إيزنهارت	يهودى
مدير قسم التبادل الثقافى الدولى	س . لوفمان	»
مدير قسم العلاقات العامة	ه . كابلان	»
مدير إدارة الموظفين	ه . سيلسكى	»
مدير قسم الإسكان	م . أبرامسكى	»
مدير العلاقات الخارجية	آلف سمرفلت	»
مدير قسم الإنشاءات	ب . وير مايل	»
مدير مركز البحث العلمى فى جنوب آسيا	ا . ويلسكى	»

٣ — التغلغل اليهودى فى بريطانيا :

وجاء فى كتاب : The Jews of Britain , Sidney Salomon
Hutchinson . London 1939

« إن اليهود شرعوا يتسللون إلى البلاد تحت حماية كرومويل معلنين يهوديتهم سنة ١٦٥٦ . وسرعان ماتغلغلوا فى الحياة البريطانية محطمين تقاليد الشعب البريطانى وعاداته » .

ومن أبرز الأعمال والشخصيات التى ظهرت وذلك من قبيل المثال :

أبرز الأحداث أو الشخصيات	التوقيت
روتشيلد يمنح الحكومة البريطانيةقرضا بما يوازى ٢٠مليون جنيه	١٨٣٦
تأسيس أول جريدة إنجليزية يهودية	١٨٤١
تأسيس المنظمة اليهودية « الصهيونية »	١٨٩٧
تعيين جورج فيلبس رئيسا لبلدية لندن	١٨٩٧
تعيين السير ماثيو ناثان حاكما لساحل الذهب	١٩٠٠
تعيين السير هربرت صموئيل وزيراً للحكومة	١٩٠٩
» » » » أول مندوب سام بريطانى بفلسطين	١٩٢٠
تعيين القاضى ريدنج فى منصب قاضى القضاة	١٩١٣
» اللورد ريدنج سفيرا لبريطانيا فى الولايات المتحدة الأمريكية	١٩١٨
» » » حاكما للهند	١٩٢٠
منح وعد بلفور ترضية لروتشيلد تقديرا لخدماته للدولة	١٩١٧
تعيين الجنرال السير موناش « جون موناش » قائدا للجيش	١٩١٨
تفويض عصبة الأمم بريطانيا للانتداب على فلسطين	١٩٢٠
تعيين هور بليشا وزيرا للحرب	١٩٢٧

هكذا كان التغلغل اليهودى التدريجى فى الحياة البريطانية فى الفترة التى غلبت فيها سياسة التسامح والتغاضى عن خطط اليهود الشريرة .

٤ — التغلغل اليهودى فى فرنسا :

وجاء فى نشرة Gothic Ripples , Arnold Leesé العـــدد ١١٣ بتاريخ ١٩٥٥/١١/٢٩ عن أبرز الشخصيات الفرنسية الذين وصلوا إلى مناصب عليا فى الدولة فى النصف الأول من القرن العشرين وهم من اليهود :

الاسم	الوظيفة
ليون بلوم	وصل إلى رئاسة الوزارة الفرنسية
منديس فرانس	» » » » »
إدجار فور	» » » » »
فنسان أوريول	وصل إلى رئاسة الجمهورية الفرنسية
رينيه ماير	وصل إلى منصب الوزارة مرات عديدة
جول موخ	» » » » »
دانيال ماير	» » » » »
موريس شومان	» » » » »
هيرفى القاند	ممثل فرنسا الدائم فى مجلس الأطلنطى
ل . فروسار	وصل إلى منصب الوزارة مرات عديدة
موريس بتسن	» » » » »
ج . رواف	» » » » »
جاك شترن	» » » » »
هنرى الفر	» » » » »

الوظيفة	الاسم
رئيس الحزب الشيوعى	م . توريز
وصل إلى منصب الوزارة ومسئول عن الطاقة الذرية	جاستون بالوسكى
وصل لمنصب سكرتير عام المؤسسة التعاونية الاقتصادية لأوربا	ر . مارجولين
وصل لمنصب سكرتير للجنرال ديجول	آ . مانتو
وصل لمنصب السفارة وحاكم المغرب	ج . جرانفال
وصل لمنصب السفارة وحاكم للجزائر	ج . سوستيل
مستشار دائم لرؤساء الحكومات ومدير جريدة La Lumiere	جورج يورى
نائب رئيس المجلس التأسيسى	أندريه ويتلم
أستاذ كرسى الاجتماع فى السوربون	ريمون آرون
سفير فرنسا فى موسكو	لوى جوكس
سفير فرنسا فى كل من الهند واليابان وتشيكوسلوفاكيا	دانيال ليفى
رئيس محكمة الاستئناف العليا	ليون ميس
رئيس المكتبة الوطنية	جولين كين
مدير المباحث العامة	روبرت هيرشى
حاكم بنك فرنسا	و . بومجارتنر
ممثل الصحافة الفرنسية فى الولايات المتحدة	هنرى توريز
مدير مختبر الذرة	لف كوفارسكى
قائد الجيش الفرنسى فى القطاع المحتل من ألمانيا وكان وزيرا للدفاع فى حكومة فور	الجنرال كوينج
قائد القوات الفرنسية فى اليابان	الجنرال زنوفى بيسكونى

الوظيفة	الاســـــم
رئيس حلف الأطلنطى N. A. T. O.	أدميرال لوى كان
سكرتير عام القوات المسلحة الفرنسية	أدميرال لوى كان
وزير الدفاع	الجنرال بيبلو
رئيس أركان حرب الإدارة فى القيادة العليا لقوات الحلفاء فى أوربا	الجنرال بيير برساك
ممثل فرنسا فى محاكمات نورمبرج	روبرت فالسكو
ممثل فرنسا فى محادثات أراضى الراين والرور فى موسكو	ﻫ . الفاند
ممثل فرنسا فى جرائم الحرب	ر . كاش

هذا قليل من كثير مما يؤكد تغلغل النفوذ الصهيونى فى حكومات فرنسا ووصوله إلى المناصب الرفيعة الحساسة فى مختلف أجهزة الدولة .

• — التغلغل الصهيونى فى روسيا البلشفية (١) :

كانت نقمة اليهود على روسيا القيصرية عظيمة ، لأنها كانت فى نظر اليهود الركن المكين للمسيحية ، ولأن روسيا لم تهضم تغلغل اليهودية العالمية فى الكيان الروسى ، ولم تسمح بسيطرة اليهود على مقدرات الشعب الروسى كما أنها كانت تشجع عمليات القمع الانتقامية التى كانت توجه لليهود كلما تسببوا فى تدمير اقتصاد بلد من بلدان روسيا ، فكانت الثورة البلشفية سنة ١٩١٧

(١) «التموجات الهمجية» Gothic Ripples , Arnold Ieese النشرة رقم ٧٧ بتاريخ ٢٨ يونيو سنة ١٩٥١ .

وكان من ورائها قولا وعملا وتمويلا عتاة اليهود، والممولون الرئيسيون للثورة البلشفية كانوا من اليهود أمثال : ماكس واربرج ، وشقيقه بول واربرج Paul Warburg وهما من الشركة اليهودية فى نيويورك .Kulin Soeb & Co وكراسن Krassin ، وفيرز تنبرج Furstenberg وفى أيام الثورة الأولى استولى اليهود على السلطة ، وانتقموا من الشعب الروسى القيصرى ، وقتلوا ملايين الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال (١) .

وحينما قامت الثورة البلشفية كانت نسبة اليهود فى المكتب السياسى وفى مجالس الحرب والثورة بنسبة ٧ : ٨ .

.« إن الأفكار اليسارية للصهيونيين والمؤيدة لروسيا تبدو الآن وكأنها تخص الجيل القديم فقط . أما بالنسبة للجيل الجديد فالصورة تختلف كليا .

« فطبيعة تركيب الاقتصاد الإسرائيلى الحالى هى من أقوى أسباب ضمور أيديولوجية اليسار فى الأحزاب الإسرائيلية وخاصة بالنسبة لحزب الماباى ، الحزب الحاكم فى إسرائيل .

« فإنهم فى واقعهم يؤمنون بالتغيير الاجتماعى وبالتطور وليس بالثورة . ومن ثم فإن الحافز الحقيقى لأيديولوجية قيادتهم وتمويلهم للثورات هو حافز الحاجات النفعية لهم فحسب .

«ومن ثم فإنهم سرعان ما ينتقضون على الثورة ذاتها ، إذا ما وجدوا أنها قد تحقق خيرا للشعوب التى قامت من أجلها ، وقد حدث ذلك فى الثورة البلشفية ذاتها» (٢).

---

(١) إن انتقام إسرائيل الجبان امتداد لعصر الهمجية زمان يشوع بن نون خليفة موسى عليه السلام « يشوع ٦ : ٢١ ، ٢٤ » وفى زمان سبى بابل فى ضيافة أحشويرش ملك فارس «أستير ٩ : ٥ » .

(٢) ألن أريان : التغير العقائدى فى إسرائيل ، ص ٧٠ .

تركيب المنظمة الصهيونية العالمية

١٩٤٨

المؤتمر الصهيوني

العمال | الراديكاليون | الصهيونيون العامون | المزراحي | التحريفيون

محكمة المؤتمر | محكمة الشرف

لجنة العمل الكبرى
او
المجلس الصهيوني العام

رئيس المنظمة

اللجنة التنفيذية الصهيونية

المحفوظات المركزية | هاعولام | دائرة التنظيم | امانة الصندوق | لجنة الشباب

اللجنة التنفيذية

الامانة العامة

مجلس الحاخامية — المحكمة الحاخامية

الجمعية العامة — المجلس العام

مكاتب نيويورك وواشنطون | مكتب جنيف | مكتب لندن | مكتب باريس

الصندوق التأسيسي لفلسطين | صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار | الصندوق القومي اليهودي

فروع في لندن واميركه | مكاتب | فروع في لندن واميركه

دائرة الهجرة — مكاتب فلسطين

دوائر ومكاتب واقسام مختلفة

اجهزة بناء الوطن القومي

اجهزة صهيونية مستقلة | الجهاز الصهيوني

احزاب منفصلة | اتحادات منفصلة | فدراليات

ويقول هالهرمان عن التقلب العقائدى للصهيونيين : « إنهم صورة غريبة لحزب اشتراكى يقدم الجزر لحمار رأسمالى ، لأنهم يعتقدون بأن البلد يحتاج إلى الاستثمارات بشدة » (١) .

٦ — التغلغل اليهودى فى الدوائر الروسية البلشفية (٢) :

البيان	مجموع الموظفين	اليهود منهم	نسبة اليهود
أول حكومة بعد الثورة	٢٢ وزيراً	١٧ وزيرا	٧٨ ٪
إدارة الحرب	٤٣	٣٤	٨٠ ٪
لجنة الشئون الداخلية	٦٤	٤٥	٧٠ ٪
لجنة الشئون الخارجية	١٧	١٣	٨٠ ٪
لجنة الشئون المالية	٣٠	٢٦	٨٧ ٪
لجنة الشئون القضائية	١٩	١٨	٩٥ ٪
لجنة الشئون الصحية	٥	٤	٨٠ ٪
لجنة التوجيه العام	٥٣	٤٤	٨٣ ٪
لجنة البناء والتعمير	٢	٢	١٠٠ ٪
لجنة الصليب الأحمر الروسى	٨	٨	١٠٠ ٪
إدارة الأقاليم	٢٣	٢١	٩١ ٪
شئون الصحافة	٤٢	٤١	٩٧,٦ ٪
لجنة التحقيق عن الموظفين	٧	٥	٧١ ٪
لجنة التحقيق عن ذبح القيصر وأسرته	١٠	٧	٧٠ ٪

(١) جوزيف بادى ، حكومة دولة إسرائيل ، ص ٢٧٢ ؛

(٢) “ I Testify ” Robert Edmondson, Oregon; U. S. A. 1935.

فالمهيمنون على الوزارة الألمانية :

هاس	Hasse	لندزبرج	Landsberg
كوتسكى	Kautski	ألزخ	Alzech
كون	Kohn	هرتسفلد	Hertsfeld

والمهيمنان على المالية :

شيفر	Schiffer	برنشتاين	Bernstein

فى المقاطعات الالمانية :

١ — بروسيا

الداخلية بروس Preuss ، فروند Freund

وزير الداخلية هرش Hirsch

وزير العدل روزنفلد Rosenfeld وكانت وزارته يهودية ١٠٠٪

وزير المالية سمن Simn

٢ — سكسونيا

يهيمن على الحكومة لبنسكى Lipinski وشوارتز Schwartz

٣ — رينمبرج

يهيمن على الحكومة تالمايمر Talheimer وهيمان Heiman

٤ — هس

المتسلط على الحكومة فولد Fuld

والذين قادوا ثورة ميونخ البلشفية سنة ١٩١٨ هم اليهود :

Luxembourg	Eismer	Lowenherg	Rothschilv
Arnold	Liebknecht	Kaiser	Rorsnfeld
Wolheim	Rosenhek	Berenbaum	Reis
Kranold			

وكان رؤساء مجالس العمال والجنود من اليهود . وكان مدير بوليس برلين وفرانكفورت وميونخ وأسن من اليهود .

ومن أجل هذا خسرت ألمانيا الحرب الكونية الأولى التى كانت من صنع اليهود أنفسهم ، والتى خططو لها انتقاما من قيصر ألمانيا الذى لم يشجعهم فى الاستيطان بفلسطين حينما طلبوا منه ذلك . وقد عادت نكبة ألمانيا عليهم وحدهم بالفائدة إذ وجدوا الصديقة الوفية ممثلة فى بريطانيا التى منحتهم وعد بلفور للاستيطان بفلسطين. وظل تسلط اليهود على ألمانيا قائما إلى أن جاء هتلر سنة ١٩٣٣ وشرع فى تحرير ألمانيا من سيطرة اليهودية الصهيونية .

وحينما تسلم هتلر مقاليد حكم ألمانيا عين لجنة من العلماء لدراسة مشكلة اليهود ووضع المقترحات لحل تلك المشكلة المزمنة . وبعد دراسة طويلة قرر العلماء الألمان أن الحل الوحيد لمشكلة اليهود هو قتلهم أو ترحيلهم عن البلاد .

ونفذ هتلر قرار علمائه وعامل اليهود كما عوملوا على مر العصور ، من قتل وحرق وطرد من البلاد لخياناتهم ولغدرهم .

٨ — التغلغل اليهودى فى محكمة نورمبرج :

جاء فى Nuremburg, Peter Clavocoressi, London 1947

وأيضا جاء فى نشرة Gothic Ripples ; Arnold leese

فى العدد ٤٦ فى ٢١ /١/ ١٩٤٩ عن محاكمات نورمبرج ما يلى :

مما يكشف لنا عن سيطرة اليهود العالمية على مختلف الإدارات والأقسام في الأمم المتحدة محاكمات نورمبرج التي خطط لها اليهود، وأمروا بها، وعينوا لها القضاة، ونواب الأحكام، والمنفذين وجميعهم من اليهود. وحين اجتمع مندوبو حكومات الحلفاء بريطانيا وأمريكا وفرنسا وروسيا في لندن لوضع قانون المحكمة في ١٩٤٥/٨/٨ كانت أسماؤهم كما يلي :

الاسم	الدولة	الديانة
جويت Jowitt	مندوب بريطانيا	يهودي
روبرت جاكسون R. Jackson	« الولايات المتحدة الأمريكية	يهودي
روبرت فالكو R. Falko	« فرنسا	يهودي
ترينين A. Trainin	« الاتحاد السوفيتي	يهودي
نيكتشنكو I. Nikitchenko	« « «	روسي

ومن الشخصيات البارزة التي كان لها دور أساسي في محاكمات نورمبرج القاضي اليهودي روزنمان Samuel Rosenman الذي أعد ترتيبات المحكمة كما يلي :

الوظيفة	الاسم	الديانة
سكرتير روزنمان للإعداد للمحاكمة	شلدون كلوك Sheldon Clueck	يهودي
مستشار روزنمان « «	هـ . لفنتال H. Leventhal	يهودي
القاضي البريطاني في المحكمة	لورد جستس لورنس L. Justice Lawrence.	يهودي
نائب القاضي البريطاني في المحكمة	جستس بيركت Justice Birkett	يهودي

الوظيفة	الاسم	الديانة
نائب القاضى الروسى فى المحكمة	كولونيل فولكوف Col. Volchkov	يهودى
القاضى الأمريكى فى المحكمة	فرانسيس بيدل F. Biddle	»
نائب القاضى « « «	جونى باركر John Parker	ماسونى
القاضى الفرنسى فى المحكمة	دونيدى دى فابرى Donnedieu de Vabrer	»
نائب القاضى الفرنسى فى المحكمة	روبرت فالكو R. Falko	يهودى
عضو لجنة الجرائم	لوترباخت Lauterpacht	»
مترجم الجلسة الأخيرة فى المحكمة	جاكوبوفتش A. Jacoubovitch	»
مترجم الأحكام للسجناء فى المحكمة	فرانك W. Frank	»
معد فيلم الوثائق التى استخدمت ضد المتهمين	كارل جاكوبى Karl Jacobi	»
المسئول عن سجن المتهمين طوال المحاكمة	الكولونيل أندروز Col. B. Andrus	»
المسئول عن المحكومين بعد صدور الحكم	س . بندر S. Binder	»
الطبيب النفسانى فى سجن نورمبرج	ل. جولدن سن L. Goldenson	»
منفذ الأحكام	جون ودز . John Woods	»

وأثناء التنفيذ اتبعت طريقة وحشية لا تقضى على المحكوم عليهم بالإعدام بالسرعة المعهودة فى عمليات الشنق التى لا ينبض فيها قلب المحكوم عليه أكثر من بضع دقائق .

وقصد اليهود من وراء ذلك إلى تعذيب المحكوم عليهم العشرة ، فظل

بعضهم حيا لمدة ٢٤ دقيقة ، وأقلهم قضى نحبه فى عشر دقائق . وكان انتقاما جبانا من اليهود نحو زعماء ألمانيا الذين كان ذنبهم الأول والأخير الوقوف فى وجه الصهيونية وسيطرتها الرهيبة على مقدرات ألمانيا .

هذه هى الصهيونية فى ماضيها وحاضرها ، وفى سيطرتها على هيئة الأمم المتحدة ، وسيظل العالم العربى بأسره والدول المحبة للسلام تؤمن بتبعية هيئة الأمم المتحدة للصهيونية العالمية إلى آن تتخلى عن تأييدها لعصابات إسرائيل .

وحينما نجد أن الأغلبية من دولها الأعضاء قد عادت إلى الحق وسحبت اعترافها بإسرائيل ، عندها يقول العالم العربى بأسره والدول المحبة للسلام : إن هيئة الأمم المتحدة قد خرجت من قبضة الصهيونية العالمية ، وبأن كيانها ووجودها كهيئة تمثل دول العالم على مختلف الأديان السماوية والفلسفات البشرية تهدف لإقرار السلام على الأرض .

وقائع قيام إسرائيل

استطاعت الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية بثقل ضغطها على إنجلترا وأمريكا وفى إبان الحرب العالميـــة الثانية أن ترغم إنجلترا على إلغاء الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ وإزالة كل أثر من آثاره وفتح أبواب الهجرة إلى فلسطين لضمان وجود أغلبية يهودية منظمة ومسلحة قبل الإقدام على اتخاذ الخطوة النهائية بإعلان دولة إسرائيل . فتألفت لجنة أنجلو أمريكية(١) مشكلة من اثنى عشر عضواً نصفهم من الإنجليز والنصف الآخر من الأمريكان لبحث مسألة يهود أوربا والقيام باستعراض آخر لمشكلة فلسطين ، وانتهت اللجنة بتوصياتها إلى معارضة قيام دولة عربية أو يهودية فى فلسطين وضرورة بقاء الدولة المنتدبة فى إدارة البلاد لحين وضعها تحت الوصاية الدولية .

(١) شكلت اللجنة الأنجلو أمريكية فى ديسمبر « كانون الأول » ١٩٤٥ .

وانتقد العرب واليهود توصيات اللجنة كل من وجهة نظره ، وهاجموا السياسة البريطانية ، وأعلن كل منهما الكفاح حتى تتحقق أهدافه . فاصطنع اليهود حوادث ١٩٤٦ المعروفة ضد الضباط والجنود البريطانيين ، كما اتخذت الجامعة العربية[1] قراراً بدعوة بريطانيا للمفاوضة مع العرب للوصول إلى حـــل عادل .

التمهيد لمؤتمر لندن الثانى والتخطيط للقيادة البريطانية العربية للجيوش السبعة :

ينبغى إماطة اللثام عن الظروف العربية التى دعمت مؤتمر لندن الثانى للعمل. فمن مذكرات الجنرال جلوب فى كتابه « جندى مع العرب » صفحة ٦٢ ، ٦٣ يقول الجنرال جلوب : « فى سنة ١٩٤٦ عقد الملك عبد الله معاهدة جديدة مع الحكومة البريطانية . وبعد مرور عامين على هذه المعاهدة ، رغب الأردن فى تبديل بعض بنودها ، فأوفد لجنة لمفاوضة البريطانيين .

---

(١) جامعة الدول العربية والملك عبدالله : « من التحفظات الرسمية للملك عبد الله أمير شرق الأردن وقتها على دخول الجامعة العربية والاشتراك فى ميثاقها سنة ١٩٤٤ وهى موجودة فى ملفات الجامعة العربية بخط أمينها عبد الرحمن عزام » شروط عبد الله لدخول الجامعة العربية:

١ — يجب أن تتحد البلاد السورية قبل أن تدخل الجامعة . إنه لا يقبل بجامعة عربية سورية فيها غير موحدة تحت عرشه .

٢ — يجب أن تتعهد بريطانيا بحماية فكرة الجامعة وتأييدها ، إن كان للجامعة أن تنجح.

٣ — إن حقه بعرش سورية يقوم على وعود منحها له الإنجليز من قبل .

٤ — يجب تصغير لبنان وتحويله إلى وطن طائفى مستقل عن المجموعة العربية .

٥ — يجب إبقاء الاحتلال البريطانى للسودان .

٦ — لا ضرورة لإقامة كيان عربى موحد ومستقل فى ليبيا .

٧ — يجب العمل لمنع دخول السعودية واليمن الجامعة .

٨ — يجب القبول بتواصى اللجان البريطانية لفلسطين .

« وكانت اللجنة مؤلفة من رئيس مجلس الوزراء توفيق باشا أبو الهدى ، وفوزى باشا الملقى . . . ومنى كمستشار عسكرى .

« وسرعان ما أخذت بريطانيا بوجهة النظر الأردنية فعدلت المواد المقترح تعديلها ، وبعد هذه المفاوضات أجرى توفيق باشا محادثات سرية مع وزير الخارجية أرنست بيفن ، ولم يكن توفيق باشا يحسن الإنكليزية فرافقته كترجمان — فبعد أن أوضح السبب لهذه المحادثة السرية ، ذكر توفيق باشا بأن الانتداب البريطانى على فلسطين سينتهى قريبا ، وأن اليهود أعدوا العدة لتأليف حكومة تشرف عليهم عقب انتهاء الانتداب ، ولكن العرب لم يهيئوا شيئاً من هذا ، فاليهود لهم شرطتهم ، ومجالسهم النيابى ، وقد أعدوا نواة لجيشهم من جماعات « الهاجاناه » بينما العرب فى فلسطين لا يملكون السلاح ، وليس لديهم الوسائل الكفيلة بإقامة جيش يحميهم — كما أوضح توفيق باشا أن النتائج حول نهاية هذا الموضوع ما زالت غامضة ، وقد قدر أن واحداً من أمرين سيقع :

« إما أن اليهود سوف لا يعتبرون قرارات الأمم المتحدة فيحتلون فلسطين بأسرها حتى حدود نهر الأردن بالقوة ، أو أن مفتى فلسطين سيعلن نفسه حاكما عاما على البلاد . وإن نتائج هذين الأمرين ليست فى مصلحة الأردن وبريطانيا .

« فالمفتى يعتبر بريطانيا ألد أعدائه ، وقد قضى مدة الحرب مع هتلر ، كما أنه عدو للأردن ، ويعتبر نفسه المنازع الوحيد لجلالة الملك عبد الله — وقد ذكر أبو الهدى أن حكومة جلالة الملك كثيرا ما تتلقى الرسائل والعرائض من زعماء الشعب الفلسطينى راغبة فى تدخل الجيش العربى لحماية الفلسطينيين بعد خروج القوات البريطانية من هناك . وقد رأى الرئيس أبو الهدى أنه ليس ثمة

مانع من دخول الجيش العربى إلى البلاد بعد انسحاب البريطانيين .

« وإنى أذكر حتى اليوم المستر بيفن ، وهو جالس فى مكتبه بعد أن أنهيت ترجمه الحديث ، يرد على الرئيس الأردنى قائلا : إن ذلك هو الحل الوحيد المعقول .

«ولم أر بدا من أن أوضح للرئيس الأردنى بأن الجيش العربى ليس بمقدوره أن يحتل منطقتى غزة والجليل فى الضفة الغربية . فأيد الرئيس الأردنى فكرتى ، وقد قمت بدورى فذكرت هذا المستر بيفن الذى قال : « إن هذا هو الحل الوحيد ، لكن يجب ألا تذهبوا إلى أبعد من ذلك وتحتلوا المنطقة اليهودية» .

«قال الرئيس أبو الهدى : «ليس لدينا هذه الإمكانيات لو تمنينا ذلك». وقد تابع كلامه مشيرا إلى المعاهدة البريطانية الأردنية ، بأن على الفريقين المتعاقدين أن يتشاورا فى حال حدوث أزمة ما ، وأن الأردن لن يتخذ أية خطوة إيجابية إلا بعد مشاورة الحكومة البريطانية . عندئذ شكر المستر بيفن توفيق باشا لوضوح موقف حكومة الأردن ، وأعلن موافقته على مشروع حكومته » .

مؤتمر لندن الثانى وتحلل بريطانيا من التزاماتها بمقتضى الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ :

وجدت بريطانيا فرصتها الذهبية فى هذه الدعوة للتحلل من التزاماتها السابقة ولتقرير سياستها المقبلة ، فدعت إلى عقد مؤتمر لندن الثانى بينها وبين العرب واليهود فى سبتمبر ١٩٤٦ ، واشترك فيه مندوبون عن مصر والعراق وسوريا والأردن والمملكة السعودية واليمن وفلسطين ، كما حضره مندوبون عن الوكالة اليهودية .

وقدمت بريطانيا فى هذا المؤتمر مشروعاً أطلق عليه اسم مشروع «موريسون» نسبة إلى مستر موريسون رئيس مجلس العموم العمالى ، وقد تضمن المشروع تقسيم فلسطين إلى أربع مناطق إدارية تتمتع بنوع من الحكم الذاتى « منطقة عربيه ـ منطقة يهودية ـ منطقة القدس ـ منطقة النقب » تحت إشراف حكومة مركزية .

وقد رفض العرب هذا المشروع لأنه يؤدى إلى تقسيم فلسطين كما أنه خالف الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ الذى كان أدنى حد لمطالب العرب اعترفت به بريطانيا ، وقدموا مشروعا عربيا على أساس قيام دولة واحدة واعتبار اليهود المهاجرين فلسطينيين لهم كافة الحقوق كمواطنين فى الدولة الفلسطينية ، كما نص على مبدأ التحالف البريطانى — الفلسطينى . وقد طلبت بريطانيا مهلة لدراسة المشروع العربى حتى منتصف شهر ديسمبر سنة ١٩٤٦ .

أما اليهود فقد رفضوا مشروع « موريسون » جملة وتفصيلا ، وأعلنوا مقاومتهم لكل مشروع لا يستهدف إقامة دولة يهودية فى فلسطين ، وابتدأوا فى عمليات إرهابية ضد الإنجليز والعرب ، ولم يتقدموا إلى المؤتمر بأى مشروع مقابل .

وعندما استأنف مؤتمر لندن اجتماعاته فى يناير سنة ١٩٤٧ رفض اليهود الاشتراك فيه إلا إذا كانت أبحاثه تتضمن قيام الدولة اليهودية . وفى الوقت نفسه رفضت بريطانيا المشروع العربى ، وقدم مستر بيفن وزير خارجية بريطانيا مشروعا جديداً عرف باسم « مشروع بيفن » لا يختلف كثيرا عن مشروع « موريسون » ، وقد رفض العرب هذا المشروع الجديد ، وتمسكوا بضرورة إلغاء الانتداب وإعلان استقلال

فلسطين وإعطاء شعبها حق تقرير مصيره (١) .

الأمم المتحدة وقضية فلسطين :

فشل مؤتمر لندن وانتهت مباحثاته وأعلنت بريطانيا على لسان وزير خارجيتها فى فبراير ١٩٤٧ أنها لا تستطيع أن تفرض حلا نهائيا بالقوة لأنها دولة منتدبة ، ولذلك أصبح من واجبها رفع الأمر إلى الأمم المتحدة لتقرر وتفرض الحل الذى تراه .

إن تخلى بريطانيا عن مسئولياتها تجاه قضية فلسطين ، ورفعها إلى الأمم المتحدة ، يرجع إلى أنها أرادت أن تسخر هـذه الهيئة الوليدة لتنفيذ سياسة الاستعمار ، وإضفاء الصبغة الشرعية والقانونية على هذه السياسة بعد أن عجزت هى وحليفتها أمريكا عن فرض الوطن القومى ومشاريع التقسيم إزاء المقاومة العنيفة التى أبداها العرب منذ انتداب بريطانيا على فلسطين . . . ومما ساعد على ذلك أنه كان لبريطانيا وأمريكا نفوذ وتأثير كبيران على هيئة الأمم المتحدة بعد خروجهما منتصرتين على دول المحور فى الحرب العالمية الثانية، هذا فى الوقت الذى لم يكن فيه لدى الدول المنضمة للهيئة أية فكرة عن قضية فلسطين إلا من وجهة النظر الاستعمارية والصهيونية ، كما لم تكن حركة التحرر الإفريقى الآسيوى قد ظهرت فى الوجود لا فى الأمم المتحـــدة ولا على الصعيدين الدولى والشعبى .

وإزاء كل هذه العوامل أرسلت بريطانيا إلى الأمين العام للأمم المتحدة مذكرة فى إبريل ١٩٤٧ تعلن فيها تخليها عن الانتداب وتطلب منه عرض القضية الفلسطينية فى دورة خاصة .

---

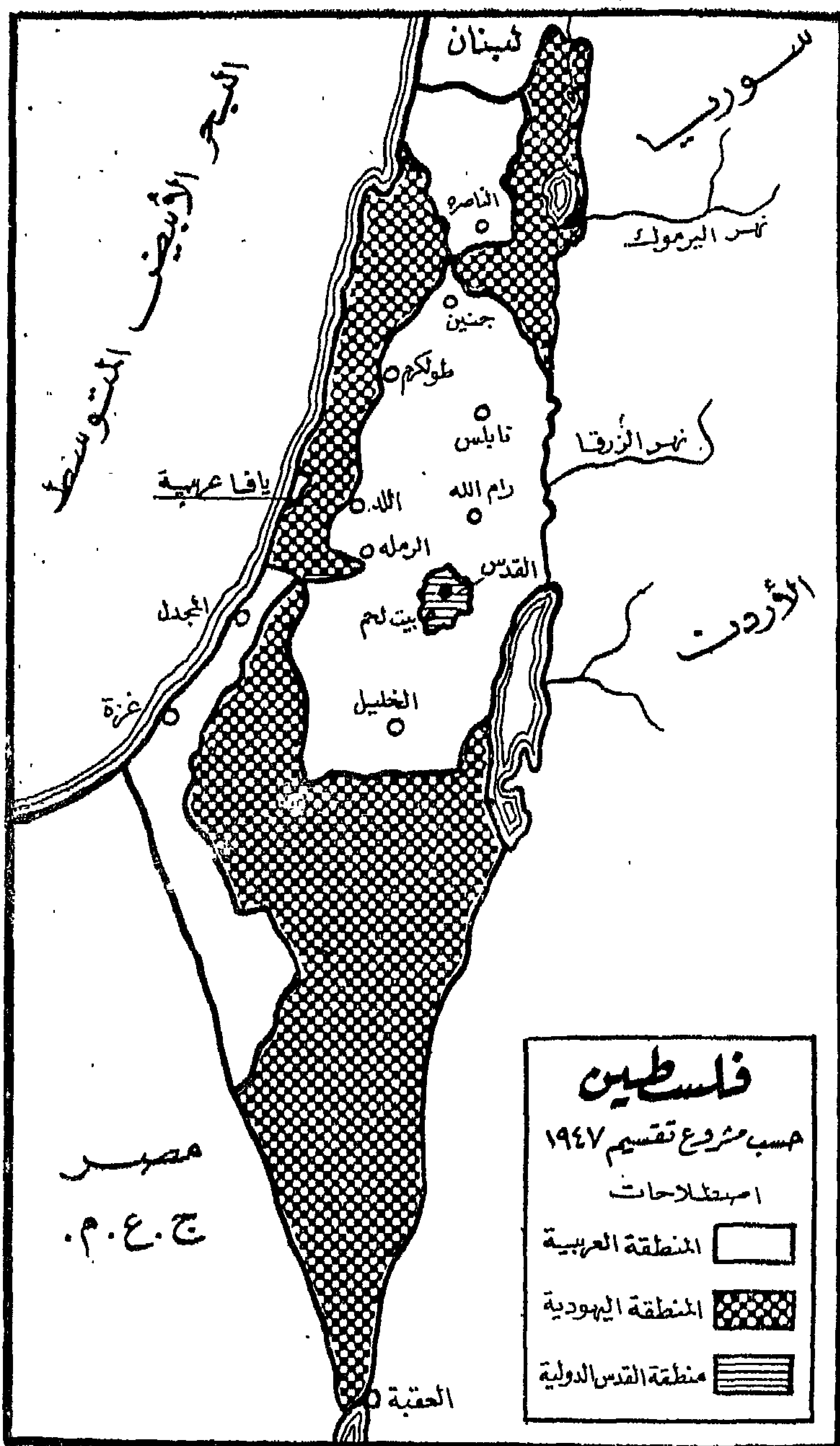
(١) مطالبتهم مع ما فيها من حقوق شرعية لكن عرب فلسطين لم يكونوا وقتئذ على مستوى الدفاع عن كيانهم بالنسبة لموقف إسرائيل وتأهبهم لتثبيت كيانهم بحرب مدمرة . وكان أولى الاستمساك بالكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ حتى يتمكنوا من السيطرة المطلقة .

وقـــد عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة جلسة خاصة فى ٢٨ إبريل ١٩٤٧ للنظر فى هذه القضية ، وقررت تأليف لجنة تحقيق دولية مكونة من ممثلى إحدى عشرة دولة للتقدم بتوصياتها فى شأن القضية . وبعد أربعة أشهر قدمت اللجنة تقريرها الذى أوصى بضرورة إنهاء الانتداب وتقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية . وقد اختلفت اللجنة فيما بينها بالنسبة للعلاقة بين الدولتين المقترحتين فرأت أكثرية اللجنة تقسيم فلسطين إلى منطقة عربية ومنطقة يهودية ومنطقة الأماكن المقدسة فى القدس ، وقد عرف هذا المشروع بمشروع الأكثرية، أما الأقلية وهم ممثلو الهند ويوغوسلافيا وإيران فقد رأوا أن تـكون الحـكومتان العربية واليهودية مستقلتين استقلالا ذاتيا وتتألف منهما دولة اتحادية باسم دولة فلسطين ، وقد عرف هذا المشروع بمشروع الأقلية.

وفى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٨ عقـــدت الأمم المتحدة جلسة خاصة لدراسة ومناقشة تقرير اللجنة « مشروع الأكثرية ومشروع الأقلية» . وقد تـكلم فى هذه الجلسة مندوب عن عرب فلسطين ورفض التقسيم والهجرة والدولة اليهودية وطالب بقيام دولة واحدة فلسطينية ديمقراطية مستقلة .

كما تـكلم مندوب عن الوكالة اليهودية وأعلن موافقة اليهود على مشروع الأكثرية وطالب بتوسيع رقعة الدولة اليهودية على حساب المنطقة العربية ، كما أعلن استعداد اليهود لمـلء الفراغ الذى سيحدثه انسحاب الإنجليز من فلسطين .

وقد أيد كل من مندوبى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى مشروع الأكثرية أما مندوب بريطانيا فقد امتنع عن التصويت على أى قرار وأعلن عن عزم بريطانيا على إنهاء انتدابها فى ١٥ من مايو سنة ١٩٤٨ وعلى إنهاء إجلاء قواتها فى أغسطس سنة ١٩٤٨ على ألا تتولى الحـكومة



لبنان
سوريا
البحر الأبيض المتوسط
الناصرة
نهر اليرموك
جنين
طولكرم
نابلس
نهر الزرقا
يافا عربية
اللد
رام الله
الرمله
القدس
الأردن
المجدل
بيت لحم
غزة
الخليل
مصر
ج.ع.م.
العقبة
فلسطين
حسب مشروع تقسيم ١٩٤٧
اصطلاحات
المنطقة العربية
المنطقة اليهودية
منطقة القدس الدولية

البريطانية أية مسئولية إدارية أو عسكرية لا بموجب الانتداب ولا بمقتضى توصيات الأمم المتحدة خلال هذه الفترة . . . وكان موقف بريطانيا هذا مناورة بارعة لحث الدول للموافقة على مشروع التقسيم وقيام الدولة اليهودية التى تستطيع ملء الفراغ وحماية الأمن وحفظ الاستقرار .

وفى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ عرض مشروع التقسيم للتصويت على الجمعية العمومية فقبل بأغلبية ٣٣ صوتا وعارضه ١٢ صوتا وامتنعت ١٠ دول عن التصويت . وبذلك أقرت ٣٣ دولة فقط مشروع التقسيم « تقسيم فلسطين » وقيام الدولة اليهودية . وما كان ذلك ليحدث لولا ضغط أمريكا على معظم الدول المنضمة لهيئة الأمم المتحدة واضطرار بعضها إلى تغيير موقفها فى آخر لحظة نتيجة هذا الضغط .

مقاومة العرب لمشروع التقسيم :

وما إن أعلن قرار التقسيم حتى عم العالم العربى ثورة عارمة ضد هذا القرار المشين فى تاريخ الإنسانية ، واستعد العرب فى كل مكان للدفاع عن الحق العربى والوجود العربى فى أرض فلسطين . وكان عرب فلسطين أسبق من غيرهم فى مقاومة الكارثة التى حلت ببلادهم وبالوطن العربى . . فاشتبكوا مع الإنجليز واليهود فى معارك دامية يحدوهم الإيمان بعدالة قضيتهم وإن كان ينقصهم السلاح والعتاد الذى كان عبارة عن بعض الأسلحة الألمانية والعثمانية القديمة ، فى الوقت الذى كانت فيه قوات جيش الهاجاناه اليهودى تضم ٦٢ ألف مقاتل مسلحين بأحدث الأسلحة التى سلمها لهم البريطانيون ، علاوة على عصابتى الأرغون وشترن اللتين كانتا تضمان أكثر من ستة آلاف شخص مدرب ومسلح .

كما قامت المظاهرات فى جميع أنحاء الوطن العربى التى طالبت الحكومات

العربية بالعمل على تحرير فلسطين من عصابات الصهيونية . ودعت الجامعة العربية إلى عقد اجتماع بالقاهرة فى ديسمبر سنة ١٩٤٧ يحضره رؤساء وزارات الدول العربية ، وتمخض هذا الاجتماع عن نداء وجه إلى الأمة العربية والرأى العام العالمى جاء فيه : « إن الدول العربية تنفيذاً لإرادة شعوبها ستتخذ من التدابير الحاسمـــة ما هو كفيل بإحباط مشروع التقسيم الظالم ونصرة حق العرب » .

ولم يشر هذا النداء إلى القرارات السابق اتخاذها فى اجتماعات صوفر وعاليه وبلودان[1] ، وفيها تهديد لمصالح بريطانيا وأمريكا فى المنطقة . إلا أن المجلس فى اجتماعه قرر إمداد عرب فلسطين بالمال والسلاح والرجال . . واستطاعت الجامعة العربية أن تشكل « جيش الإنقاذ العربى » من ثلاثة آلاف مقاتل فقط مسلحين بأسلحة قديمة . وقد تمكن المناضلون الفلسطينيون وجيش الإنقاذ بالرغم من سوء تسليحهم وضعف تدريبهم وإمكانياتهم من توجيه ضربات قاصمة إلى القوات اليهودية وأن يجعلوا من قرارت الأمم المتحدة

---

(١) رفض العرب مشروع تقسيم لجنة بيل ، وعادت ثوراتهم من جديد ، وهى أكثر ما تكون صمودا وثباتا ، وضج العالم العربى كله بالشكوى ، واحتجت حكومات العراق ومصر والسعودية على مسلك الإنجليز والصهيونية ، وعقد العرب مؤتمرا لهم فى بلودان ، وفيه أعلنوا عدة قرارات كان من أهمها :

١ — رفض مشروع بيل رفضا باتا .

٢ — اعتبار فلسطين دولة عربية وهى جزء من الوطن العربى .

٣ — ضرورة العمل على إلغاء الانتداب الإنجليزى .

٤ — وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

٥ — العمل على منع اليهود من الاستيلاء على الأراضى العربية الفلسطينية .

وكان لهذه القرارات صدى جعل بريطانيا تصدر كتابها الأبيض لعام ١٩٣٩ .

حبرا على ورق . وقد اشترك فى هذه المعارك كثير من المتطوعين العرب من خارج فلسطين من مصر وسوريا والعراق وليبيا وغيرها واستشهد كثيرون منهم قبل دخول الجيوش العربية أرض فلسطين فى مايو سنة ١٩٤٨ .

وجدير بالذكر أن أول المصريين الذين استشهدوا فى هذه الفترة هو الشهيد المهندس الزراعى كمال الدين حسنين فهمى الذى استشهد فى معركة « وادى الصرار » يوم ٢٨ إبريل سنة ١٩٤٨ .

تدخل مجلس الأمن :

جاء فى قرار التقسيم تشكيل لجنة خماسية لتنفيذ قرار التقسيم مكونة من مندوبين عن دول « بوليفيا — تشيكوسلوفاكيا — الفلبين — الدانمرك — بنما »، وقد قاطع العرب اللجنة ولم يتصلوا بها وظلت تجتمع فى أمريكا وبريطانيا لترسم لنفسها سياسة العمل لتنفيذ التقسيم . وأخيراً أدركت اللجنة أن مهمتها مستحيلة دون اللجوء إلى القوة ، فطالبت من مجلس الأمن أن يقر إرسال قوة دولية إلى فلسطين لتساعد اللجنة فى تنفيذ التقسيم . ولكن أمريكا عارضت هذا الطلب بشدة ، كما تقدم اليهود عن طريق أمريكا وبريطانيا بشكوى إلى مجلس الأمن يتهمون فيها الدول العربية بعدم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ومقاومتها .

وقد اجتمع مجلس الأمن فى ١٦ مارس سنة ١٩٤٨ ، واستمع المجلس إلى شهادة رئيس لجنة التقسيم الذى قرر استحالة التقسيم ، ورفض طلبه بإرسال قوات دولية كما ذكر آنفاً . إزاء هذا الموقف تراجعت كثير من الدول عن قرارها السابق بالموافقة على التقسيم ومنها أمريكا نفسها ، وقد قرر مجلس الأمن إعادة القضية للجمعية العامة لإعادة النظر فيها ، كما قرر دعوة العرب واليهود إلى عقد هدنة فى فلسطين وتعيين قناصل

أمريكا وبلجيكا وفرنسا فى القدس مشرفين على تنفيذ اقتراح الهدنة ، مع استمرار بريطانيا للقيام بالتزاماتها كدولة منتدبة .

ومما لا شك فيه أن قرار مجلس الأمن كان نسفا كاملا لقرار الأمم المتحدة القاضى بتقسيم فلسطين واعتبر نصرا كبيراً لوجهة النظر العربية .

التآمر البريطانى الصهيونى على احتلال فلسطين والتواطؤ العربى :

إلا أن بريطانيا كانت تسير وفقا لخطة بارعة خاصة بها ، وكانت واثقة من نجاح فكرتها « فكرة التقسيم » بالرغم من قرار مجلس الأمن . لذلك عملت بريطانيا على تمكين اليهود من السيطرة على أكبر عدد ممكن من المواقع والمعسكرات البريطانية فى فلسطين أثناء وجودها وبمعونتها ، كما اتخذت كافة الوسائل لإجبار العرب على الجلاء عن المناطق التى رأت أنها ضرورية لقيام وسلامة الدولة اليهودية . وعملت فى الوقت نفسه مع عملائها من حكام الدول العربية للقضاء على الكفاح الشعبى العربى وتآمرت على تدخل الجيوش العربية فى المعركة على ألا تتجاوز فى زحفها المناطق المخصصة للعرب حسب مشروع التقسيم . وقد جاء فى مذكرات عبد الله التل قائد منطقة القدس صفحات ٨١ — ٨٢ — ٨٣ عن قيادات الجيش الأردنى ليلة ١٤ مايو بدء حرب فلسطين التى كان الملك عبد الله فيها قائدا أعلى لجيوش الدول العربية كلها أن عدد قواد الجيش ٥١ قائدا يرأسهم جميعا جلوب باشا برتبة فريق قائد الجيش العربى وهو بريطانى الجنسية ، ومن بين هؤلاء الواحد والخمسين خمسة قواد عرب منهم عبد الله التل وكيل قائد الكتيبة الخامسة .

ومن الأعمال التى لا يغتفرها التاريخ أمر رسمى صادر من فريق رئيس أركان حرب الجيش العربى « جلوب » فى ٢٨ / ٩ / ١٩٤٨ يطلب فيه :

١ — مصادرة أسلحة الجهاد المقدس فى القدس ومنطقة الخليل .

٢ — كسب الشعب لعطف سيدنا فيتحولون تدريجيا عن علاقتهم بالقوات المصرية .

٣ — ترويج الشائعات بين الناس عن قرب رحيل القوات المصرية إلى بلادها .

كيف تم انسحاب بريطانيا :

منذ أن اتخذت بريطانيا قرارها بالانسحاب من فلسطين فى فبراير سنة ١٩٤٧ بدأت بالانسحاب من المناطق اليهودية أولا وتسليم ما بها من معسكرات ومرافق ومطارات ومستودعات ذخيرة إلى العصابات اليهودية فى الوقت الذى منعت فيه دخول الأسلحة والمتطوعين العرب داخل البلاد لمساعدة إخوانهم عرب فلسطين. وبذلك أتاحت الفرصة لليهود لتنظيم أداتهم العسكرية والإدارية قبل ستة أشهر على الأقل من الانسحاب الكامل من فلسطين .

كما قامت القوات البريطانية فى هذه الفترة بمطاردة المناضلين العرب والقيام بحملات تفتيشية فى الأحياء العربية بحثا عن الأسلحة لمصادرتها . وقد اضطر عشرات الألوف من المواطنين العرب إلى ترك المناطق اليهودية فى حيفا ويافا والقدس ، نظرا لتعدد هجوم العصابات الصهيونية عليهم بوحشية وهم عزل من السلاح ، فى الوقت الذى كانت فيه السلطات البريطانية تغض الطرف عن مثل هذه الهجمات ، كما قام اليهود بعدة مجازر بشرية لإرهاب العرب أشهرها مجزرة قرية « دير ياسين » العربية القريبة من القدس التى حدثت فى أوائل عام ١٩٤٨ أثناء وجود بريطانيا كدولة منتدبة على فلسطين . فقد دخلت العصابات الصهيونية القرية فى وقت كان فيه رجالها وشبابها يقومون بأعمالهم فى مدينة القدس ، وعملت فى أهالى القرية من النساء والأطفال والشيوخ قتلا وتذبيحا دون أن تلقى أية مقاومة ، وكانت حصيلة هذه المذبحة

٢٥٠ قتيلا ذبحوا ذبح النعاج وشوهت جثثهم ثم ألقيت فى بئر القرية .

إن ما حدث فى قرية « دير ياسين » وغيرها من القرى العربية عام ١٩٤٨ هو صورة طبق الأصل لما حدث فى المدن والقرى العربية عام ١١٨٦قبل الميلاد وأشهرها مذبحة « أريحا» (١).

وما إن جاء يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ وهو تاريخ انتهاء انتداب بريطانيا على فلسطين حتى كان اليهود قد استولوا على معظم مدن الساحل من حيفا فى الشمال حتى أسدود فى الجنوب ، كما استولوا على المناطق اليهودية فى الداخل وعلى ما بها من معسكرات ومستودعات ومطارات ومرافق ، وتمكنوا من تشريد معظم المواطنين العرب العزل المقيمين فى هذه المناطق تحت سمع بريطانيا وبصرها . وبذلك استطاع اليهود بمساعدة بريطانيا أن يفرضوا قرار التقسيم باحتلال جميع المناطق المخصصة لهم بموجب هذا القرار وطرد العرب منها فى الوقت المحدد لانتهاء انتداب بريطانيا وهو ١٥ مايو ١٩٤٨ .

معركة فلسطين سنة ١٩٤٨ :

كان للموقف الذى وجد فيه المجاهدون الفلسطينيون فى الفترة السابقة أثره فى الشعوب العربية التى طالبت حكوماتها بضرورة التدخل المسلح لمنع المجازر التى ترتكب على أرض فلسطين تحت سمع وبصر بريطانيا وأمريكا ، وارتفعت الهتافات ضد الحكام العرب فى كل قطر عربى ، وتحركت المظاهرات الشعبية مطالبة بإنقاذ عرب فلسطين .

فاجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وأصدرت قرارا فى

(١) « حرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف » يشوع ٦ : ٢١ .

١٢ إبريل سنة ١٩٤٨ بالتدخل بالجيوش العربية لإنقاذ فلسطين وحددت يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ موعداً لحركة هذه الجيوش .

ومن هنا يظهر التساؤل : هل كانت بريطانيا موافقة على هذا القرار أو على الأقل على علم به ؟ وهل موافقتها على هذا القرار تتنافى مع وعودها لليهود وسياستها التى اتبعتها للعمل على قيام دولة إسرائيل ؟

لقد أثبتت الأحداث فعلا أن بريطانيا كانت على علم بكل الإجراءات التى كانت الدول العربية تنوى اتخاذها ، واستطاعت أن توجه قرار اللجنة السياسية لخدمة خططها ولتثبيت واقع إسرائيل ، بل إنها كانت مؤيدة ومحرضة على تقرير اشتباك الجيوش العربية فى معركة فلسطين .

فمصر والعراق والأردن — وهى الدول التى لها جيوش يعتمد عليها فى ذلك الوقت — كانت مرتبطة مع بريطانيا باتفاقيات ومعاهدات تحتم على الطرفين المتعاقدين التشاور فى الظروف التى يمكن أن تؤدى إلى قيام حرب أو التهديد بالحرب بين أحد الأطراف وطرف ثالث . هذا فى الوقت الذى كان يرى فيه حكام هذه الدول أن بريطانيا هى الحليف الطبيعى والصديق التقليدى لهم ، علاوة على ما لبريطانيا من قواعد عسكرية وخبراء عسكريين فى هذه البلاد ، بل إن قيادة الجيش الأردنى وكثيرا من ضباطه من الضباط الإنجليز ، وعلى رأسهم « جلوب باشا » .

ومما لاشك فيه أن بريطانيا وجدت أنه من المناسب أن تسارع فى تأييد عملية التدخل العسكرى من قبل الجيوش العربية ؛ لأن ذلك يمتص النقمة الشعبية التى أخذت تواجه عملاءها من حكام البلاد العربية ، ويمكنها فى الوقت نفسه من التحكم فى عمليات هذه الجيوش والحد من حماس الشعوب العربية فى هذا السبيل .

وقد ظهر ذلك واضحا فى الإجراءات التى صاحبت قرار اللجنة السياسية والتى نصت على أن الجيوش العربية هى الوسيلة الوحيدة الصالحة لحماية عرب فلسطين وإنقاذ عروبتها ، وبذلك كفت الجامعة العربية يد المساعدة عن المجاهدين العرب الذين كانوا يقاتلون ببطولة وببسالة منقطعة النظير . كما قررت الجامعة العربية حل جميع المنظمات الشعبية العسكرية فى فلسطين وإيقاف نشاطها وإبعادها عن المعركة بحجة أن ذلك يعرقل عمليات الجيوش العربية ، وضرورة وضع خطة عسكرية مشتركة لتحركات الجيوش العربية ، وتكوين قيادة عامة واختيار القائد الأعلى للجيش الأردنى رئيسا لهذه الهيئة ، وهذا يعنى تعيين الجنرال جلوب البريطانى رئيس أركان حرب الجيش الأردنى قائدا فعليا للعمليات العسكرية .

كما أعلنت الطوارىء والأحكام العرفية بحجة حماية المجهود الحربى ، ووضعت التشريعات لضرب الحركات الوطنية تحت شعار مكافحة النشاط الهدام وجواسيس الصهيونية .

لقد كانت كل هذه الإجراءات فى الواقع لمصلحة السياسة البريطانية الجديدة التى أرادت أن تستغل حركة اندفاع الشعب العربى لإنقاذ فلسطين فى سبيل تثبيت كيان إسرائيل .

العمليات العسكرية فى فلسطين :

دخلت الجيوش العربية فلسطين ليلة ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، واستطاع الجيش المصرى فى أيام قليلة احتلال جنوب فلسطين بأكمله كما استطاع السيطرة على منطقة النقب الجنوبى وخليج العقبة .

واستطاعت القوات خفيفة الحركة بقيادة الشهيد أحمد عبد العزيز أن تسيطر على مدينة بيت لحم وضواحى القدس الجنوبية . وسيطر الجيش

السورى والجيش اللبنانى على منطقة الجليل بأكملها حتى جنوب بحيرة طبرية ما عدا بعض المستعمرات فى الجليل الشرقى .

وسيطر الجيش العراقى على قلب فلسطين وأحدق بتل أبيب وكانت خطوطه الأمامية على بعد أميال من ساحل البحر الأبيض ، واحتل الجيش الأردنى منطقة القدس والقدس القديمة ومنطقة رام الله باللد والرملة ، والتقى بالجيش العراقى فى الشمال وبالجيش المصرى فى الجنوب والغرب .

وكان من الممكن أن تواصل هذه الجيوش تقدمها وتحتل جميع المناطق التى احتلها اليهود أثناء وجود القوات البريطانية لولا التآمر من قبل بريطانيا مع بعض الحكام العرب ، ووقوف أمريكا بجانب الصهيونية فى المجال الدولى والسياسى ، فمنذ الأيام الأولى للقتال توقف الجيشان العراقى والأردنى فى الأماكن المعينة لها عند حدود المنطقة المخصصة لليهود ولم يتخطياها ، واكتفى الجيش الأردنى باحتلال القدس القديمة فى الوقت الذى كان اليهود يسيطرون فيه على منطقة القدس كلها . وبدأت أمريكا تعلن للعالم أن الحالة فى فلسطين تهدد السلم العالمى ، وطلبت من مجلس الأمن العمل على إيقاف القتال ولو اضطر الأمر إلى استخدام القوة وفرض العقوبات على الدول العربية(١) .

اسرار التآمر البريطانى مع الرجعية :

١ — من تصريح صحفى الملك عبد الله نشرته وكالة رويتر فى ٤ يناير سنة ١٩٤٩ بعد الهجوم الإسرائيلى على منطقة النقب وتعاون الملك عبد الله لضرب الجيش المصرى : « إننى أفضل أن يحتل « الإسرائيليون » النقب من أن يبقى بيد المصريين لأن استرجاع النقب من اليهود أهون من استرجاعه من المصريين ، وإنى أخاف على فلسطين من قريب حاسد أكثر من عدو حاقد » .

---

(١) الدول المجنى عليها إذا هبت لأخذ حقوقها بالقوة وقف العالم الإمبريالى يستنجد بمجلس الأمن لوقف القتال وفرض عقوبات على الدول العربية . إنه منطق معكوس !!

٢ — فى ١٠ / ١٢ / ٤٨ حمل عبد الله التل بوصفه قائد القدس العسكرى رسالة من موشى ديان[1] إلى الملك عبد الله . وساورت عبد الله التل الوساوس ففض الرسالة وإذا بها من الياهو ساسون يدعو الملك عبد الله . ويعيد عبد الله التل الرسالة سيرتها الأولى فى مظروف جديد ويقدمها للملك الذى سرعان ما حدد موعدا للقاء بينه وبين الياهو ساسون وموشى ديان فى ١٦ / ١ / ٤٩ . وعند التقائه بالياهو ساسون استقبله بهذه العبارة : « أنا ملك عربى لا أخلف وعدا ولا أخون عهدا ، تعرفون نواياى وشعورى نحوكم ورأيى ألا يقف أحد بيننا الآن بعد أن خمدت الفتنة وانتهى لكم الأمر فى الجنوب ، وأنت تعلم ياساسون أننا لم نحاربكم ولم نعتد على ما خصص لكم »[2]، واستقر رأيه على التفاوض على ما يأتى :

١ — المفاوضات سرية وشخصية بينه وبين الياهو ساسون .

٢ — تنفيذ قرار أريحا .

٣ — اللد والرملة يجب أن تكونا على الحالة التى سبقت الانسحاب منهما .

٤ — النقب لليهود .

٥ — المفاوضة حول يافا والقدس العربية والقدس الجديدة .

٦ — المفاوضة حول اللاجئين الفلسطينيين .

الملك عبد الله يحرض اسرائيل على احتلال غزة :

اجتمع الملك عبد الله بالياهو ساسون فى الشونة فى ٣٠ / ١ / ١٩٤٩ ، ودار الحديث وأغلبه حول المادة الخامسة من رسالة ساسون ونصائحه للملك . فقد كرر ساسون رأى بن جوريون ونصيحته لجلالة الملك بسحب الجيش العراقى من لواء السامرة ووضع قوات من البوليس مكانه ويتعهد اليهود بعدم

---

(١) مذكرات عبد الله التل ص ٤٤١ .

(٢) » » » ص ٤٦٠ .

التعرض للمنطقة بسوء ، وبذلك يتجنب اليهود الاحتكاك بالعراقيين وهم جيش هاشمي أمره يهم سيدنا كثيرا . وحينما سمع جلالته حديث ساسون قال :

« إن شاء الله يشرف عبد الإله في ه ٣ بهذين اليومـــين وسيكون ما ترغبون » .

وبعد أن وعد جلالته ساسون بمقابلة عبد الإله في ه ٣ محطة ضخ البترول على الحدود العراقية الأردنية قال بكل جرأة أمام رئيس الحكومة الذى تحمس لحضور هذا الاجتماع ، قال جلالته مخاطبا ساسون :

« كنت والله أريدكم أن تأخذوا لنا غزة فهى منفذنا على البحر ، ولابد لنا من ميناء ولتكن مجدل عسقلان » .

وطرب ساسون وديان لسماع تصريحات كهذه وقال ساسون :

« الله يقدرنا على تنفيذ ما يرغب فيه سيدنا » (١) .

هذا قليل من كثير مما نتألم له وتسبب في نكسة الجيوش العربية السبعة.

الهدنة الأولى :

وفى ٢٢ مايو سنة ١٩٤٨ أصدر مجلس الأمن قراراً بإيقاف القتال ، وقد رفض العرب هذا القرار بمذكرة أرسلت إلى مجلس الأمن . غير أن ضغط بريطانيا وأمريكا على المجلس وعلى الدول العربية المصحوب بالتهديد والوعيد أرغمها على إيقاف القتال صباح ٧ يونيو سنة ١٩٤٨ لمـــدة أربعة أسابيع على أن يتمكن الوسيط الدولى الكونت برنادوت الذى عينه المجلس في ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ ولجنة الهدنة التي عينها في ٢٢ إبريل ١٩٤٨ من إيجاد حل عادل للقضية ، وعلى أساس الوعد بعدم إرسال متطوعين أو أسلحة لفلسطين خلال هذه الفترة ، وإنذار المخالف بتطبيق العقوبات العسكرية والاقتصادية ضده .

(١) مذكرات عبد الله التل ص ٤٦٥ .

وبالرغم من ذلك فقد استغل اليهود هـــذه الفرصة بمساعدة بريطانيا وأمريكا وفرنسا فى جلب المتطوعين والأسلحة الخفيفة والثقيلة والطائرات مستخدمين فى ذلك ميناء حيفا الذى سلمته بريطانيا لليهود فى يونيو سنة١٩٤٨ على الرغم من تحديدها لشهر أغسطس من نفس العام موعداً للانسحاب منه ، هذا فى الوقت الذى طبقت فيه هذه الدول قرار حظر إرسال الأسلحة إلى الدول العربية بكل دقة . وفى هذا الوقت قدّم الـكونت برنادوت مقترحاته لحل القضية وهى لا تخرج فى مضمونها عن مشاريع التقسيم السابقة . فرفضها العرب كما رفضها اليهود لأنها تضع حدا لأطماعهم وخططهم التوسعية . وكنتيجة لهذا استؤنف القتال يوم ٩ يوليو سنة ١٩٤٨ . وبالرغم من الإمدادات التى حصل عليها اليهود فى فترة الهدنة فقد استطاعت القوات العربية أن تشدد قبضتها على القوات اليهودية ، وقام سلاح الطيران المصرى بغارات عنيفة على تجمعات اليهود وطرق مواصلاتهم ، واستنجد اليهود مرة أخرى بحلفائهم ، وطار الـكونت برنادوت إلى مجلس الأمن وطلب اتخاذ إجراءات عاجلة لوقف القتال ، واجتمع مجلس الأمن يوم ١٥ يوليو سنة ١٩٤٨ وطلب وقف القتال فى خلال ثلاثة أيام وفى الوقت نفسه بدأت بريطانيا تتآمر مع حلفائها من الحـكام العرب حينما وجدت المعركة تسير فى صالح الجيوش العربية ، فهددت بإيقاف معونتها المالية والعسكرية للأردن وبسحب الضباط البريطانيين من الجيش الأردنى .

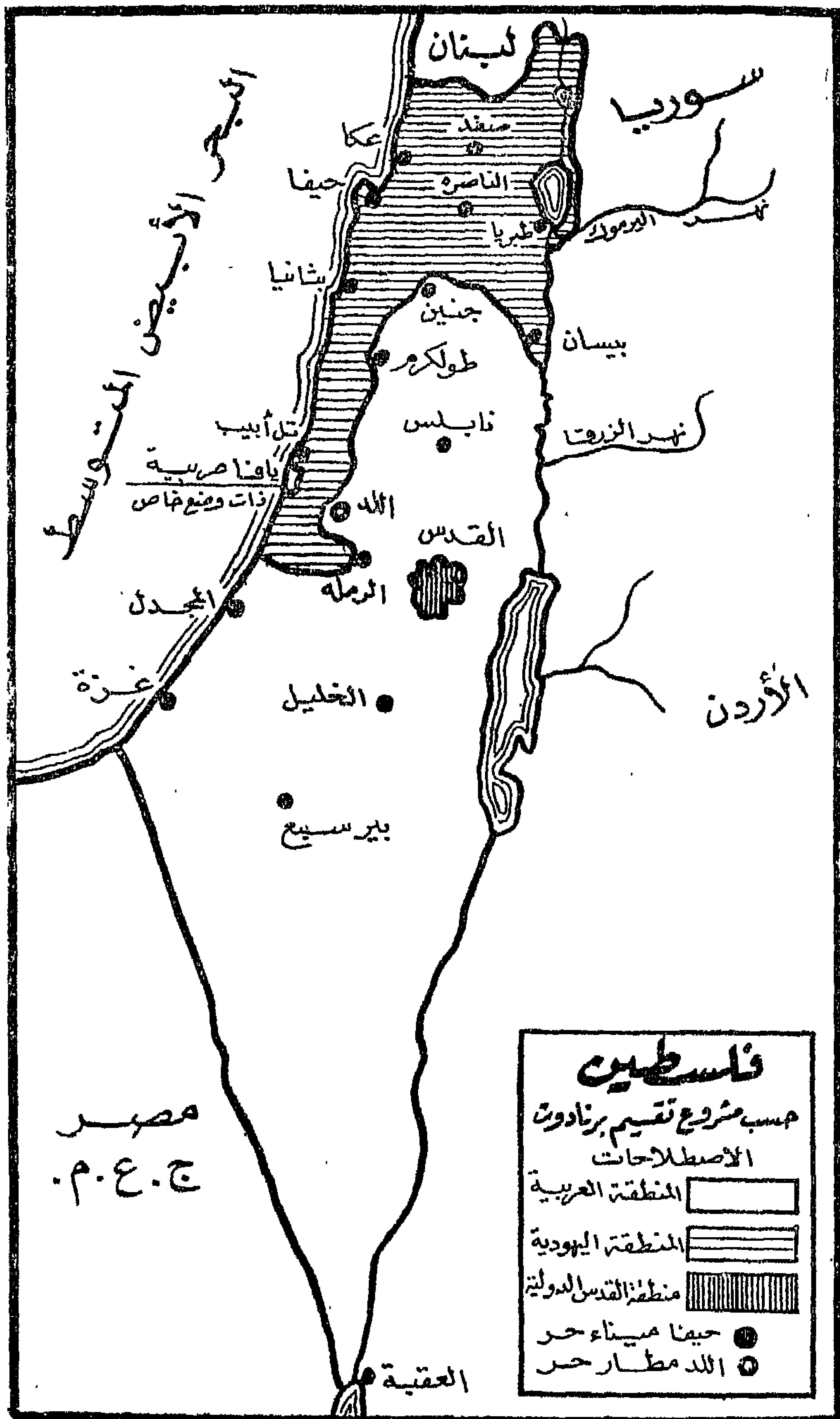
وتبع هذه التهديدات توقف القتال فى جبهتى الجيش الأردنى والجيش العراقى ، وانسحاب الجيش الأردنى من منطقة « اللد والرملة » ، والجيش العراقى من منطقة « رأس العين » ، وجيش الإنقاذ العربى من منطقة «الجليل الغربى» دون قتال . فانـكشف بذلك جناح الجيش المصرى الذى كان متقدما

حتى « أسدود » وأصبحت مؤخرته وخطوط مواصلاته معرضة لهجمات اليهود . وبذلك انقطع الاتصال بين الجيوش العربية وحدث ارتباك فى جبهتها الواحدة المتماسكة .

الهدنة الثانية :

إزاء هذا الموقف المتدهور قررت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية قبول قرار مجلس الأمن بإيقاف القتال ، فأوقف القتال يوم ١٧ يوليو فى منطقة القدس كما أوقف فى كل الجبهات الأخرى يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٤٨ وقدم الكونت برنادوت مقترحات جديدة ، لحل القضية يوم ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨ أرسلها إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة تقوم على أساس تقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما يهودية والأخرى عربية وهى لا تختلف عن المقترحات السابقة مع إدخال بعض التعديلات على حدود الدولتين ووضع القدس تحت إشراف دولى وتدويل ميناء حيفا ومطار اللد وضم المناطق العربية إلى شرق الأردن . إلا أن « برنادوت » قتل على يد اليهود فى مدينة القدس فى نفس اليوم الذى أرسل فيه التقرير إلى الجمعية العامة بحجة محاباته للعرب .

وقد أيدت بريطانيا مقترحات « برنادوت » الجديدة ، أما أمريكا فقد استمرت فى تأييد إسرائيل دون قيد أو شرط ، مما حدا باليهود إلى عدم الإذعان لقرار وقف القتال وبدأوا فى شن هجماتهم على جبهة الجيش المصرى وعلى مؤخرته فى الوقت الذى لم يحاول فيه أى جيش عربى الاشتراك فى القتال لتخفيف العبء عن الجبهة المصرية ، مما اضطر معه الجيش المصرى إلى الانسحاب لتقصير خطوط مواصلاته متخذا غزة قاعدة له ، واستطاع اليهود فى هذا الوقت احتلال معظم أراضى النقب ، باستثناء قطاع غزة ، كما احتلوا


لبنان
سوريا
البحر الأبيض المتوسط
صفد
عكا
الناصرة
حيفا
طبريا
نهر اليرموك
بتانيا
جنين
بيسان
طولكرم
نابلس
نهر الزرقا
تل أبيب
يافا عربية
ذات وضع خاص
اللد
القدس
الرمله
المجدل
غزة
الخليل
الأردن
بير سبع
مصر
ج.ع.م.
العقبة
فلسطين
حسب مشروع تقسيم برنادوت
الاصطلاحات
المنطقة العربية
المنطقة اليهودية
منطقة القدس الدولية
حيفا ميناء حر
اللد مطار حر

قطاع خليج العقبة وبعض ضواحى القدس فى الجبهة الأردنية دون قتال . هذا فى الوقت الذى لم يحرك فيه مجلس الأمن ساكنا إزاء خرق اليهود لقرار وقف إطلاق النار (١) .

وكان الدكتور « رالف بانش » قد عين وسيطا دوليا خلفا للكونت برناودت الذى قرر انسحاب كلا الطرفين المتقاتلين إلى الأماكن التى كانا يحتلانها قبل يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٨ ، إلا أن اليهود لم يذعنوا لهذا القرار الذى أيده مجلس الأمن واستمروا فى عملياتهم العسكرية ولم يتخذ مجلس الأمن أى إجراء لوقف اليهود عند حدهم (٢) .

اتفاقيات رودس :

وأخيرا وافق مجلس الأمن على اقتراح الدكتور رالف بانش يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٤٨ بدعوة العرب واليهود إلى عقد اتفاقية هدنة جديدة وإنشاء مناطق مجردة من السلاح ، وتخفيض قواتهما المسلحة ، ولم تكتف بريطانيا وأمريكا بما حققه اليهود على أيديهما من انتصار على الحق والحرية ، فعملتا على إكمال رقعة إسرائيل إلى الحد الذى تستطيع فيه تحقيق اكتمالها الزراعى والاقتصادى ، وتأمين نفسها ضد العرب .

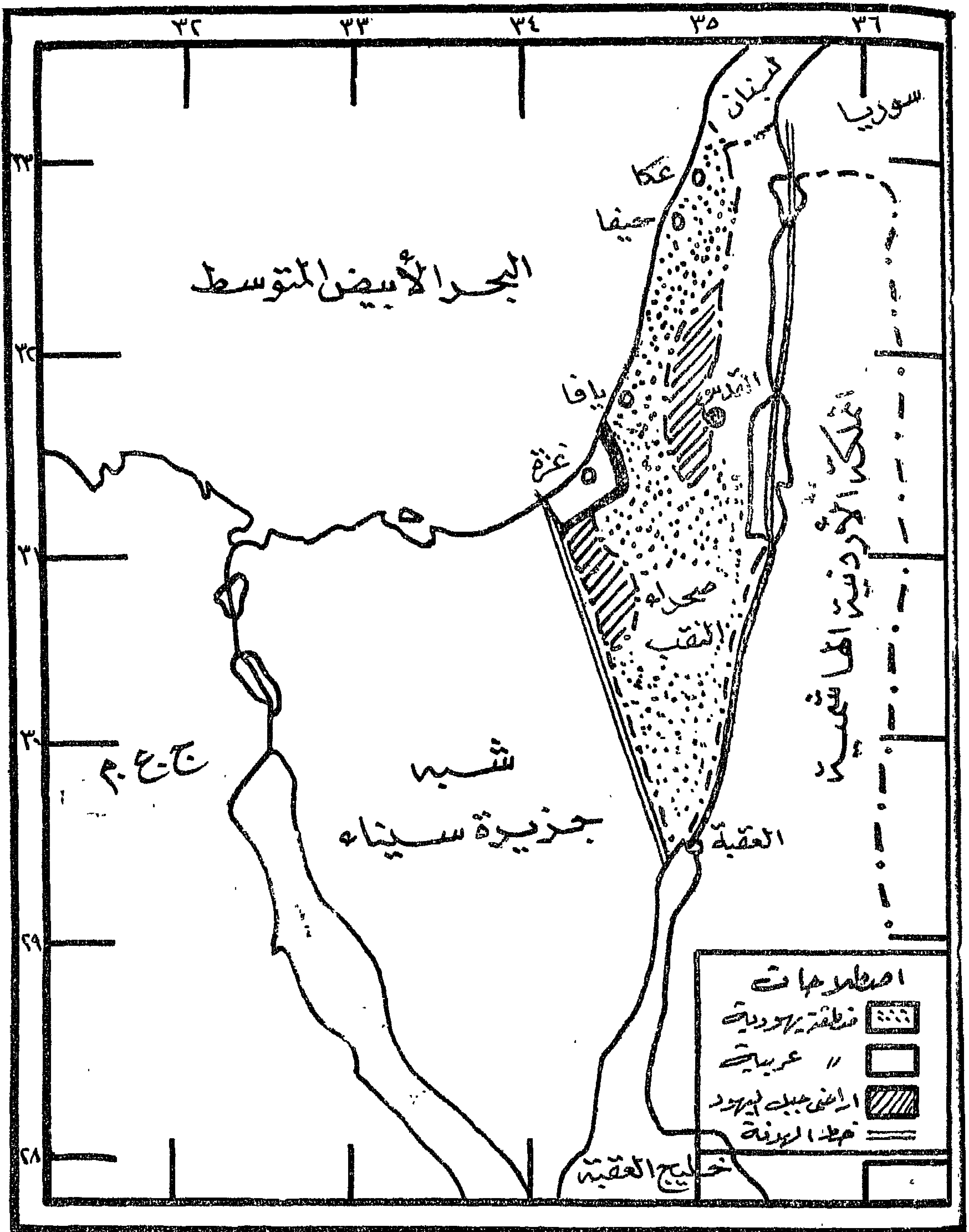
كانت الخطة الأنجلو أمريكية تقضى بتبنى عقد هدنة بين مصر وإسرائيل وبذلك تضمنان تأييد الدول العربية لهذه الخطوة حيث أن مصر هى أكبر الدول العربية ودخولها فى مفاوضات مع إسرائيل لعقد هدنة يشجع غيرها من

---

(١) شتان بين قرار مجلس الأمن فى مايو سنة ١٩٤٨ وتهديد الدول العربية فيه وقرار مجلس الأمن فى ١٥ يوليو سنة ١٩٤٨ وتبتلع إسرائيل مناطق لاحتلالها دون حرب .

(٢) نفس الوضع بالنسبة لقرارات مجلس الأمن بانسحاب إسرائيل إلى المواقع قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ .

طول شرق جرينتش



اغتصاب الأراضي العربية اثناء الحرب الفلسطينية
بالإضافة إلى تقسيم الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ .

الدول العربية على الدخول فى مثل هـذه المفاوضات . ونجحت المؤامرة الإنجلو أمريكية ، وتم لبريطانيا وأمريكا ما أرادتاه فاجتمع الجانبان المصرى والإسرائيلى فى جزيرة رودس وانتهت المباحثات « باتفاقية رودس » الشهيرة فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٩ ، وتم لإسرائيل بموجبها ماطالبت به أمريكا من قبل ورسمت حدود الهدنة مع مواقع القوات اليهودية الجديدة ، ونتيجة لذلك دخل النقب شماله وشرقه ضمن الأراضى التى تسيطر عليها إسرائيل .

وقد نجحت هـذه الاتفاقية فى جر الدول العربية الأخرى إلى رودس الواحدة تلو الأخرى على الرغم من استمرار قيام الهدنة الثانية التى فرضها مجلس الأمن على طول الجبهات الأردنية والعراقية واللبنانية من الناحية القانونية . فعقدت اتفاقية هدنة مع لبنان فى ٢٣ مارس سنة ١٩٤٩، ومع سوريا بتاريخ ٢٠ يوليو سنة ١٩٤٩ . أما العراق فقد رفضت توقيع اتفاقية هدنة على أساس عدم وجود حدود مشتركة بينها وبين إسرائيل . أما اتفاقية الهدنة مع الأردن التى عقدت فى ٣ أبريل سنة ١٩٤٩ فكانت كارثة جديدة .

فقد تخلت الأردن عن مناطق شاسعة من الأراضى الفلسطينية لليهود بموجب هذه الاتفاقية دون أى قتال . هذا مع العلم بأن اتفاقيات الهدنة التى عقدت مع الدول العربية الأخرى كانت وفقاً للمناطق التى تحتلها جيوشها بعد توقف القتال . وبذلك تشرد آلاف آخرون من المواطنين العرب الذين اضطروا إلى ترك قراهم وأملاكهم لتكون نهباً لليهود ، ولينضموا إلى قوافل اللاجئين التى كانت تتجه صوب البلاد العربية لتعيش فى الكهوف والخيام ، وبذلك قامت إسرائيل على أساس الاغتصاب والإرهاب وبتدعيم دول الاستعمار .

كيف ضاعت فلسطين

١ — الاستعمار هو عدونا الاول :

يرجع السبب الأول فى ضياع فلسطين إلى الخطأ الجذرى فى المفاهيم بأن عدونا إنما هو إسرائيل ، ولهذا انحصرت مقاومتنا فى مقاومته لاستخلاص الوطن السليب منه وإعادته إلى أهله .

وقد كان هذا الخطأ ناجما عن حسن نية العرب ، وقد صرف الاهتمام عن العامل الحقيقى والأساسى فى مأساة فلسطين . وقد أدى هـذا الخطأ إلى امتصاص القوى الثورية طيلة عشرين سنة فى حرب مع إسرائيل . إنما عدونا الأول والأخير هو الاستعمار الذى خلق إسرائيل وأقامها على أرضنا الطيبة لتكون قاعدته والمكان الذى يستقر فيه نفوذه وتتوطد دعائم عدوانه ومؤامراته ومناوراته على الشرق الأوسط . فالاستعمار القديم ممثلا فى زعيمته السابقة بريطانيا هو الذى أصدر وعد بلفور لليهود ، وهو الذى ضمن صك الانتداب النص أن تكون فلسطين وطنا قوميا ، وهو الذى فرض التقسيم وأشرف على تنفيذه خطوة خطوة .

والاستعمار الجديد ممثلا فى الولايات المتحدة الأمريكية التى تولت الزعامة بعد الحرب الكونية الثانية ، هو الذى خلق دولة إسرائيل وعزز كيانها المزيف بما أضفاه عليها من حماية سافرة ودعم يتمثل فى أنواع السلاح وملايارات الدولارات ، وكان الهدف منها الحيلولة دون مضى الركب العربى فى طريقه السريع نحو التحرر الكامل والتقدم الحضارى والوحدة الشاملة .

٢ — التجزئة العربية سر انتصار اسرائيل :

من هنا يتضح أن التجزئة العربية كانت سببا مباشراً بل لعلها السبب

الأساسى فى قيام إسرائيل ، كما أن استمرارها كان عاملا قويا فى بقاء إسرائيل حتى اليوم . ومن هنا كانت مقاومة الاستعمار لكل وحدة عربية حقيقية ، ولو أن المعارك الضخمة التى خاضها الشعب العربى ، وما زال يخوضها ضد الاستعمار ، فى وحـــدة أصيلة لاتتسرب إليها مؤامرات الاستعمار لانتصرنا واستردنا أرض فلسطين . من ثم فإن موقف الاستعمار وموقف إسرائيل من أى وحدة عربية أنهما يريان فيها عملية تطويق تخنق إسرائيل، والطوفان الذى يهددها بالانهيار والزوال . ولهذا فإن الإمبريالية الصهيونية أشد حرصاً على تجزئة العالم العربى ، ولعل هذا هو السبب فى نشوة الفرح التى غمرت إسرائيل بعد حركة الانفصال بين سوريا ومصر ، فلولا التجزئة ما كانت إسرائيل وما ضاعت فلسطين .

٣ — فلسطين قد ضاعت على أرض فلسطين :

إن فلسطين ضاعت فى موقعها لا فى عصبة الأمم ، ولا فى هيئة الأمم المتحدة ولا فى المحافل الدولية ، وإنما ضاعت فى أرض فلسطين نفسها التى شهدت معارك زائفة ، وشهدت تيجاناً تصنع وعروشاً تمنح ورجالا يسيرون فى فلك الاستعمار ، لهذا لم يأبهوا لفلسطين وعروبتها . لـكن هـذه الحقيقة لاتصرفنا عن الاهتمام بما يدور فى المحافل الدولية من مناقشات وقرارات حول قضية فلسطين ، ولا بما يمكن أن يتخذ فيها من مقررات تتعلق بأصول القضية أو فروعها ، وذلك لأن العمل على الصعيد الدولى يعتبر جزءاً متمما لما يجب أن يقع على أرض فلسطين نفسها من جهود مخططة تخطيطا واعيا كما انتهت إليه قرارات مؤتمر الخرطوم . ما أخـــذ بالقوة لابد أن يسترد بالقوة . فالعمل السياسى والعسكرى ينبغى أن يسيرا بأيهما يتحقق استرداد أرض فلسطين غاية وأمل الأمة العربية كلها .

٤ — فلسطين قد ضاعت بسبب شلل الحكومات العربية :

إن الاستعمار كان متحكما عن طريق معاهداته فى الدول العربية كمصر والأردن والعراق ، وعن طريق عملائه فى الجامعة العربية التى تولت فى تلك الأيام زمام القيادة فى عملية الكفاح الثورى فى فلسطين على الصعيدين السياسى والعسكرى .

ولقد كانت بريطانيا تسيطر فى عام ١٩٤٨ على شئون أكثر من دولة من دول الجامعة العربية سيطرة سياسية وعسكرية ، عن طريق بعض الحكام الخونة الذين يشدهم إليها أكثر من رابطة ، أوعن طريق القواعد العسكرية والجوية البريطانية والأمريكية المنتشرة فى أكثر من دولة من دول الجامعة العربية .

وكانت المعاهدات والمواثيق العسكرية تحتم على بعض هذه الدول التشاور مع بريطانيا فى كل حالة يمكن أن تؤدى إلى حرب أو إلى التهديد بحرب ، والتعاون لحل أى خلاف قد يقع بين إحدى هذه الدول وبين طرف ثالث .

وكان حكام بعض هذه الدول يرون فى بريطانيا حليفتهم الطبيعية وصديقتهم التقليدية ، وكانت بعثاتها العسكرية إلى جيوش هذه الدول تمارس أعمال التدريب والتسليح والمشاورة فى الظاهر ، والسيطرة على هذه الجيوش فى الواقع وعلى ما لديها من إمكانيات وأسلحة وعتاد .

وكان بعض هذه الدول ، وما زال ، مرتبطا بدول الاستعمار ، بالإضافة إلى الارتباطات التقليدية ، بروابط سياسية وبترولية واقتصادية . وقد أثبتت الوقائع أن بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية هما اللتان تآمرتا مع حليفتهما إسرائيل على قيامها ، وعلى استخلاص قرار التقسيم ، وعلى فرض تنفيذه .

ومن الطبيعى والحالة هذه أن تكون بريطانيا هى التى وجهت حرب

فلسطين سنة ١٩٤٨ الوجهة التى تريدها ، وهى تنفيذ التقسيم ، وقيام إسرائيل ، ومن هنا تنبع المسئولية الكبرى فى ضياع فلسطين ، ومن هنا تتجسد الأوضاع التى أدت إلى هذا الضياع .

٥ — فلسطين قد ضاعت لافتقار العرب الى الأسلوب العلمى فى الدعاية :

إن العاطفة التى تحرك الثوار العرب للدفاع عن بلادهم تحتاج إلى عقلية على مستوى المعارك الدولية لتحريكها ، ولكن الارتجال الذى رافق المعركة من أولها إلى آخرها كان من أسباب ضياع فلسطين . فقد قدرت اللجنة العسكرية التى ألفتها الجامعة العربية، لتهيئة الدفاع عن عروبة فلسطين وتنظيمه، احتياجات هذا الدفاع بثلاثة آلاف متطوع من البلاد العربية ، مسلحين بعشرة آلاف بندقية مع أن لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية كانت قد قدرت قوات اليهود فى تقريرها الذى أصدرته عام ١٩٤٦ على الوجه التالى :

جيش الهاجاناه ٦٢٫٠٠٠ مدربين ومسلحين بأحدث الأسلحة ومنها المدفعية .
عصابة الأرجون ٦٫٠٠٠
عصابة الاشترن ٣٫٠٠٠

بالإضافة إلى قوة الشرطة اليهودية المركزية الخاضعة للإدارة البريطانية ويقدر عددها بحوالى ٢٫٠٠٠ فيصبح المجموع ٧٣٫٠٠٠ يواجهون ٣٫٠٠٠ جندى عربى بأسلحة عتيقة .

فلم تكن الجهات التى تولت إدارة دفة المعركة على مستوى القضية . إذ لا استعداد ، ولا تأهب ، ولا تقدير صحيحاً لقوة الخصم وطاقاته . ولو عبئت القوى الوطنية تعبئة صحيحة وعلى أسس سليمة ، ووفق تقدير صحيح للمعطيات والإمكانيات ، ولو تجسدت هذه التعبئة فى التوعيات الكاملة والمفاهيم السليمة لطبيعة المعركة واتجاهاتها ، وتبلورت فى شكل تدريب وتسليح

كاملين ، لا تقف الحاجات المحلية حائلا دونهما ، سواء فى داخل فلسطين أو خارجها ، لما كانت النكسة ، مهما كان موقف الاستعمار وأعوانه .

وتمضى عشرون سنة تقريبا على هذه المعركة الارتجالية ويتحدث الدكتور سيد نوفل فى مارس سنة ١٩٦٥ ليفسر الفشل الذى منيت به الدعاية العربية بأسباب منها :

١ — قوة ونفوذ الدعاية الصهيونية وأثرها الكبير على المؤسسات الصحفية والإذاعية والتليفزيونية فى العالم وفى الغرب خاصة .

٢ — ضعف الموارد المادية الكافية للعمل الدعائى وبالتالى عدم توفر القدرات الكافية على ترويج آرائنا ومواقفنا والحقائق الأساسية لقضيتنا .

٣ — عدم التجاوب الكافى من قبل الدول العربية لإمداد الجامعة العربية بالمواد الإعلامية الكافية أو بالإمكانيات الفنية لتسهل لها المهام المنوطة بها . هذه الأسباب الثلاثة تقدمها الجامعة العربية لتفسر العجز الإعلامى العام الذى ميّز ركودها فى الأشهر الأخيرة الماضية ، والكثير من فشلها السابق فى هذا المضمار . ورغم أن هذه التفسيرات تشكل أسبابا مخففة للإخفاق الكامل إلا أنها لا تفسر كل شىء . هناك أسباب أخرى رئيسية ذاتية لتفسير إخفاق الجامعة وأجهزتها الإعلامية فى الدعوة العربية ، هى :

١ — الاستثمار السيء للكفايات البشرية والموارد المالية المتوفرة لدى الجامعة .

٢ — تعطيل الفعاليات الموجودة فى متاهات الروتين الإدارى الرث والتعليمات المالية المكبلة لأية مبادرة خلاّقة فى الحقل الدعائى .

٣ — عدم توفر جهاز مركزى للبحوث والدراسات يغذى باستمرار مراكز الدعوة فى الخارج . ويتضح من ذلك أنه بدلا من أن تقوم الأمانة

العامة بهذا الدور الأساسى أصبحت تسعى إلى تغذية نفسها عن طريق ما يرد إليها من مكاتبها الخارجية .

٤ — عدم وضوح الرؤية السليمة عن أهداف الدعوة العربية والافتقار إلى فلسفة إعلامية حديثة وعلمية وملتزمة .

٥ — انعدام التنسيق الضرورى بين الإدارات التى تتداخل اختصاصات أكثرها وتعمل بمعزل عن الأخرى مما يؤدى إلى ارتباك العمل وتعطيله .

ويستنبط الدكتور كلوفيس مقصود أسباب الفشل الذى منيت به الدعاية العربية فيقول : « إن الأسباب الـكامنة فى جهاز الجامعة والخارجة عن نطاقها تفتح أمامنا مجالات واسعة لإعطاء الدلائل على المدى الذى أقعد الجامعة عن أداء مهامها فى المجال الدعائى . ولـكننا الآن لسنا فى صدد التأريخ بقدر ما نحن فى حاجة إلى محاولة لاستنباط الحلول الفورية لأزمة الدعاية العربية فى الخارج حتى نتمكن من مقاومة تزايد النشاط الصهيونى فى هـــذا الحقل والتغلب عليه ؛ وإيجاد الأجواء الملائمة دولياً لإعادة فتح القضية الفلسطينية جديا على المستوى الوجدانى والسياسى والواقعى .

«ولابد لنا فى هذا المجال أن نفرق بين الإعلام العربى والدعوة العربية ، ورغم أن المجالين لا يتعارضان بل يتممان بعضهما البعض إلا أن الدعوة « أو الدعاية » لقضية هى غير الإعلام عنها . وإذا كان هذا التفريق صحيحا بشكل إجمالى فإن ضرورته تصبح أكثر إلحاحاً بالنسبة للظروف التى تكتنف قضايانا وللمراحل التى تمر بها .

« لقد كان الخلط بين الإعلام والدعوة ، أو الدعاية ، مسبباً فى كثير من المشاكل ومن سوء الفهم فى تحديد مهام أجهزة الدعوة العربية فى الخارج إذ أن السفارات العربية تصر على قصر مهام مكاتب الجامعة على الجانب

الإعلامى ، وكثيرا ما فقدت مكاتب الجامعة العربية قدراتها فى العمل وفوتت على نفسها فرصاً ثمينة للحوار والحركة عندما رضخت لضرورات ومستلزمات المجاملة والمراعاة لحساسيات السفارات العربية الناجمة عن منطق السيادة القطرية وضعف الالتزام القومى»(١) .

٦ — الفلسطينيون حرصوا على وطنهم وعلى اراضيهم حتى الاستشهاد :

وهنا لا بد من وقفة قصيرة عند مفهوم خاطىء لدى الكثيرين ، وهو أن شعب فلسطين هو الذى باع وطنه وأرضه .

أجل هناك كثيرون يعتقدون هذا القول الخاطىء ويتحدثون به ، بالرغم من بعده عن الحقيقة ، والواقع أن شعب فلسطين لم يبع وطنه أو أرضه مطلقا ، وإنما احتفظ بها بالرغم من موجات الإرهاب الاستعمارى لإرغامه على بيع أرضه ، وبالرغم من الإغراءات الكثيرة والأموال الضخمة التى عرضت على أفراده ، والتى فاقت حدود التصور .

فقد ذكر آخر تقرير رسمى لحكومة الانتداب البريطانى أن اليهود كانوا يملكون من أراضى فلسطين فى نهاية عام ١٩٤٧ ، أى عندما فرض التقسيم ، ٦¼ ٪ ليس إلا من مجموع أراضى البلاد ، فإذا عرفنا أن ٤ ٪ باعتها العائلات الإقطاعية وبعضها فى خارج فلسطين كسرسق، وبسترس ، والتيان ، والقبانى ، وسلاّم وغيرهم، يتبين لنا أن شعب فلسطين وفلاحيها المستوطنين والمستقرين فى بلادهم وأراضيهم لم يبيعوا أراضيهم بالرغم من المضايقات العنيفة والإغراءات .

ويكفى أن تعرف أن الفلاح كان يؤثر الاحتفاظ بدونماته القليلة من الأرض التى تعطيه دخلا سنويا لا يكاد يسد متطلباته المعيشية ، على أن يبيعها بألوف الجنيهات ، التى كانت تمكنه من العيش حياة سعيدة لو ارتحل إلى المدن أو إلى خارج البلاد .

---

(١) الأهرام فى ١٩٦٧/٩/٢٩ .

أضواء .. على الاعلام الاسرائيلى :

كم أرجو أيها القارىء العزيز أن نتدارس حقائق واقعية عملا بوصية المصطفى صلى الله عليه وسلم : « خذوا العلم من أى إناء » ، وأن نمارس مايتفق وطبيعتنا حتى نحقق تفوقا فى ميدان الإعلام . وأبرز لنا « أضواء . . على الإعلام الإسرائيلى » الدكتور منذر عنتباوى فى كتابه الذى أصدره مركز الأبحاث فى منظمة التحرير الفلسطينية ببيروت ، حيث تناول الإعلام وأهداف السياسة الخارجية الإسرائيلية ، الاستراتيجية العامة للإعلام الإسرائيلى ، والأدوات التنفيذية التى يستخدمها الإعلام الإسرائيلى .

ولنبدأ من المدخل بحقائق أقرب إلى صوت الرصاص :

إن الإعلام الإسرائيلى والصهيونى يزحف على مساحة العالم كله . وإن الحركة الصهيونية العالمية اهتمت بسلاح الإعلام منذ ولدت فى أول مؤتمر صهيونى عقد فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ .

وإن انحياز الرأى العام للصهيونية فى أوربا الغربية ، وأمريكا الشمالية ، يرجع تاريخه إلى ما قبل إسرائيل ، وانحيازه اليوم ليس إلا استمراراً لانحيازه القديم للصهيونية .

وإن الإعلام الإسرائيلى يبذل قصارى جهده لضمان استمرار ذلك الانحياز ، فوق أنه دائب النشاط نحو كسب قطاعات هامة وحيوية من الرأى العام فى العالم الثالث .

الاعلام . . والخطط الصهيونى :

المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ عقد من إنشاء أجل وطن قومى يهودى فى فلسطين . ويومها أسفر المؤتمر عن برنامج عمل يهدف لإنشاء هذا الوطن ، معتمداً على أربعة بنود أهمها البند الثالث والخاص بإنشاء إعلام

صهيونى ، وهكذا وقف الإعلام الصهيونى فى طليعة الحلم الصهيونى وجنبا إلى جنب مع البنود الثلاثة الأخرى وهى :

١ — تطوير الاستيطان اليهودى فى فلسطين .

٢ — تنظيم يهود العالم فى مؤسسات صهيونية .

٣ — انتزاع تأييد الحكومات المختلفة لإنشاء الوطن القومى .

ويتضح ارتباط الإعلام الصهيونى بالهدف الصهيونى الأول ، عندما أسفر المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى نيويورك عام ١٩٤٢ عن برنامجه المعروف ببرنامج « بلتيمور » حيث برزت الدعوة رسمياً لإنشاء « دولة يهودية فى فلسطين كجزء لا يتجزأ من العالم الديمقراطى » .

الإعلام الصهيونى مشحون إذن ببرنامجى عمل أقرهما مؤتمران . والهدف : إنشاء وطن قومى لإسرائيل .

استراتيجية الاعلام الاسرائيلى :

طبقا لما تراه إسرائيل . . يتحقق هذا الهدف عن طريق خلق الإحساس لدى الرأى العام فى كل مكان ، بأن سلام العالم وأمنه ورخاءه ، إنما يرتبط إلى حد كبير ببقاء إسرائيل والمحافظة عليها .

وسياسة كسب الأنصار . . تنشط فى كل مكان من العالم . لا يهم أن تكون الحكومة صديقة لإسرائيل ، أو صديقة للعرب . . أو محايدة . واستمساكا بهذه العالمية . . تقوم سياسة كسب الأنصار على أساس دراسة عامة وعلمية للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى البلاد . . تتجه إليها ، وكذا المشكلات التى تعانيها والأمور التى تهم سكانها ، وخاصة أصحاب الرأى

والمكانة فيها ، ثم دراسة طبيعة العلاقات القائمة بين هذه البلاد وبين الدول العربية ، والخلافات الظاهرة والخفية بينهما .

وعلى ضوء هذه الدراسة . . يحدد الإعلام الإسرائيلي مدخلين إلى تلك البلاد : مدخلاً نظريا . . ومدخلاً تطبيقيا .

ثم يبدأ العمل ، وقد أصبحت استراتيجيته : ضمان وجود إسرائيل فى الخارج كضرورة عالمية .

الاهداف القومية لاسرائيل :

فى مارس عام ١٩٦٨ بعد أن استكملت إسرائيل احتلال فلسطين وسيناء ومرتفعات الجولان . . وقف أبا إيبان فى ندوة صحفية عقدها فى هولندا، يقول : « إن أزمة الشرق الأوسط هى مشكلة بقاء إسرائيل ، وليست أزمة بقاء الدول العربية » . ومن قبل ذلك بسنوات خلت ، وفى ٢٨ نوفمبر عام١٩٦٥ ، كتب البروفسور بنيامين أكرين أستاذ العلوم السياسية والقانون الدستورى فى الجامعة العبرية فى صحيفة جيروزاليم بوست يقول : « إن نقطة الارتكاز فى سياسة إسرائيل الخارجية يجب أن تكون ضمان وجود إسرائيل فى العائلة الدولية . أما معاهدات الصلح فإنها لاتضمن سلما دائما » . والضمان : هو أن تكون إسرائيل موجودة فى الخارج وعلى كافة المستويات وفى كل المجالات ليس فقط كضرورة يهودية . . و « غربية رأسمالية » ولكن أيضا كضرورة « شرقية اشتراكية » و « أمريكية لاتينية » و « آسيوية إفريقية » وتحاول الصهيونية أن تقنن وجودها على أرض فلسطين بالمزاعم الآتية :

١ — ادعاؤهم أن لهم حقاً فى فلسطين بناء على ما أسموه « أرض الميعاد » .

٢ — ادعاؤهم أن لهم حقاً فى فلسطين باعتبارها الموطن الأول للدولة اليهودية القديمة .

٣ — ادعاؤهم بأنهم اكتسبوا حقا فى فلسطين بناء على « وعد بلفور » .

٤ — ادعاؤهم بأن صك الانتداب البريطانى على فلسطين قد اعترف بحقهم فى فلسطين .

٥ — ادعاؤهم بأنهم اشتروا الأرض وأنشأوا مستعمرات زراعية فى فلسطين .

٦ — ادعاؤهم بأنهم أصحاب حق فى فلسطين بناء على قرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ .

٧ — ادعاؤهم بأنهم استولوا على فلسطين ليرفعوا من شأنها وتقدمها .

الباب الثالث

دراسة تحليلية

وعد بلفور.. الانتداب.. التقسيم

أولا ــ دراسات تحليلية لوعد بلفور

١ — وعد بلفور ومعاهدة سايكس بيكو : Sykes—Picoul

لاريب أن لورنس المستشرق البريطانى قد أكد لنا نحن العرب أنه كان يعمل لصالح بريطانيا ووفقاً لأهداف صهيونية لتحقيق وعد بلفور ، واستطاع أن ينتخب لبريطانيا العناصر المعتدلة للتعاون معها ومع زعماء الصهيونية فأعد لقاء بين وايزمن الزعيم الصهيونى وبين فيصل — المرشح ملكا على العراق — فى القاهرة لتحقيق معاهدة سايكس / بيكو ، ومن ثم يسهل على بريطانيا تحقيق وعد بلفور ، بعد أن نجح هجارث فى الحصول على تأييد من الحسين فى مطلع عام ١٩١٨ . وكان فيصل عند حسن ظن بريطانيا وموضع ثقة وايزمن ، إذ أكد بتصريحه لصديقته مسز أرسكين تأييد وعد بلفور ، وتمخض هذا التصريح عن اتفاقية بين فيصل ووايزمن فى ١٩١٩/١/٣ جاء فى المادة الثالثة منها : « تقوم الدولة الفلسطينية بكل التدابير لتحقيق وعد الحكومة البريطانية فى الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧ فى دستورها وإدارتها »[١].
كانت هذه الاتفاقية هى السند القانونى الذى تقدم به وايزمن إلى لجنة التحقيق البريطانية عام ١٩٣٨ .

٢ — الانسجام التام بين فيصل وزعماء الصهيونية :

بلغ الانسجام ذروته فى خطاب فيصل إلى المستر فرانكفورتر — القاضى والأستاذ بجامعة هارفارد ، وعضو الوفد الأمريكى فى مؤتمر الصلح والمتحدث الرسمى باسم الصهيونية الأمريكية — فى ٣ مارس ١٩١٩ جاء فيه : « إننا نعتبر العرب واليهود أبناء عمومة فى الجنس وقد تعرضوا لاضطهادات على

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين للدكتور أنيس صايغ ص٦٩ .

أيدى قوى أقوى منهم . واستطاعوا لحسن الحظ أن يحققوا الخطوة الأولى نحو أهدافهم القومية ... فالحركة اليهودية قومية وليست استعمارية ، وحركتنا قومية وليست استعمارية ، ولكلينا مكان فى سوريا . بل إنى لا أظن أن لأى منا إمكاناً من النجاح بدون الآخر »(١) .

٣ — فيصل يسعى لتتويجه ملكا « يستجدى العرش من الامبريالية »(٢) :

كان فيصل يأمل تتويجه ملكا على سوريا ، ولكن سوريا بحكم التقسيم المقرر فى معاهدة سايكس — بيكو داخلة فى نطاق النفوذ الفرنسى . وكان لورنس يطمع — فيما لو استطاع فيصل أن يبنى لنفسه قوة شعبية فى سوريا — أن ينتزع سوريا من دائرة النفوذ الفرنسى ويحتفظ بها للنفوذ البريطانى . لكن كليمنصو رئيس وزراء فرنسا أصدر بيانه إلى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا باستمساك فرنسا بحقها فى سوريا طبقا لمعاهدة سايكس — بيكو ، ومن ثم ضرورة إبعاد فيصل عنها . وحاول فيصل محاولة أخيرة مع أمريكا أن توضع سوريا وأن يوضع عرشه معها تحت الوصاية والحماية الأمريكية ولكن وودرو ولسن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وقتئذ لم يكن مهتما بالمشروعات الاستعمارية فرفض العرض .

٤ — عبدالله يتحرك للثأر العربى من الفرنسيين فى سوريا :

وتفطن بريطانيا إلى خطورة زحف عبدالله لتحرير سوريا خصوصاً وأن فرنسا قد تظن أن بريطانيا هى المحرضة على ذلك ، فيصدر تشرشل قراره بأن يصبح الأمير عبد الله أميراً « حيث هو الآن » أميراً على عمان ، وهكذا قامت إمارة شرق الأردن .

---

(١) الأهرام فى ١٩٦٧/١/٢٠ .

(٢) « يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » المائدة : ٥١ .

كما تقرر فى مؤتمر القاهرة عام ١٩٢٠ تتويج فيصل ملكا على العراق ، وتهدف من ذلك إلى :

١ — إرضاء الهاشميين الذين طردوا من سوريا .

٢ — الوفاء بمحادثات الحسين — مكماهون ، والتى عادت على الحلفاء وحدهم بالنفع .

٣ — إيجاد قوة عربية صديقة لبريطانيا بجانب فلسطين لتساعدها على تنفيذ وعد بلفور .

٤ — تقرير مبدأ التجزئة وتقسيم الوطن العربى حتى يمكنها السيطرة على الشرق الأوسط .

٥ — التركيب السياسى للحركة النضالية :

إن التركيب السياسى للحركة النضالية فى فلسطين يسلم مقاليدها لتكتل من الساسة المحترفين ، يتوزعون بين أحزاب ومؤسسات تختلف فى الأسماء ولكنها تلتقى كلها فى تزعيم أصحاب الوجاهات والأنساب ممن كانوا يمزجون بين النضال الوطنى والكسب الشخصى ، ولا يفرقون بين ولاء المواطنين فى الجهاد وعبودية العبيد فى أرضهم ، حتى كادوا لا يعرفون إذا ما كانوا يناضلون من أجل زيادة مكاسبهم أم يتكسبون لتغذية النضال .

مع هذا سلم الشعب مصيره السياسى لتلك الطبقة لأن وعيه السياسى لم يكن آنذاك قد تبلور تبلوراً يكفيه لأن يعرف كيف يفرض نفسه على السياسيين المحترفين : « لم تعد أصوات الجماهير هى التى تقرر خط السير الوطنى ، وإنما أصبحت أصوات الجماهير تساق وفقاً لإرادة السلطات الحاكمة وأصدقائها »[1] .

---

(١) من الميثاق للجمهورية العربية المتحدة .

وكان معظم العاملين فى الحركة السياسية من الطبقة ذاتها بحيث لم يكن للشعب أمل فى العثور على سياسيين عقائديين غير محترفين ، ومناضلين غير متكسبين ، ولأن طبيعة النضال واحتدام المعركة مع الصهيونيين والاستعمار وعملائهما لم تكن تسمح للشعب بأن يثور على النظام السياسى ، وأن يخرق الذهنية التقليدية الموجودة منذ أجيال . ومضت عشرون سنة منذ اختيار المستشرق البريطانى لورنس لفيصل زعيما للثورة خلال الحرب العالمية الأولى . والشعب لم يتمكن بعد من التحرر من الأفكار التقليدية حتى ظهر سير رونالد ستورز زميل الكولونيل والمستشرق البريطانى لورنس ، ورأى الحاجة ماسة لصنع تاج فى فلسطين ، ولما لم تكن فرصة صنع تاج ميسرة صنع عمامة ، وكان أن اكتشف لها الحاج أمين الحسينى . فبفضل النسب الدينى العريق لآل الحسينى وسيطرتهم على الوظائف الإدارية والمناصب الدينية والقضائية فى عهد السلطان عبد الحميد ، كان الحاج أمين الحسينى يتمتع بنفس الحيثيات التى رشحت فيصلا من قبل .

ومن منصب الإفتاء انطلق أمين الحسينى إلى الزعامة الشاملة فى فلسطين ، وبالرغم مما بين فيصل والحسينى من اختلاف فى الطباع والشخصية والعقيدة ، إلا أنهما يتفقان فى أن ما أوصلهما إلى الزعامة أمران وهما :

١ — الوجاهة الدينية والاجتماعية :

فإن النسب الدينى لأسرة المصطفى صلى الله عليه وسلم يضفى على صاحبه مكانة فريدة وممتازة بين جمهرة المسلمين حتى فى وقت قريب .

٢ — رضاء صانع التيجان :

وصانع التيجان هو بريطانيا وهى صاحبة الحول والطول فى البلاد العربية وكان هذا الاختيار فى لحظة اشتبك فيها عرب فلسطين فى معركة حياة أوموت مع الصهيونيين والعملاء .

فلم تلبث زعامة الحسيني أن اتخذت طابعا أوسع من فلسطين ، إذ أصبح رمزاً لنضال ديني وروحي بوصفه قيما على الأماكن المقدسة فى فلسطين ، وبالتالى لم يلبث أن أصبح أشهر زعيم عربى خارج القطر الذى ينتمى إليه ، ومن ثم فإن مصلحة الزعماء الذين جاءتهم الزعامة لاعتبارات الوجاهة والحسب والنسب كانت تتطلب منهم أن يحافظوا على الأوضاع القديمة ليحافظوا بالتالى على مراكزهم وعلى مقاعـد الزعامة وسطوتها وامتيازاتها ، ووضح حرصهم على مراكزهم فى دعوة الملك عبد الله لأصدقائه الصهيونيين فى بلدة الشونة القريبة من القدس فى ١٩٤٩/٣/٣٠ ، وكلف رئيس حكومته بالتحدث إلى الوفد رسميا وباسم الحكومة الأردنية ، فيقول توفيق أبو الهدى موجها كلامه إلى إيبان والملك صامت لا يتكلم : « أكلمكم باسم حكومة المملكة الأردنية الهاشمية وبحضر جلالة سيدنا ، وأرحب بقدومكم الذى نأمل منه كل خير لصالح البلدين .

« إذا ذكرنا الماضى نجد كيف تورط الأردن فى الحرب ، والأسباب المباشرة كانت مدينة القدس القديمة ، ومحاولة قواتكم الاستيلاء عليها ، مما أدى إلى اشتباك الجيش العربى مع جنودكم اشتباكا فعليا . وما عدا ذلك لم تقع معارك من طرفنا .

« وتعلمون سعادتكم أن السياسة الأصلية التى سرنا عليها ، هى أن يقف الجيش العربى على حدود القسم العربى من فلسطين ولا يتعداه ولم يتعده بالفعل ، ولو أن تلك السياسة لم تقل أو تنشر ، إلا أنها كانت بالفعل مرسومة .

« ولم يكن هنالك ميل للحرب بالمرة ، ولا نية أكيدة ، ويمكنكم أن تقدروا صعوبة موقفنا فى تنفيذ تلك السياسة المرسومة ، وفى الانحراف مع سياسة الدول العربية مجاراة لها وللتغطية فقط . . . والآن لن نتقيد بعد اليوم

بنصائح خارجية حتى ولا بالسياسة العربية ونرغب من كل قلوبنا أن نصل معكم إلى تسوية وصلح دائم . . . وإذا توافر لديكم حسن النية كما هو عندنا ، فلا شك بأننا سننهى كل المشاكل بما تمليه المصالح المشتركة وحسن الجوار بين بلدينا »[١] .

٦ — مولد وعد بلفور :

تحمس فريق من اليهود للدعوة إلى إيجاد وطن لليهود ، استهدافاً إلى تجديد كيان اليهود فى فلسطين ، على ما فى دعواهم من تناقض مع طبيعة الأمور والحقائق . والواقع أن مادفعهم إلى حرصهم على تجديد الكيان الإسرائيلى الروحى ، هو ما عاناه اليهود من حقد وضغينة وتجهم فى مختلف بلاد العالم ، وأممه الأخرى .

ومن هؤلاء إسرائيل زانجويل الذى ادّعى أن فلسطين وطن بلا شعب ، وهو بهذا الأسلوب قد تغابى عن حقائق قائمة ، منها أن فلسطين ليست بلاداً خالية من السكان أو هى منعزلة عن العالم أو متخلفة عن مثيلاتها من البلاد العربية التى تساهم بنصيبها فى بنيان نظام العالم وحضارته كما حاول الصهيونيون تصويرها إفكا وكذبا حتى استطاعوا أن يخدعوا العالم الغربى فحسب .

ومن هؤلاء أيضا ثيودور هرتزل الذى أراد أن يستند على حق قانونى ينتزعه من سلطان تركيا لتكوين مستعمرات يهودية بفلسطين .

ولما انكشفت مؤامرة هرتزل وفشل فى استمالة زعماء الأتراك المسلمين ،

---

(١) مذكرات عبد الله التل ص ٥٣١ .

وفى استمالة زعماء الألمان المسيحيين ، ولى وجهه شطر إنجلترا فى عـام ١٩٠٢ ولم يكن لإنجلترا فى ذلك الوقت علاقة بحكم فلسطين ولـكنها كانت قد احتلت مصر قبل ذلك بعشرين عاماً ، وقد اقترح هرتزل على الحـكومة البريطانية عدة اقتراحات لتـكوين الدولة اليهودية منها :

١ — استعمار الأرض المجاورة لفلسطين .

٢ — أو استعمار الأرض المجاورة للعريش فى الحدود المتاخمة لحـدود فلسطين .

فلم يسع وزير المستعمرات البريطانية مستر «جوزيف تشامبرلين» والمعتمد البريطانى فى مصر « لورد كرومر » إلا الرفض لمقترحات « هرتزل » خوفا من إثارة ثائرة الشعب المصرى لوسمحت إنجلترا لليهود بذلك الاستعمار الصهيونى لأرض مصرية . فقد أبى الشعب المصرى عام ١٨٥٠ م أن يسمح للصهيونيين أن يستعمروا أرض فلسطين حينما كانت تلك الأرض جزءاً من مصر .

وعلى الرغم من هذا الرفض فقد خطا المؤتمر الصهيونى المنعقد فى لاهاى سنة ١٩٠٨ خطوة عملية : « إذ قرر تأسيس شركة للأراضى الفلسطينية ، وتخصيص قرض يقدمه البنك الوطنى لبناء حى عصرى لليهود المهاجرين بالقرب من «يافا» نواة مدينة « تل أبيب» ، كما قرر اعتبار اللغة العبرية لغة التخاطب الرسمية للصهيونية » .

وفى ١٢ نوفمبر سنة ١٩١٥ أثناء قيام الحرب العالمية الأولى كتب الدكتور حاييم وايزمن الزعيم الصهيونى إلى المستر سكوت رئيس تحرير جريدة مانشستر جارديان رسالة جاء فيها : « إذا دخلت فلسطين ضمن منطقة النفوذ البريطانى ووافقت الحـكومة البريطانية على تشجيع إسكان اليهود فيها فإنه يمـكن أن

يصير لنا فى فلسطين خلال عشرين عاما أو ثلاثين عاما نحو مليون يهودى أوربا أكثر من ذلك فيشكلون حراسة عملية لقناة السويس » .

وفى ١٤ من أكتوبر سنة ١٩١٧ وجه وايزمن رسالة إلى وزارة الحرب البريطانية جاء فيها : « إننا نعلن لكم بصراحة واحترام أننا نترك مصيرنا الوطنى والصهيونى بين أيديكم آملين أن تنظروا إلى قضيتنا على ضوء مصالح الإمبراطورية » . وبعد أن نشرت هذه الرسالة أعلن ساسة الإمبراطورية البريطانية أن من مصلحة الإمبراطورية البريطانية أن تكون فلسطين يهودية . وهكذا يتضح أن مسألة خلق وطن قومى لليهود ليست إلا جزءاً من خطة استعمارية للسيطرة على الشرق العربى ، وليست إلا إسفينا أراد الاستعمار أن يدقه فى قلب العالم العربى للوصول إلى أهدافه .

وقد انتهى الاتفاق بين ساسة الإمبراطورية البريطانية وزعماء الحركة الصهيونية على أن تعلن الحكومة البريطانية عن وعد لليهود بإعطائهم فلسطين وطنا لهم ، وأن تقدم لهم المساعدات والمعونات بإنشاء دولة يهودية، وقد تحقق ذلك بإعلان الحكومة البريطانية تصريح بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ .

٧ — الدول الاستعمارية تؤيد وعد بلفور :

ولقى تصريح بلفور موافقة كل الدول الاستعمارية الأخرى ، فوافق الرئيس ولسن والحكومة الأمريكية على نص التصريح وعلى إصداره باسم بريطانيا ، كما أيدت فرنسا وإيطاليا التصريح بعد ذلك .

ولقد لقيت مسألة إنشاء دولة يهودية فى فلسطين موافقة الدوائر الاستعمارية الأمريكية منذ البداية ففى سنة ١٩١٩ أعلن الرئيس ولسن :

« أن الضرورة تقضى بأن تكون فلسطين أساساً لكومنولث[1] يهودى » .
وقال الرئيس هوفر : « إن موضوع تأسيس دولة يهودية ليستحق العطف والتشجيع الأدبى من الجميع » .

وقبل وعد بلفور بمائة عام كتب القنصل الأمريكى السابق فى تونس عام ١٨١٨ يقول : « إن القضاء على السيطرة التركية فى سوريا سيترتب عليه تحررهم « أى اليهود » وسيكون فى استطاعتهم السير مرة أخرى لامتلاك سوريا تحيط بهم هالات النصر » .

وهكذا توضح لنا حقائق التاريخ أن إنشاء وطن قومى لليهود كان يحظى بالتأييد الكامل من جانب الاستعمار العالمى ، وأنه رغم أن عملية إنشاء هذا الوطن القومى كانت تنفرد فيها بريطانيا بدور رئيسى فإن الاستعمار الأمريكى — والذى كانت الحركة الصهيونية وثيقة الاتصال به — احتضن الحركة الصهيونية بشكل ثابت حتى ولادة دولة إسرائيل ، وليس هذا فحسب بل إن إسرائيل فى نظر الولايات المتحدة الأمريكية الولاية الحادية والخمسون .

٨ — الأحداث السياسية التى لازمت صدور وعد بلفور :

فى سنة ١٩١٤ أعلنت الحرب العالمية الأولى بين قوتين متنازعتين : الأولى تتزعمها ألمانيا وتركيا ، والثانية تتزعمها إنجلترا وروسيا وفرنسا . وكانت الإمبراطورية العثمانية تحكم سوريا الكبرى « الشام » والعراق والحجاز بالإضافة إلى مصر التى تتبعها اسميا رغم احتلال إنجلترا لها . وبمجرد إعلان الحرب فرضت بريطانيا حمايتها على مصر .

ولقد عانى العرب فى الشام والعراق والحجاز تعسف الحكام الأتراك

---

(١) دولة حكومة Commonwealth .
a group of self — governing countries united unders one Central government, e. g. Australia .

أمثال القائد التركى جمال باشا الذى نصب المشانق وأعدم الكثير من أحرار الشعب وقادته فى ٦ مايو ١٩١٦ الذى عُرف بيوم الشهداء . وكان هذا اليوم نقطة تحول فى العلاقات بين تركيا والعرب ، جعلت الشعب العربى يثور للمطالبة بحريته واستقلاله . وكان من الطبيعى أن يعلن مساندته للحلفاء ، وكان الإنجليز أرحب صدراً وأبعد نظرا من الأتراك ، وتبودلت الرسائل بين الشريف حسين والمندوب السامى البريطانى فى مصر « السير هنرى مكماهون » حيث تم الاتفاق على وضع خطة للانتقام من تركيا ، نظير اعتراف إنجلترا باستقلال العرب من جبال طوروس شمالا إلى المحيط الهندى جنوبا .

وما كاد الحلفاء يدخلون أرض الشام بمساعدة العرب إثر ثورة عام ١٩١٦ حتى أخذ زعماء اليهود وأثرياؤهم ينتهزون الفرصة ليصلوا إلى ما يستطيعون من مكاسب ، وقد كسبوا « وعد بلفور » الذى حقق لهم أملا طالما رأوه بعيداً عن التحقيق .

٩ — منطوق وعد بلفور وتحليله :

« عزيزى روتشيلد . .

« يسرنى أن أبعث إليكم باسم حكومة جلالة الملك هذا التصريح المشوب بالعطف على الأمانى الصهيونية ، والذى عرض على الحكومة ووافقت عليه .

« تعتزم الحكومة البريطانية إقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل كل ما لديها من جهود لتحقيق هذه الغاية . . هذا مع العلم بأن حكومة جلالة الملك لن تفعل شيئا ينطوى على أى مساس بالحقوق الدينية والمدنية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين ، ولا بحقوق اليهود الذين يعيشون فى دولة أجنبية أو نظام أحوالهم الشخصية .

« وأكون شاكراً لو تكرمتم بإبلاغ هذا التصريح إلى اتحاد الهيئات الصهيونية » .

إمضاء

٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ « جيمس أرثر بلفور »

ولندع كل هـذه الظروف التى لابست ولادة وعـد بلفور لنناقش الوعد ذاته :

أولا : كل وعد يقتضى أن يكون لدينا واعد وموعود وموعود به . والواعد هنا هو بلفور أو إنجلترا . والموعودون هم اليهود ، والموعود به هو فلسطين . هذا صحيح . ولكن الوعد يقتضى أيضا أن يكون الواعد أهلا لما يعد به ، وقادراً على تنفيذه ؛ وهذا لا يتأتى إلا إذا كان الواعد يمتلك الموعود به ، فإذا ما طبقنا هذا الشرط على بلفور أو إنجلترا وجدنا أن كلا منهما لم يكن يملك فلسطين باعتبارها الشىء الموعود به ، وفاقد الشىء لا يعطيه ، ولقد عبر الرئيس جمال عبد الناصر عن هذه الحقيقة فى رسالته إلى الرئيس الأمريكى الراحل جون كنيدى ، وقد جاء بهذه الرسالة : « لقد أعطى من لا يملك من لا يستحق وعداً ، ثم استطاع الاثنان من لا يملك ومن لا يستحق أن يسلبا صاحب الحق حقه فيما يملكه وفيما يستحقه » . فالوعد إذن ينقصه عنصر هام وهو القدرة على تنفيذ ما وعد به ، ثم إن رسالة بلفور مجرد رسالة شخصية يعلن فيها رغبة إنجلترا ونيتها فى إقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين ، إنها مجرد رغبة وهذه الرغبة لا تعطى اليهود الحق ، ولا يمكن أن تكون لهم سنداً ، وعلى هذا نستطيع أن نقول إن وعد بلفور باطل وغير ملزم التنفيذ .

قد يكون الصهاينة حاولوا أن يكسبوا هذا الوعد صفة دولية حين طالبوا روسيا والولايات المتحدة وغيرهما من الدول الأخرى بالاعتراف بما جاء فى رسالة بلفور ، ولكن حتى هذا فإنه لم يحدث إلا بعد مدة من إصدار رسالة

بلفور ، ولم يتضح موقف هذه الدول بصورة قاطعة . . وحتى لو وافقت أو عارضت الدول ما جاء فى رسالة بلفور ، فإن هذا لا يغير من الواقع شيئا .

ثم للعرب حجة ، فقد وعدت إنجلترا العرب ممثلين فى شخصية الشريف حسين وابنه فيصل أن يساعدوهم فى الاستقلال بسوريا والحجاز ، وكان وعدها سابقا ولاحقا لوعد بلفور ، وجاء الوعد فى الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين ومكماهون ، ولاشك — مهما كانت الظروف — أن الشريف كان يمثل دولة لها كيانها ولها معالمها بعكس روتشيلد الذى لا يمثل أى دولة . لقد وعد الإنجليز الشريف حسين باستقلال العرب عن الدولة العثمانية وكان ذلك سنة ١٩١٦ . وعلى أساس الوعد قام العرب بثورتهم ضد العثمانيين وكانت ثورتهم عاملا كبيراً فى انتصار الحلفاء ، وحينما أحس العرب بخيانة إنجلترا وسوء نوايا الحلفاء ، قدم زعماؤهم فى مصر فى مارس سنة ١٩١٨ — وهو تاريخ متأخر عن وعد بلفور — مذكرة طالبوا فيها بأن تعلن إنجلترا حقيقة أغراضها فى فلسطين ، وردت وزارة الخارجية الإنجليزية تؤكد عزم إنجلترا على تنفيذ تعهدها للشريف حسين والاعتراف بسيادة العرب ، وأن يكون الحكم فى البلاد العربية وفقاً لرغبات الشعب العربى . وفى ١٧ فبراير ١٩١٨ أصدرت إنجلترا وفرنسا مذكرة تؤكدان فيها أن هدفهما هو تحرير الشعوب التى كانت ترزح تحت نير الاستعمار التركى .

معنى ذلك أن اعتراف إنجلترا بسيادة العرب على أرضهم سبق اعترافها بإقامة وطن لليهود فى فلسطين ، وإذا كان اليهود يقولون : إن وعد بلفور يلغى الأقدم أى يلغى ماجاء فى رسائل الحسين مكماهون فإننا نقول لهم : إن إنجلترا أكدت مرة أخرى وعودها للعرب

وكان ذلك بعد وعد بلفور أى سنة ١٩١٨ ، وبذلك يمكن أن نعتبر فى ذلك إلغاء لوعد بلفور .

ثانيا : نصت رسالة بلفور على « إقامة وطن للشعب اليهودى » :

فماذا يعنى بلفور وحكومته بتعبير « الشعب اليهودى » ؟ إن اليهودية كما ذكرنا من قبل دين سماوى شأنها فى ذلك شأن الدين الإسلامى أو الدين المسيحى ، وليس اليهود شعباً ، وإلا لكان فى العالم ثلاثة شعوب : شعب يهودى ، وشعب مسيحى ، وشعب إسلامى ... بالإضافة إلى الشعوب الأخرى التى تدين بالديانات الأخرى غير السماوية مثل البوذية والهندوكية والكنفوشيوسية .. ولكن الواقع غير ذلك ... إن العالم ينقسم إلى شعوب بناء على عوامل أخرى ومقاييس خلاف الدين . . كالأصل والجنس والنشأة والموطن والعادات والتقاليد . وقد تدخل مجموعة من الشعوب تحت دين واحد ، فالشعب الأمريكى والشعب الإنجليزى وكذا الشعب الفرنسى والألمانى كلها تدين بالديانة المسيحية ومع ذلك فهى شعوب مختلفة ، والشعب العربى والشعب الباكستانى والشعب الإندونيسى وكذا الشعب التركى كلها شعوب مختلفة ، ولكنها جميعا تدين بدين واحد هو الإسلام .

فماذا يقصد بلفور بالشعب اليهودى ؟ هل يقصد كل من يدين بالديانة اليهودية ؟

أعتقد أن ذلك أمر مستحيل . فلا يعقل أن يجتمع بفلسطين أكثر من خمسة عشر مليوناً من اليهود لمجرد أنهم يدينون بالدين اليهودى !! وليس هناك جامعة من اللغة أو مصلحة تجمع بينهم كما هو الأمر فى الشعوب الأخرى . واللغة العبرانية ظلت لغة كتاب دينهم التى تجهلها أكثرية

اليهود الساحقة [١] ، وكل أمرها اليوم أنها تحاول إحياءها من جديد صناعياً وسياسياً إحياء لايمت إلى سبب قوى وعنصرى واقعى ، وفى فلسطين فحسب .

ومع ذلك فإنها مجهولة من كثرة كبيرة من يهود فلسطين ، وحالة يهود فلسطين ليست فى عمقها إلا حالة جماعات متغايرة فى الدم والعنصر والجنسيات والميول والثقافة واللغة والحياة الاجتماعية حشدت حشدا ، وليس بينها ذلك الانسجام الذى يقوم عادة بين أبناء الشعب « شعب واحد » ، وكثير منهم يود أن يعود من حيث أتى لو تيسر له السبب والأمن من إزعاج المنظمــــة الصهيونية ووسائل إرهابها مما لمسه كثير من المدققين فى حالتهم ، وكما تبين ذلك جليا أمام لجنة التحقيق الإنجليزية الأمريكية .

ومن جهة أخرى فاليهود الأقدمون ليسوا سكان فلسطين الأصليين وإنما هم طارئون عليها ، ولم يملكوا فيها إلا جزءا ، ولم يدم ملكهم لهـا إلا أمداً قصيراً ، وأكثر إقامتهم فيها مرت بالفتن والقلاقل والاضطرابات والحروب مع سكان البلاد الأولين الذين ظلت فلسطين مكتظة بهم وظلوا محافظين على لغة أولئك السكان وعاداتهم ودياناتهم .

ولقد أثر سكان البلاد تأثيرا كبيرا فى اليهود فى مختلف أدوار إقامتهم فى فلسطين — قبل الميلاد — سياسياً واجتماعياً ودينياً كما يعترف تاريخ اليهود نفسه (٢) .

---

(١) « فى تلك الأيام أيضا رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات وتصف كلام بنيهم باللسان الأشدودى ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى بل بلسان شعب وشعب » نحميا ١٣ : ٢٣ — ٢٦ .

(٢) « تقدم إلى الرؤساء قائلين لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة واللاويون من شعوب الأراضى حسب رجاساتهم من الكنعانيين والحثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والموآبيين والمصريين والأموريين. لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم واختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضى . وكانت يد الرؤساء والولاة فى هذه الخيانة أولا » عزرا ٩ : ١، ٢ .

وقد غادر اليهود فلسطين منذ ألفى سنة دون أن يتركوا فيها آثاراً ذات بال دينية أو عمرانية ، ثم أخذ العرب يقطنون أنحاء كثيرة منها ممتدين من بادية الشام والبلقاء وبلاد الغساسنة وتدمر والأنباط « البتراء » ثم كان الفتح العربى الإسلامى الأكبر فى أوائل القرن السابع الميلادى وتوالت بعده الموجات العربية ، وامتزج السكان الأصليون بهم وصارت العروبة هى الطابع الوحيد لهذه البلاد .

والعرب ليسوا هم الذين طردوا اليهود من فلسطين وحلوا محلهم وامتلكوها منهم ، وإنما امتلكوها من البيزنطيين الذين أقروا الفتح بما عقدوه مع خلفاء العرب بعد ذلك من معاهدات وصلات سياسية وتجارية ، ولم يكن لليهود حين الفتح العربى أى كيان عدا عدد قليل منتشر فى غير مدينة القدس ، التى اشترط بطريرك النصارى لتسليمها للخليفة عمر بن الخطاب عدم السماح لليهود بسكناها ، وظل الأمر كذلك طيلة الحكم العربى الإسلامى بحيث لم يسجل التاريخ فيه — ومدته أكثر من ثلاثة عشر قرنا — وجود أكثر من بضعة آلاف من اليهود كانوا مندمجين فى الدولة ومتمتعين بحمايتها وتسامحها ، وهكذا انقطعت صلة اليهود بفلسطين كشعب انقطاعاً تاماً منذ هذه القرون العديدة الضاربة فى أعماق التاريخ وقبل الفتح العربى .

ويتضح من هذا وهن دعوى اليهود بأن فلسطين وطنهم وبأن من حقهم العودة إليها والاستيلاء عليها ، فضلا عن أن هذه الدعوى لا يمكن أن تستقيم أمام أى منطق بصورة عامة حتى ولو كانت الصلة التى تصل شعبا ببلاد غادرها أشد قربا ولحمة ؛ لأن هذا يعنى انهيار نظام المجتمع الدولى انهياراً مستمراً لما طرأ أو يطرأ من تحولات وتطورات دائمة ونتيجة لأسباب متنوعة .

ومهما يكن من أمر فإن عروبة فلسطين أصح وأصدق وأقدم لأنها

امتداد لسكانها الأصليين الكنعانيين واليبوسيين ، فضلا عن أن اليهودية ليس لها خصائص شعب أو قوم أو عنصر ، وأنها ليست أكثر من نحلة دينية يصطبغ أتباعها بصبغة البلاد التى هم فيها قوميا وسياسيا واجتماعيا ولغويا ودماً أيضاً .

ثالثا : مما لا شك فيه أن وعد بلفور لا يتفق مع المبادىء التى نادى بها الرئيس الأمريكى ولسن .

ومن أهم مبادىء الرئيس ولسن ما يلى :

١ — حق كل دولة فى اختيار الحكم الذى يلائمها .

٢ — حق الشعب أن يختار بنفسه وبحرية نظام الحكم الذى يريده ويرتضيه .

٣ — حق كل أمة أن تختار الطريق الذى تريده دون أى تأثير من دولة أخرى . ولقد أكد ولسن آراءه أكثر من مرة ، وكان مما جاء فى خطاب ألقاه يوم ٤ يوليو سنة ١٩١٨ : « إننا لا نريد إلا سيادة الحق القائم على رضاء المحكومين أنفسهم » . ولقد كان العرب محكومين من العثمانيين ، وكان ما يرضى العرب هو استقلالهم . وقد أعلنوا ذلك أكثر من مرة ، أعلنوه حين عقدوا مؤتمراً لهم فى دمشق سنة ١٩٢٠ وأعلنوا فيه استقلال سوريا بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين ، ورفضوا أن يأخذ الصهاينة أى شبر منها ، كما رفضوا بقاء الجيوش الإنجليزية أو الفرنسية فى الأراضى العربية ، ولم يوافقوا على الانتداب الإنجليزى أو الفرنسى على الدول العربية وهم بكل تأكيد وبإجماع لم يرضوا عما جاء فى رسالة بلفور ، إذ لا يتفق ما جاء بها مع حق تقرير المصير الذى أعلنه ولسن ! !

رابعا : مساعى الصهيونية العالمية لمولد وعد بلفور :

يوضح المستر لويد چورچ Lloyd George الظروف والملابسات التى خرج فيها التصريح إلى الوجود ، فيقول فى سياق شهادته التى أدلى بها أمام اللجنة الملكية لفلسطين — وكان لويد چورچ رئيسا للوزارة البريطانية : « كان إعلان تصريح بلفور أمراً اقتضته موجبات الدعاية » . ويشرح الموقف الذى كان يحيق بدول الحلفاء فيقول : « كانت معنويات الجيش الروسى قد أخذت فى الانحلال ، ولم يكن فى وسع الجيش الفرنسى آنئذ أن يقوم بهجوم واسع المجال ، وكان الإيطاليون قد فشلوا فشلا مروعا فى موقعة كابوريتو ، كما أن الغواصات الألمانية كانت قد أغرقت ما تبلغ حمولته ملايين الأطنان من السفن البريطانية ، ولم تكن الفرق الأمريكية قد وصلت بعد إلى الخنادق . وفى تلك الحالة الحرجة ساد الاعتقاد بأن اكتساب عطف اليهود أو مناوأتهم قد يكون له أثره الفعال فى توجيه كفة الميزان نحو قضية الحلفاء أو ضدهم ، ثم إن عطف اليهود من شأنه على الأخص أن يضمن معاضدة اليهود فى أمريكا ويجعل من الصعب على ألمانيا تخفيض قواها العسكرية وتحسين وضعها الاقتصادى فى الميدان الشرقى » .

وأضاف لويد چورچ : « إن الزعماء الصهيونيين قطعوا لنا وعداً أكيداً مآله أنه إذا أخذ الحلفاء على عاتقهم تسهيل إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين فإنهم — أى الزعماء — سيعملون كل مافى وسعهم لإيقاظ عاطفة اليهود فى كافة أنحاء العالم وتأليبهم لمعاضدة قضية الحلفاء ... وقد بروا بوعدهم هذا ... » .

ويؤيد لويد چورچ فى وجهة نظره البروفسور الدكتور أرنولد توينبى (١) ، فقد علل صدور وعد بلفور بقوله (٢) : « عامل سياسى آخر أظهرته

(١) هو المؤرخ البريطانى المشهور وأستاذ الدراسات الدولية فى جامعة لندن ومدير المعهد العلمى الملكى البريطانى للأبحاث الدولية .

(٢) دراسة فى التاريخ A Study of History

الحرب العالمية الأولى فى الميدان هو التنافس بين المتحاربين على كسب ود اليهودية العالمية ، فإن كسب التأييد اليهودى — بل — وأكثر من ذلك تجنب العداوة اليهودية كان أمراً على جانب عظيم من الأهمية للفريقين ؟ ومع أن تحرر اليهود النفسى فى منفاهم فى الغرب كان قد قطع شوطا بعيدا فى تقدير أصوات اليهود ومنحها وزناً هاماً بل وربما حاسما فى ميزان القوة الدولى المضطرب ، لقد أصبح اليهود الآن قوة يحسب حسابها فى الحياة السياسية القومية لدى دول وسط أوربا وغربها على السواء ، وفى الولايات المتحدة كانت قوتهم لا تزال على مدى أوسع كثيراً ، وقد بلغ نفوذ يهود أمريكا مداه فى أعين المحاربين فى أوربا الذين بدأوا يتحققون أن الكلمة الأخيرة فى النزاع تنطق بها أمريكا ، وأن هذه الكلمة الأمريكية الأخيرة قد تتأثر بصورة ملحوظة بآراء المواطنين من يهود أمريكا » .

ثم يصف السباق بين الطرفين المتحاربين وينتهى إلى القول بأن التصريح كان الورقة الرابحة فى أيدى البريطانيين وحلفائهم .

لقد صدر التصريح نتيجة لجهود طويلة بذلها عدد كبير من زعماء اليهود ، ويأتى فى مقدمة هؤلاء اثنان كان لهما دور خطير أدى إلى إصدار التصريح ثم إلى تحقيق الأمل الكبير لليهود . . والاثنان هما :

١ — هربرت صموئيل الذى عين أول مندوب سام فى فلسطين .

٢ — حاييم وايزمن .

فالأول أصدر كتابه المسمى « ذكرى Memoir » وكتب فيه فصلا كاملا تحت عنوان « مسألة فلسطين ١٩١٤ — ١٩٢٠ » .

والثانى أصدر كتابه المسمى « تجربة وخطأ Trial and Error » وتحدث فيه عن جهوده من أجل تحقيق إقامة الدولة اليهودية .

ومن معالم ما ذكره الأول « هربرت صموئيل » :

١ — « كانت الصهيونية تعمل على نشر الفكرة وإنجاح البداية العملية لعودة اليهود إلى فلسطين ».

٢ — « اتصلت بالدكتور وايزمن الذى أصبح أحد زعماء المنظمة الصهيونية البارزين وحصلت منه على مطبوعاته وقرأتها بعناية ، وكلما ازددت قراءة لها ازددت تأثراً بنفوذها الروحى الذى أنعش بجلاء الحركة الصهيونية » .

٣ — «تحدثت مع مستر إدوارد جراى فى ٩ نوفمبر حول مستقبل فلسطين، وقد ذكرت خلال الحديث أن موضوع مستقبل السيطرة على فلسطين قد يثار ، وأن اختلافات الدول الأوربية الكبرى قد تجعل من الصعب تخصيص فلسطين لواحدة منها . ولعل الفرصة سنحت لتنفيذ أمانى الشعب اليهودى القديمة وإعادة إنشاء دولة يهودية فيها . . إن تأسيس الدولة سيكون له تأثير على الملايين من الشعب اليهودى المشتتين فى عديد من بلاد العالم . . وإن النفوذ الإنجليزى يجب عليه أن يقوم بدور هام فى تأسيس مثل هذه الدولة لأن وضع فلسطين الجغرافى وقربها من مصر يجعل صداقتها لإنجلترا أمراً له أهميته للإمبراطورية البريطانية » .

٤ — « إن ضم فلسطين إلى الإمبراطورية البريطانية مع تشجيع الاستعمار اليهودى والتقدم الثقافى عمليا هو أحسن حل » .

ويقول الدكتور حاييم وايزمن :

١ — « لولا المشورة التى كان يقدمها لنا رجال مثل سير سايكس Sykes ولورد روبرت سيسل فى وقت لم تكن لنا فيه خبرة فى المفاوضات الدبلوماسية الدقيقة لارتكبنا دون شك أخطاء كثيرة .. لقد كان السير «رونالد جراهام» راغبا فى أن يرى شيئا يعمل للشعب اليهودى . . أما « ليوبولد أمرى » فهو

الذى أكد أهمية فلسطين اليهودية فى تنسيق شئون بريطانيا الاستعمارية . . . ولا أستطيع أن أفى خدمات سايكس حقها من القول فهو الذى أرشدنا فى عملنا إلى مداخل ومخارج أبعد مدى فى صبغتها الرسمية » .

٢ — « فى ربيع سنة ١٩١٦ زرت الصهيونى « تانشيستر » ثم ذهبت إلى لندن وتحدثت إلى رئيس الاتحاد الصهيونى الإنجليزى وقررنا أن ننشر كتابا صغيراً عن الصهيونية ، وكانت العقبة التى تقف فى سبيل نشره هى المال . وقد أعطانا البارون إدموند المال « ٢٥٠ جنيها استرلينيا » فعهدنا بإخراج الكتاب إلى « ليون سيمون » ، وظهر الكتاب باسم « الصهيونية والمستقبل اليهودى » وكتبت أنا مقدمته ، ومما يدعو إلى الاستغراب أنه نفد بسرعة . وكان علينا أن نعيد طبعه ، ولم يشتر الكتاب اليهود فحسب ، فقد كان الاهتمام عظيما بالموضوع ، وخاصة بعد التقريظ الذى وضعه اللورد كرومر فى صحيفة اسبكتاتور Spectator »

٣ — « تألفت أول لجنة لنا سنة ١٩١٦ فى يناير « كانون الثانى » وعملت اللجنة بالتشاور التام مع روتشيلد ، وهربرت صموئيل ، ثم تأسست اللجنة الفلسطينية الإنجليزية التى قامت بدور هام فى إيجاد رأى عام يعطف علينا » .

٤ — « إن الصهيونية كانت تمر بسرعة من طور الدعاية الأولية والبحث النظرى إلى الحقائق العملية ، ومنذ سنة ١٩١٦ كان الموضوع بين أخذ ورد فى حكومات أوربا . وقد أعطى مستر « إدوارد جراى » تعليماته إلى سفير بريطانيا فى روسيا لجس النبض « نبض الحكومة الروسية » فى مسألة الاستعمار اليهودى فى فلسطين ، وحوالى شهر يناير سنة ١٩١٧ قدمت مذكرة للسير « ماركس سايكس » أعدتها لجنتنا ، وعقدت معه عدة مؤتمرات ،

وسميت المذكرة « خلاصة برنامج لإعادة الاستعمار اليهودى لفلسطين يتفق وأمانى الحركة الصهيونية » .

٤ — « فى شهر يناير ذهبت بصحبة سير رونالد ولورد روتشيلد لمقابلة بلفور ، وعرضنا عليه بوصفه وزيراً للخارجية أن الوقت قد حان لكى تصدر الحكومة تصريحاً نهائياً بالتأييد والتشجيع ، وقد وعد بلفور أن يفعل هذا ، وطلب إلى أن أقدم له تصريحا نرضى عنه وسيحاول هو أن يقدمه لوزارة الحرب .

«وقد وضع سوكولوف مسودة المشروع وقدمت إلى بلفور فى ١٩١٧/٧/١٨ وفى ٢ نوفمبر ١٩١٧ وبعد إجراء مباحثات نهائية فى وزارة الحرب أصدر بلفور كتابه الشهير ، وبيما كانت الوزارة مجتمعة لتصادق على النص النهائى كنت وقتئذ أنتظر خارج مكاتبها فحضر إلى سايكس قائلا : « إنه غلام يادكتور وايزمن»».

أما مشتملات المذكرة التى قدمها وايزمن إلى سير سايكس فتحتوى على خمس مواد من أهم ما جاء فيها :

١ — يجب الاعتراف رسميا بإسكان اليهود فى فلسطين كأمة يهودية .

٢ — يجب أن يمنح يهود فلسطين كل تسهيل للحصول على الجنسية وشراء الأرض .

٣ — يجب أن تشكل شركة يهودية لاستعمار فلسطين تكون مهمتها :

(ا) تغذية الاستعمار اليهودى بكل وسيلة ممكنة .

(ب) تشجيع الهجرة وتنظيمها .

(حـ) النهوض بفلسطين زراعيا وثقافيا وصناعيا وتجاريا .

(د) تسهيل حيازة أراضى الحكومة وحق بناء الطرق والسكك الحديدية والموانىء .

٤ — يجب أن يمنح يهود البلدان الأخرى كامل الحق فى الهجرة إلى فلسطين .

٥ — يجب إبداء الرأى عند تعيين حاكم وهيئة موظفين لإدارة فلسطين .

* * *

كما سبق أن أعلن الزعيم الصهيونى « إسرائيل زانجويل »(١) بعد مؤتمر بال لعام ١٨٩٧ بمدة قصيرة ادعاءه « بأن فلسطين وطن بلا شعب ، فيجب أن تعطى لشعب بلا وطن ، وأن من واجب اليهود فى المستقبل أن يضيقوا الخناق على سكان فلسطين العرب حتى يضطروهم إلى الخروج منها » .

١٠ — تحقيق الاهداف الصهيونية نتيجة تصريح بلفور :

كان التصريح نقطة تحول هامة فى تاريخ الحركة الصهيونية ، وذلك لأنه جعل اليهود يشعرون بسهولة تحقيق فكرة الوطن القومى ، كما أنه أزال الخلاف فى وجهات النظر حول مكان الدولة اليهودية المنتظرة .

ولقد أخذت المجهودات الصهيونية طابعا عمليا لإقامة الدولة فى فلسطين

---

(١) One of their leaders; Israel Zangwill, stated "Palistine is a country without people . It must be given to people without country .

"It is up to the Zionists , henceforth to make life a burden on Arabs of Palestine and thus compel them to go away " .

وبهذا الأسلوب وغيره استطاعوا أن يصوروا فلسطين لكثير من الشعوب فى إنجلترا وأمريكا وغيرها منذ السنين الأولى التى أعقبت الاحتلال البريطانى بل وقبله بكونها بلادا شبه خالية إلا من قبائل بدوية بدائية

عقب هذا التصريح ، وساعدت بريطانيا اليهود ومهدت أمامهم الطريق وأمدتهم بكل المعاونات والتسهيلات لكى يحققوا أملهم المنشود وهدفهم الكبير .

وبالرغم من التبريرات المتعددة التى قيلت عقب صدور التصريح فإن التصريح يعتبر طعنة وجهتها بريطانيا إلى الوطن العربى الذى كان يأمل فى الحصول على استقلاله كاملا عقب انتصار الحلفاء فى الحرب بمؤازرة العرب .

ونسجل تقريراً للورد اللنبى لوزير الحربية يقول فيه : « لا أملك نفسى عن توجيه عاطر الثناء إلى سمو الأمير فيصل على إخلاصه القلبى وماقدمه الجيش العربى من مساعدة كبيرة للحلفاء فى الحصول على نتائج فاصلة فى الحرب » .

كان زعماء العرب لا يهتمون إلا بمصالحهم الخاصة ومن ثم استطاع خبراء السياسة الإنجليزية أن يعبثوا بهم فأضلوهم وأعطوهم الوعود ومنوهم بالآمال، وعندما أصبح الموقف فى أيديهم غدروا بهم وسلبوهم حياتهم ، بل سلبوهم ما هو أغلى من حياتهم، سلبوهم أرض فلسطين ، وسلبوهم استقلال الوطن العربى بأسره ووقفوا حائلا بين الأمة العربية ونهضتها حتى تظل ضعيفة هزيلة خاضعة للسيطرة المفروضة عليها مقيدة بالسلاسل لا تستطيع الانطلاق ولا السير .

ثانيا ــــ دراسات تحليلية للانتداب

١ ــ الانتداب البريطانى على فلسطين :

فى ١٨ يونيو ١٩١٩ تم التوقيع فى مؤتمر فرساى على ميثاق عصبة الأمم الذى ينص فى المادة الثانية منه على ما عُرف بصك الانتداب الذى قام بصياغته ووضع نصوصه ومواده « بنيامين كوهين » اليهودى الأمريكى بمعاونة « كيرزون » سكرتير وزير الخارجية البريطانى . وجاء فى مقدمة هذا الصك :

« إن دول الحلفاء قد وافقت على وعد بلفور وعلى أن تكون الدولة المنتدبة

مسئولة عن تنفيذه ، اعترافا بالصلة التاريخية التى تربط الشعب اليهودى بفلسطين ». وفى ٢٠ من إبريل عام ١٩٢٠ أقر مؤتمر سان ريمو San Remo[1] وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى على أن تلتزم بريطانيا تنفيذ وعد بلفور ، وكان انتداب بريطانيا بناء على رغبة الصهيونيين . وأذاع ملك بريطانيا رسالة إلى شعب فلسطين فى ٧ يوليو ١٩٢٠ جاء فى مقدمتها : « إن الدول المختلفة التى نالت الفوز الباهر فى هذه الحرب قد أودعت بلادى أمر الانتداب على فلسطين لكى تسهر على صوالحها وتكفل لبلادكم العمران السلمى الذى طالما كنتم تنشدونه » ، وجاء فيها : « ولا يخفى عليكم أن الدول المتحالفة والمشتركة قد قررت أن تتخذ التدابير لتضمن تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين بالتدريج ، وهذه التدابير لن تؤثر قطعيا على حقوق الأهالى الدينية والمدنية ولن تنقص من الرقى لعموم طبقات الشعب الفلسطينى » . وعند عقد معاهدة سيفر Sevres فى ١٠/٨/١٩٢٠ أدخل وعد بلفور ضمن نصوص المعاهدة وعرض على تركيا فقبلته ، ولو أن حكومة الثورة فى تركيا رفضت الاعتراف بهذه المعاهدة بعد قيام الثورة وبعد توقيع معاهدة لوزان .

٢ — الانتفاضة العربية ضد خدعة بريطانيا :

ووقفت الأمة العربية كلها مع أحرار شعب فلسطين ، وتكونت لجان الدفاع عن فلسطين ، وانضم إلى الثوار أعداد ضخمة من

---

(١) عقدت «اتفاقية» سايكس — بيكو » سراً بين إنجلترا وفرنسا عام ١٩١٦ وكانت تنص على أن :

(ا) تستولى فرنسا على سوريا وجنوب الأناضول والموصل .
(ب) تستولى إنجلترا على المناطق الواقعة من الخليج العربى إلى العريش تشمل : العراق ، وشرق الأردن ، وفلسطين .
(جـ) تقام فى الأماكن المقدسة بفلسطين إدارة دولية خاصة .
(د) تستولى روسيا على القسطنطينية والمناطق المحيطة بالبوسفور .

العرب خارج حدود فلسطين . ولما فشلت السلطات فى إيقاف الثورة طالب عشرون نائبا بريطانيا بوجوب العدول عن التجزئة والاستجابة الفورية لطلبات العرب ، وعقد حزب الأغودات اليهودى مؤتمرا فى لندن دعا فيه إلى رفض إنشاء دولة يهودية فى فلسطين ، وضرورة الاتفاق مع العرب . واجتمع عدد من اليهود غير الصهيونيين فى واشنطن ووصفوا التقسيم بأنه حل غير عادل ، وصرحوا بأن فكرة الدولة اليهودية غير عملية ويجب العدول عنها .

وإزاء هذه المواقف كلها خضعت الحكومة البريطانية واستسلمت وأصدرت فى ٩ / ١١ / ١٩٣٩ بيانا أعلنت فيه عدولها عن التقسيم فى ضوء تقرير لجنة « وود هيد » الذى جاء فيه : « إن إعلان سياسة التقسيم قد حول الاضطرابات فى فلسطين إلى ثورة قومية مسلحة ساهم فيها العرب المقيمون فى بعض الأقطار العربية . . إن اقتراح تقسيم البلاد انقلاب خطير لا يجوز أن يجريه الأوصياء من دون موافقة شعب فلسطين الذى هو ليس بالساذج المفتقر إلى الوصى ولا بالعاجز عن اتخاذ قرار سليم بهذا الشأن » .

ويهمنا فى هذا المجال أن نشير إلى ما جاء عن فلسطين فى تقرير اللجنة الأمريكية التى أطلق عليها لجنة « كنج كرين » King—Craner: « لا ينبغى لمؤتمر الصلح أن يتجاهل أن الشعور ضد الصهيونية فى فلسطين وسوريا بالغ أشده ، وليس من السهل الاستخفاف به فإن جميع الموظفين الإنجليز الذين حادثتهم اللجنة يعتقدون أن البرنامج الصهيونى لا يمكن تنفيذه إلا بالقوة المسلحة ، ويجب ألا تقل هذه القوة عن خمسين ألف جندى ، وهذا فى ذاته برهان واضح على ما فى البرنامج الصهيونى من الإجحاف بحقوق غير اليهود . لابد من الجيوش فى بعض الأحيان لتنفيذ القرارات ولكن ليس من المعقول أن تستخدم الجيوش لتنفيذ قرارات جائرة، هذا فضلا عن أن مطالب الصهيونيين

الأساسية فى حقهم على فلسطين مبنية على كونهم احتلوها منذ ألفى سنة وهذه دعوى لا تستوجب الاكتراث والاهتمام . . . وهناك أمر لا يجوز إغفاله إذا كان العالم يريد أن تصير فلسطين هى الأرض المقدسة عند اليهود والمسيحيين والمسلمين على السواء ، يهم أمرها ملايين من المسيحيين والمسلمين فى العالم ولاسيما ما يتعلق من تلك الأحوال بالعقائد الدينية والحقوق . فمسألة فلسطين ومايتفرع منها مسألة دقيقة حرجة ، ومن المستحيل أن يرضى المسلمون والمسيحيون بوضع الأماكن المقدسة تحت رعاية اليهود مهما حسنت مقاصدهم .

« والسبب فى ذلك هو أن الأماكن التى يقدسها المسلمون غير مقدسة عند اليهود بل مكروهة ، ولايستطيع المسيحيون والمسلمون فى هذه الأحوال وضع تلك الأماكن تحت إشراف اليهود .

« ثم هناك أماكن أخرى لها فى نفوس المسلمين مثل هذا الشعور ، ولما كانت هذه الأماكن مقدسة ومحترمة من المسلمين كانت وصايتهم عليها فيما مضى أمراً طبيعياً . فالذين يطلبون صيرورة فلسطين يهودية لم يحسبوا للنتائج حسابها ولا للشعور العدائى ضد الصهيونية فى فلسطين وفى جميع أنحاء العالم التى تعتبر فلسطين أرضاً مقدسة .

« وبناء على ما تقدم تشعر اللجنة مع عطفها على مسألة اليهود أن الواجب يقضى عليها بأن تشير على المؤتمر بألا يؤيد غير برنامج صهيونى معتدل يجب العمل فيه بالتدريج ، وبعبارة أخرى يجب تحديد الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، والعدول بتاتا عن الخطة التى ترمى إلى جعل فلسطين دولة يهودية » .

هذا هو ماجاء فى تقرير اللجنة التى بعث بها الرئيس ولسن بقصد « جمع المعلومات وإسداء النصح لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية وممثليها لكى يتمكنوا من الاطلاع اطلاعاً كافياً على القضايا التى يطلب البت فيها » .

ولكن مع الأسف[1] لم يحدث هذا التقرير أقل تأثير فى مجرى الحوادث حتى أن الرئيس ولسن نفسه والساسة الأمريكيين لم يأبهوا لما جاء فيه بل أخذوا برأى لجنة الشرق الأدنى فى دائرة الاستخبارات الأمريكية[2] الذى رأى دعوة اليهود إلى فلسطين والاعتراف بها كدولة حالما تشكل هذه الدولة .

٣ — المؤامرة الامبريالية الصهيونية فى سطور :

٢ نوفمبر عام ١٩١٧ وعد بلفور ، وموافقة الرئيس ولسن عليه .

١٤ فبراير عام ١٩١٨ موافقة فرنسا على وعد بلفور .

٩ مايو عام ١٩١٨ موافقة إيطاليا على وعد بلفور .

١٨ يونيو عام ١٩١٩ ميثاق عصبة الأمم ، والموافقة على وعد بلفور .

٢٠ أبريل عام ١٩٢٠ معاهدة سان ريمو ووضع فلسطين تحت الانتداب .

١٠ أغسطس عام ١٩٢٠ معاهدة سيفر وإدماج وعد بلفور بها .

٢٤ يوليو عام ١٩٢٢ موافقة عصبة الأمم على صك الانتداب .

٣ ديسمبر عام ١٩٢٤ موافقة أمريكا على صك الانتداب .

---

(١) قضية فلسطين — الدكتور نجيب صدقة — طبعة بيروت عام ١٩٤٩ .

(٢) Intelligence Section.

٤ — نضال الاحرار العرب كرد فعل للمؤامرة الامبريالية الصهيونية :

١ — ٨ مارس عام ١٩٢٠ مؤتمر دمشق — تأكيد قرارات مؤتمر بلودان للجنة كنج كرين سنة ١٩١٩

٢ — ٧ يوليو عام ١٩٣٧ مؤتمر بلودان — مواجهة لجنة « بيل » بمطالب عربية .

٣ — ٨ سبتمبر عام ١٩٣٧ مؤتمر بلودان — إعلان قرارات المؤتمر كاحتجاج على معاهدة سان ريمو .

٥ — الاحداث تسير فى صالح الصهيونية العالمية :

قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ فتجمد نشاط العرب بينما ازداد نشاط اليهود الذين استغلوا نفوذهم الكبير فى بريطانيا وأمريكا ، ودفعوا بالمسئولين إلى تحقيق تهويد فلسطين .

ودخلت أمريكا ميدان المشكلة تحت تأثير النفوذ اليهودى الذى نجح فى إثارة الاهتمام بالقضية ، فصدر فى مايو عام ١٩٤٣ بيان أمريكى يعلن موافقة أمريكا على قيام دولة يهودية فى فلسطين ، ورفضها للكتاب الأبيض الذى صدر عام ١٩٣٩ ، وتصميمها على إطلاق الهجرة اليهودية بدون حدود ، وعلى إنشاء جيش يهودى .

إن هذا البيان يعرف باسم « قرار بلتيمور » .

وفى ٣١ من أغسطس عام ١٩٤٥ بعث الرئيس ترومان رسالة إلى الوزير البريطانى أتلى يؤيد فيها فتح أبواب الهجرة إلى فلسطين لليهود النازحين من ألمانيا والسماح بهجرة ١٠٠ ألف يهودى .

وفى ١٣ نوفمبر عام ١٩٤٥ طلب الوزير البريطانى بيفن إشراك الولايات المتحدة فى حل قضية فلسطين ، فشكلت لجنة من الدولتين لدراسة القضية وقررت هذه اللجنة السماح بهجرة ١٠٠ ألف يهودى فى الحال .

وغضب العرب لهذا القرار وعقدوا مؤتمرا فى بلودان فى ١٢ يونيو عام ١٩٤٦ ، وطالبوا بالدخول فى مفاوضات مع بريطانيا لإنهاء الوضع القائم على أساس ميثاق الأمم المتحدة وحقوق العرب فى البلاد . وتحدد يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٦ موعداً لعقد مؤتمر لندن . . وقرر وزراء الخارجية العرب عدم الاجتماع مع مندوب إسرائيل على مائدة واحدة وعدم قبول أى مشروع يهدف إلى التقسيم وعدم قبول تدخل الولايات المتحدة .

وبالنسبة لأهمية المذكرة التى بعثت بها الحكومات العربية بناء على قرار مجلس جامعة الدول العربية المنعقد فى بلودان فى ١٢ يونية سنة ١٩٤٦ فإننا نلخص فيما يلى ما جاء بهذه المذكرة :

١ — لا مبرر على الإطلاق لتشكيل لجنة إنجليزية أمريكية لدرس قضية فلسطين وخاصة أن القضية درست دراسة وافية من قبل لجان متعددة .

٢ — الحكومات العربية ترى أن بريطانيا بوصفها الدولة المنتدبة على فلسطين هى المسئولة عما يقع من إهدار لحقوق العرب «عرب فلسطين» السياسية والمدنية ، وأنه ليس هناك مسوغ قانونى يبيح تدخل أمريكا للتأثير على الوضع القائم فى فلسطين .

٣ — الانتداب على فلسطين باطل من أساسه ، فإن تصريح بلفور الذى تضمنه صك الانتداب وما نجم عنه من حرمان عرب فلسطين من التمتع بحقوقهم السياسية والمدنية جاء مناقضا للفقرة ٤ من المـــادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم .

٤ — إن الحكومة البريطانية قد فسرت معنى الوطن القومى فى مناسبات مختلفة أهمها الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ والرجوع عن هذا التفسير يعتبر تحديا لحقوق العرب المشروعة .

٥ — واجب على الحكومة البريطانية أن توقف الهجرة فوراً وأن تقصى كل المهاجرين الذين دخلوا البلاد عنوة ، وإلى أن يتم هذا فلا يجوز أن يتمتعوا بالحقوق السياسية التى للرعايا الفلسطينيين .

عقد مؤتمر لندن فى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٦ واستمر حتى ٢ أكتوبر سنة ١٩٤٦ وقدمت بريطانيا مشروع موريسون الذى يرى إنشاء دولة فيدرالية من العرب واليهود تحت إشراف بريطانيا ، ورفض المندوبون العرب هذا المشروع ، وتقدموا بمشروع يقضى بقيام دولة مستقلة وتكوين حكومة انتقالية برئاسة المندوب السامى تتألف من سبعة من العرب وثلاثة من اليهود ، ووقف الهجرة ، واحترام الأماكن المقدسة ، وعقد معاهدة تحالف مع بريطانيا . ورفضت بريطانيا المشروع العربى وأصرت على قبول مشروع موريسون ، ثم عادت وقدمت مشروع بيفن الذى يرى وضع فلسطين تحت وصاية بريطانيا لمدة خمس سنوات تقسم خلالها إلى أقسام إدارية تتمتع بالحكم الذاتى ، ورفض العرب هذا المشروع .

ولم يعد هناك مفر من عرض القضية على هيئة الأمم المتحدة ! !

* * *

هذه قصة الانتداب الإنجليزى على فلسطين ، والآن لنناقش معاً مشروعية هذا الانتداب وقانونيته .

ويفند شرعية الانتداب الأستاذ فتحى عبد المعطى[1] فيقول :

١ — إن قرار الانتداب هذا لم يكن وفقاً لرغبات الشعب العربى ، وهذا يتنافى مع مبادىء عصبة الأمم المتحدة من ناحية . . كما يتعارض مع المبادىء التى أعلنها ولسن . فقد جاء فى الفقرة الثانية من المادة ٢٢ لميثاق عصبة الأمم المتحدة ما يأتى : « إن بعض الشعوب التى كانت خاضعة

(١) المزاعم الصهيونية فى فلسطين — ص ٩٢ — ٩٨ .

للإمبراطورية التركية . . وصلت إلى درجة من التقدم يمكن معها الاعتراف مؤقتا بكيانها كأمم مستقلة خاضعة لقبول النصح والإرشاد والمساعدة من قبل الدولة المنتدبة عليها ، حتى ذلك الوقت الذى تصبح فيه هذه الشعوب قادرة على النهوض وحدها بتبعات الحكم ، ويجب أن يكون لرغبات هذه الشعوب المقام الأول فى اختيار الدولة المنتدبة عليها » .

ومن ناحية أخرى . . فإن الرئيس الأمريكى ولسن أعلن فى خطاب له فى ٤ يوليو سنة ١٩١٩ : « ان حل كل مسألة تتعلق بالأرض أو المسائل الاقتصادية والسياسية . . يجب أن ينبنى على قبول الناس الذين تتعلق بهم قبولا حراً على المصالح المادية ، وليس لفائدة أية دولة أخرى ترغب فى حل آخر خدمة لنفوذها الخارجى أو لسيادتها » .

وعلى ذلك . . . فقد كان من المفروض أن يؤخذ رأى العرب فى المصير الذى يرتضونه لأنفسهم ولأرضهم . . خصوصا بعد أن زالت عنهم السيادة التركية . . ولكن . . هل حدث ذلك ؟

الحقيقة أن العرب فوجئوا بقرار التقسيم ، وحينما جاءت لجنة كنج كرين لتأخذ رأيهم — رغم معارضة إنجلترا وفرنسا — أبدى العرب رأيهم بصراحة ، وأعلنوا أنهم يرفضون كل صورة من صور السيطرة ، ويطالبون بالاستقلال التام ، وأكدوا ذلك مرة أخرى فى القرارات التى أجمع عليها مؤتمر دمشق فى ٨ مارس « آذار » سنة ١٩٢٠ .

وكان من المفروض أن يوضع رأى العرب موضع التنفيذ . . ولكن الذى حدث هو عكس ذلك . . استمرت إنجلترا فى تنفيذ خطة انتدابها .

معنى ذلك أن الانتداب مبنى على غير الأسس التى فرضت له ، وحكم

ما بنى على غير أساس . . الهدم والبطلان ، وما بنى على قرارات تخالف عهد عصبة الأمم . . لا يعتبر ملزم النفاذ .

٢ — إن هذا الانتداب لم يأخذ صفته الرسمية من أول الأمر ، بمعنى أن صكوك الانتداب لم تقم عصبة الأمم بوضعها ، ولكن جماعة من الصهاينة هم الذين وضعوها ، وكان ذلك برئاسة القاضى الأمريكى الصهيونى فيلكس فرانكفورتر ، مع أن هذا مخالف لميثاق عصبة الأمم المتحدة ، ومانصت عليه الفقرة الثامنة من المادة ٢٢ ، وهــذا الوضع لا يعطى لنصوص الانتداب الصفة [illegible]

قد يقول الصهاينة : إن العصبة وافقت عليه فى يوليو سنة ١٩٢٢ لكننا نرد عليهم فنقول لهم : إن هذا لم يحدث فى أول الأمر كما كان مفروضا ، وإن عصبة الأمم فى الحقيقة لم توافق على بنود الانتداب لأنها كانت مقتنعة بها أو بمحض إرادتها ، وإنما لمجرد أنها وجدت نفسها أمام الأمر الواقع ، فكان ذلك تحصيل حاصل . . ومن الثابت كذلك أن كثيراً من الدول عارضت هذا الانتداب ، وأن الولايات المتحدة نفسها لم تعترف بهذا الانتداب إلا بعد إقرار عصبة الأمم المتحدة له بمدة طويلة . حدث ذلك حين تدخل اليهود لدى الكونجرس الأمريكى للموافقة على الانتداب .

وقد ثبت أيضا أن عصبة الأمم المتحدة حين عرضت عليها صكوك الانتداب . . . لم يحاول أعضاؤها مناقشة هذه الصكوك بصورة جدية ، وهذا ما يؤكد عدم اعتبارها صكوكا رسمية ملزمة التنفيذ ، وبالتالى فنحن لا نعترف بهذا الانتداب ، حتى ولو كان قد حدث فعلا . . فإننا نعتبره باطلا وما بنى على الباطل . . فهو باطل .

وحقيقة أخرى . . هى أن الأمين العام لعصبة الأمم المتحدة اعترض على قرار مجلس الحلفاء بالانتداب ، وأنه ذات يوم قدم مذكرة بذلك إلى العصبة يستنكر فيها هذا التصرف ، وكان ذلك فى أواخر يوليو سنة ١٩٢٠ ، كما أن كثيرا من الدول مثل بلجيكا وأمريكا أعلنت ذات يوم أن ما اتخذه مجلس الحلفاء فى اجتماعه لتوزيع الانتداب لا يتفق مع عهد عصبة الأمم المتحدة ، وهذه مخالفة صريحة لمبادىء الهيئة العالمية . فهل يبقى بعد ذلك شك فى عدم شرعية الانتداب ؟ ! !

هذا عن وضع الانتداب من الناحية القانونية . . ولكن هناك نقطة أخرى وهى : هل هذا الانتداب بالصورة التى تم بها والتى نص عليها يعتبر عادلا ؟ ! !

الحقيقة . . لا . . ونستطيع أن ندرك هذا إذا تتبعنا نصوص الانتداب والتى نورد هنا بعضاً منها :

١ — ففى المادة الثانية : « تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد فى أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن اليهودى .. وترقية الحكم الذاتى ، وتكون مسئولة أيضاً عن صيانة الحقوق الدينية والمدنية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس أو الدين » .

٢ — وجاء فى المادة الرابعة : « يعترف بوكالة يهودية كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين ، والتعاون معها فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التى تؤثر فى إنشاء الوطن اليهودى ومصالح السكان اليهود فى فلسطين ، ولتساعد وتشترك فى ترقية البلاد ، على أن يكون ذلك خاضعاً لمراقبة الإدارة ، ويعترف بالجمعية الصهيونية كوكالة ملائمة ، وعلى الجمعية الصهيونية أن تتخذ التدابير بعد استشارة حكومة إنجلترا

للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة فى إنشاء الوطن القومى لليهود » .

٣ — والمادة الخامسة تنص على أن « تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن عدم النزول عن أى جزء من أرض فلسطين إلى حكومة دولة أجنبية ، وعدم تأجيره أو وضعه تحت تصرفها بأية صورة » .

٤ — وفى المادة السادسة : « على إدارة فلسطين مع عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الأهالى الأخرى أن تسهل هجرة اليهود ، وأن تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية . . حشد اليهود فى الأراضى الأميرية والأراضى البور غير المطلوبة للأغراض العمومية » .

٥ — وتنص المادة السابعة على أن « تتولى إدارة فلسطين مسئولية سن قانون الجنسية ، ويجب أن يشتمل ذلك القانون على نصوص تسهل اكتساب الجنسية الفلسطينية لليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً لهم دائماً » .

٦ — وجاء فى المادة الحادية عشرة : « تتخذ إدارة فلسطين كل ما يلزم من تدابير تصون مصلحة الجمهور فيما يتعلق بترقية البلاد وعمرانها ، ويكون لها السلطة التامة فى وضع ما يلزم من الأحكام لتملك أى مورد من موارد البلاد الطبيعية أو الأعمال والمصالح والمنافع العمومية التى فى البلاد أو التى ستؤسس فيما بعد ، والسيطرة عليها بشرط مراعاة الالتزامات التى قبلتها الدولة المنتدبة على نفسها » .

٧ — أما المادة الثانية والعشرون فتنص على أن « تكون الإنجليزية والعربية والعبرية هى اللغات الرسمية لفلسطين ، وكل عبارة أو كتابة بالعربية وردت على طوابع أو عملة تستعمل فى فلسطين يجب أن تكرر بالعبرية ، وكل عبارة أو كتابة بالعبرية يجب أن تكرر بالعربية » .

وإذا أمعنا النظر فى هذه الصكوك أدركنا مدى المؤامرة التى قام بها واضعو الانتداب ، وكيف أنهم قصدوا مصلحة اليهود دون مصلحة العرب .. بل بالعكس . . حاولوا أن يضيعوا حقوق العرب .

ويمكن أن ندلل على ذلك بما يأتى :

١ — كل بنود الانتداب تشير إلى تحقيق المصالح اليهودية الصهيونية مثل : إقامة وطن لليهود ، والاعتراف بوكالة يهودية ، وتشجيع الهجرة اليهودية ، وجعل اللغة العبرية لغة رسمية مثل العربية ، وغير ذلك من المكاسب التى تضمنها صك الانتداب وكلها من الأمور التى ترضى آمال اليهود وتمكنهم من السيطرة على فلسطين . وهذا يتنافى مع الغرض الذى قام من أجله الانتداب .

فقد حددت المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم وظيفة الدولة المنتدبة حيث نصت هذه المادة على أن الدولة المنتدبة مسئولة عن بذل المساعدة والإرشاد للدولة الخاضعة للانتداب حتى تصبح الأخيرة قادرة على النهوض وحدها بمسئوليات حكمها . فهل يعتقد العاقلون أن تلك الأسس التى رسمتها صكوك الانتداب تتفق مع ما نصت عليه المادة ٢٢ ؟

ولعل النتائج التى وضحت آثارها بعد ذلك تبين ما انطوت عليه صكوك الانتداب من أضرار ومشاكل . لقد ترتب على ذلك صراع طويل بين العرب واليهود ، وما صاحب ذلك من حروب ، وتلك الاعتداءات المتكررة على العرب ، وما يسود دول الشرق الأوسط الآن من علاقات سيئة قد تؤدى إلى حرب عالمية .

لقد كان الأجدر بمن وضعوا قوانين الانتداب أن يراعوا العدالة والحق ولكنهم لم يفعلوا .

٢ — الانتداب يحمل بين طيات نصوصه عناصر بطلانه ، فنصوصه مليئة بالتناقضات . . فقد جاء فى ديباجة الصك ما يؤكد الاعتراف بالعلاقة التاريخية والدينية بين الشعب اليهودى وفلسطين ، والأسباب التى تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومى فى تلك البلاد .

وورد أيضاً فى كثير من نصوص الانتداب مايؤكد ذلك ، « كما جاء فى المادة الثانية »، ومع ذلك وجدنا أن نصوص الانتداب تقرر « كما جاء فى المادة الخامسة » عدم التنازل عن أى جزء من أراضى فلسطين ، وكما جاء فى المادة السادسة التى نصت على عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الأهالى غير اليهود أى المسلمين والمسيحيين . . فكيف يتأتى ذلك ؟ كيف تنفذ هذه الصكوك ؟ كيف نحرم تمليك فلسطين للأجانب ؟ وكيف لانفعل مايضر بالشعب العربى ، ثم مع هذا وذاك نقيم وطناً لليهود فى فلسطين ؟ ! ! أليس فى ذلك تعارض وتناقض عجيب ؟ ! ! نفس ماجاء فى كلام بلفور ! !

٣ — نصت صكوك الانتداب « فى المادة الرابعة » على الاعتراف بالوكالة اليهودية والجمعية الصهيونية وبدورهما فى حكم فلسطين ومساهمتهما فى إدارة شئون البلاد ، بل فى إقامة الوطن اليهودى ، فكان ذلك بمثابة حكومة داخل حكومة . . حكومة صهيونية داخل حكومة إنجليزية . . بينما لم تهيىء صكوك الانتداب للعرب مثل هذه الفرصة ، ولم تنص على إقامة هيئة عربية . . بل لعل ذلك كان أولى لأن العرب هم الأكثرية وهم أصحاب حق !!

٤ — حتى « المادة الحادية عشرة » التى نصت على ترقية البلاد وعمرانها لم تكن صريحة ، ولم تحدد بالضبط ما المقصود بذلك ؟ وما مدى هذه الترقية وهذا العمران !!

ومع ذلك .. فهل لنا أن نسأل إنجلترا : هل استطاعت حكومات الانتداب خلال الفترة من سنة ١٩٢٠ — ١٩٤٨ أن تفعل شيئا من أجل فلسطين أو من أجل عرب فلسطين ؟ لا . . ! لقد فعلت الكثير من أجل اليهود ، ولم تخرج من فلسطين إلا وقد مكنتهم منها . ولكنها بالنسبة لفلسطين أخرتها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وليس وجود إسرائيل فى هذه المنطقة إلا دليلا على هذا التأخر .

ونستطيع أن ندلل على سوء الإدارة الإنجليزية فى فلسطين خلال فترة الانتداب بما بذلته بريطانيا من جهود لطرد العرب من ديارهم وإعطائها لليهود .

قد يزعم الصهاينة أنهم أصحاب حق فى فلسطين ، لأنهم — على حد قولهم — اشتروا أرضها ، ودفعوا لها ثمنا من أموالهم الخاصة ، فهم بحكم قانون الملكية أصحاب حق فيها . . !!

وإذا نحن أمعنا النظر فيما يزعمه الصهاينة . . وجدنا أنه بعيد كل البعد عن الحقيقة ، فإن الإحصائيات الرسمية تبين أن اليهود . . رغم كثرة محاولاتهم تملك الأرض فى فلسطين بشتى الطرق القانونية وغير القانونية . . إلا أنهم لم يستطيعوا حتى سنة ١٩٤٨ ، وهو تاريخ إعلان إسرائيل ، امتلاك أكثر من ٧ ٪ من مساحة فلسطين أى حوالى مليونى دونم . وهذه المساحة الضئيلة انتقلت ملكيتها بطرق مختلفة معظمها طرق غير مشروعة يمكن أن نلخصها فيما يأتى :

١ — خلال الحكم العثمانى لفلسطين تمكن اليهود من الاستيلاء على ٦٥٠,٠٠٠ دونم [1] .

---

(١) الدونم = ١٠٠٠ متر مربع .

٢ — قامت حكومة الانتداب الإنجليزية خلال سيطرتها على فلسطين فى الفترة من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٤٨ ببيع كثير من الأراضى الأميرية للوكالة اليهودية بثمن بخس ، وفى الوقت نفسه حرمت الحكومة على العرب شراء الأراضى الفلسطينية ، وكان ذلك إحدى الخطط التى اختطتها حكومة الانتداب لتنفيذ المخطط الصهيونى ، وبلغ جملة ما استولى عليه اليهود بهذه الطريقة حوالى ٢٠٠ر٠٠٠ دونم .

٣ — أن حكومة الانتداب كانت تستولى على كثير من المناطق العربية بحجة أنها مناطق عسكرية محرمة ، وبذلك تصبح هذه المناطق ملكا للدولة ، ثم تقوم الحكومة بعد ذلك بمنحها لليهود . . . ولم تجد حكومة الانتداب من يقف فى وجهها ويمنعها من هذا التصرف . وقد بلغ جملة ما استطاع اليهود الحصول عليه بهذه الطريقة حوالى ٣٠٠ر٠٠٠ دونم .

٤ — بعض هذه الأراضى انتقلت ملكيتها إلى اليهود بطريق الشراء من ملاك ليسوا فلسطينيين من أمثال عائلات : سرسق والتوينى وسلام . . وهؤلاء ممن اضطروا لمغادرة فلسطين نتيجة لتلك الظروف السياسية والاقتصادية المتقلبة التى كانت تسيطر على فلسطين خلال فترة الانتداب . وتدل الإحصائيات على أن مساحة ما استولى عليه اليهود بهذه الطريقة ٦٥٠ر٠٠٠ دونم من الأراضى والتى توجد فى أرض ابن عامر ٤٠٠ر٠٠٠ دونم ، وفى الحولة ١٦٥ر٠٠٠ دونم ، وفى وادى الحراث ٣ر٢٠٠٠ دونم ، والباقى فى مناطق أخرى مثل الناصرة وعكا وبيسان وجنين وطولكرم .

٥ — نسبة ضئيلة جداً لا تتجاوز ٢٥٠ر٠٠٠ دونم تملكها اليهود عن طريق الشراء من العرب ، وهذه حقيقة تكمن وراءها مأساة مما دفع الفلسطينى ألى بيع أرضه ، فإن العربى الفلسطينى لم يكن يبيع أرضه لليهودى لمجرد البيع

أو الربح ، وإنما كانت هناك ظروف أخرى اضطرته إلى هذا التصرف على كره منه منها :

١ — الضرائب الفادحة التي كانت تفرضها حكومة الانتداب على العرب ، وقد كانت من الفداحة بحيث يعجز العربي عن دفعها مما يعرضه للاستدانة أو رهن الأرض أو يضطره إلى ترك أرضه . فإذا ما أراد الاستدانة لم يجد أمامه سوى اليهودى ، ولم يكن الفلاح العربي يجد البنوك العربية التي تقرضه ما يريد ، وكانت البنوك الموجودة كلها بنوكا يهودية أو تخضع للسيطرة اليهودية . وهنا يخطط اليهود خططهم ويرسمونها بإحكام من أجل تحقيق مأربهم ، فنراهم يقرضون الفلاح العربي بالربا الفاحش وبشروط ليس من السهل تحقيقها حتى يوقعوا العرب فى حبائلهم ، وتمضى السنوات والعربي لا يستطيع تسديد ما عليه ، وتتضاعف الأرباح وتتراكم الديون ، وهنا يطارد اليهودى العربي ، ويعجز العربي عن السداد ويضرب اليهودى ضربته التي رسم لها من قبل فينتزع من العربي أرضه تسانده فى ذلك حكومة الانتداب .

وحتى لا يدعى اليهود أننا نتجنى عليهم . . . نسوق هنا بعض ما كتبه الخبراء البريطانيون عن هذه الظروف . ففى تقرير للخبير الإنجليزى سمبسون (١) يقول فيه : « إن الفلاح العربي كان فى حالة يأس شديد ، فقد كان مثقلا بالديون ، فضلا عن أنه كان مكلفا بدفع ضرائب فادحة » .

٢ — القوانين الاستثنائية التي أسرعت الحكومة بإصدارها لطرد العرب ، كما حدث فى مناطق مثل الحولة وغور بيسون وطبيعون وغيرها ، وكان من أعجب تلك القوانين ذلك القانون الذى أصدرته الوكالة

---

(١) كان سمبسون قد زار فلسطين فى منتصف سنة ١٩٣٠ .

اليهودية (١) والذى نص على أن الأرض التى يشتريها اليهود من العرب تصبح ملكا ثابتا لليهود ، ولا يمكن إعادتها للعرب مرة أخرى . وهكذا استطاعت هذه الوكالة أن تساهم مساهمة فعالة فى انتقال ملكية الأراضى من العرب إلى اليهود فحرمت على العربى استرداد أرضه ، وسهلت لليهودى الاستيلاء على الأرض العربية ، وبهذه الطريقة استطاع اليهود الاستيلاء على حوالى ٠٠٠ ر ٣٠٠ دونم من أملاك العرب .

وهنا يحق لنا أن نتساءل : لماذا وافقت حكومة الانتداب الإنجليزية على أن تنتقل ملكية الأرض الفلسطينية من العرب إلى اليهود ، بينما حرمت إنجلترا على السكان الأصليين فى جنوب إفريقيا بيع أراضيهم للأجانب ؟

إن الإجابة الصحيحة عن هذا السؤال توضح مدى التحيز الإنجليزى وتبين مدى دناءة الخطة التى رسمتها الصهيونية بإشراف الإنجليز ، أو رسمها الإنجليز بإشراف الصهاينة . فما لاشك فيه أن هذه التصرفات من أكبر العوامل لانتقال الأرض إلى اليهود ، والدلائل قائمة بأسانيد ثابتة . وفى تقرير الخبير الإنجليزى سمبسون يقول : « إن العرب الذين أكرهوا على بيع أرضهم إنما كان ذلك بسبب السياسة الصهيونية التى سارت عليها حكومة الانتداب » .

وفى تقرير للخبير شو يقول : « ثبت لنا أن معظم الفلاحين العرب كانوا يتمسكون بأرضهم ، وبالرغم من الظروف القاسية التى كانت تحيط بهم ، ومع ذلك فقد كانوا يرفضون التنازل عنها بأى ثمن لليهود » .

وفى الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ والذى عرف بكتاب باسفيلد (٢) ذكر صاحبه صوراً كثيرة من تلك الصور المخزية التى كانت تدور فى فلسطين ،

---

(١) قد نص عليها قانون الانتداب فى المادة الرابعة .

(٢) باسفيلد : هو وزير المستعمرات البريطانية فى ذلك الوقت .

والتى ترمى إلى استيلاء اليهود على أملاك العرب ، وقد نادى باسفيلد فى كتابه هذا بضرورة وقف انتقال أملاك العرب إلى أيدى اليهود وناشد حكومته العمل على بحث الظروف التى تسبب ذلك . . وهنا نجد اليهود يثورون ويرفعون أصواتهم بالاحتجاج ، ثم يتدخلون لدى الحكومة الإنجليزية التى تسارع بسحب الكتاب ، وتتضح معالم الفضيحة ولا يجد باسفيلد بدأ من الاستقالة ، وتستمر السياسة الإنجليزية قائمة فى فلسطين لتنفذ ما رسمته الصهيونية ولينتزع اليهود مزيداً من الأرض العربية لتضاف إلى الأملاك اليهودية ! !

وبهذا استطاع اليهود أن يستولوا من أرض فلسطين على مليونى دونم موزعة فى خمسة عشر قضاء من أقضية فلسطين وتذكر الوكالة اليهودية وفى صفحة ٤٣٥ من إحصاءاتها المطبوعة عام ١٩٤٧ أن ما يملكه اليهود من أراضى فلسطين فى نهاية شهر سبتمبر عام ١٩٤٦ بلغ ١٫٨٠٧٫٠٠٠ دونم أى ما يعادل ٦٫٨٪ من جميع أراضى البلاد .

٦ — **حق تقرير المصير ودفاع أحمد الشقيرى :**

ومهما طال الأمد فإن الحق لابد أن يتكشف والضمائر لابد أن تثوب إلى رشدها وتنهض من سباتها ، ويأخذ الحق مجاله فى زهو وانتصار ، ويزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً .

ويتصدى السيد/أحمد الشقيرى فى أكتوبر عام ١٩٥٩ للممثل الإسرائيلى أمام هيئة الأمم المتحدة ، وإزاء موقف إسرائيل المتعنت من القضية الفلسطينية برمتها بقوله :

« لو أصبح حقاً لكل إنسان أن يتكلم عن حق تقرير المصير فإن على إسرائيل أن تلزم الصمت ، إذ ليس لديها ما تقوله فى هذا الشأن . فالكارثة

التى حلت بالقضية الفلسطينية برمتها هى ثمرة التنكر لحق تقرير المصير . وكان العرب يدافعون عن قضية فلسطين عام ١٩٤٧ على أنها قضية واحدة من قضايا تقرير المصير ، وفى وسع كل واحد منا أن يرجع إلى سجلات الأمم المتحدة ليرى بنفسه حقيقة ما أقوله . . وقد أعلنا أن ليس فى وسعكم تقسيم فلسطين على الرغم من مشيئة أهلها ، إذ أن لهؤلاء الحق فى ممارسة تقرير المصير .

«كان هذا موقفنا . ولكن الصهيونية يؤيدها الاستعمار نجحت فى تنحية حق تقرير المصير جانبا .

« بل إن وجود إسرائيل الآن مدين لعامل واحد ليس إلا ، وهو أن شعب فلسطين لم يتمكن من ممارسة حقه فى تقرير مصيره . ولو طبق هذا الحق فى حينه لما حلت الكارثة كلها ، ولما ظهرت مشكلة اللاجئين ، ولما وجدت إسرائيل .

« وإن وجود إسرائيل اليوم ليس ثمرة تنفيذ حق تقرير المصير ، وإنما هو ثمرة التنكر له ، بالنسبة إلى شعب عميق الجذور فى وطنه، ويرجع فى تاريخه إلى أقدم ما تعيه الذاكرة .

«وتحتل إسرائيل اليوم مقعدها على حطام مبدأ تقرير المصير وعلى أشلائه وبقاياه ، بعد أن حطمتها ، وقذفت بها فى مهب الرياح والأعاصير .

« ولو قدر لهذا الحق أن يحترم لما اقتعدت إسرائيل هنا مقعدها فى الأمم المتحدة ، لتتحدث بمثل هذه الصلافة والعجرفة عن مبادىء حق تقرير المصير ، ولكان هؤلاء السادة الإسرائيليون يجلسون فى مقاعد النظارة والزائرين لا فى مقاعد الأعضاء الممثلين لبلادهم .

«ولكان جديرا بأن يحتل هذا المقعد ممثل عن جميع فلسطين يتحدث باسم جميع أهلها الشرعيين من يهود ومسيحيين ومسلمين على السواء . هذه هى قضية

مبدأ تقرير المصير الذى حطمته إسرائيل، ثم جاءت اليوم تندبه وتبكيه بدموع هى دموع التماسيح .

«أما قصة الحرب الفلسطينية فأمرها طويل ، وأوثر ألا أذكرها. فبالاختصار كانت القوات الصهيونية هى التى شنت حربا إجرامية من الغدر والدمار والحرائق ، وكان تدخلنا وحده هو الذى أنقذ اللاجئين والأماكن المقدسة من مصير محتوم فى فلسطين لا يعلم مداه إلا الله وحده .

« وقالت اللجنة التى أوفدتها بريطانيا وأمريكا سنة ١٩٤٦ للتحقيق : « إن فلسطين ثكنة حربية » . وقالت : « لقد انتعشت من جديد حركة الهجرة غير المشروعة بعد انتهاء الحرب الكونية الثانية » . وقالت : « من الظواهر المشئومة فى السنوات الأخيرة تطور قوات عسكرية غير مشروعة تؤلف القوة الرئيسية فى الجيش الصهيونى فى فلسطين تسمى بالمنظمة العامة بالهاجاناه ، وهى قوة منظمة تمام التنظيم تحت إشراف مركزى موحد ولها قيادات إقليمية فرعية، وكانت تأتى بالسلاح طيلة سنوات طويلة » . ووصف جزء آخر من التقرير الهاجاناه : « بأنها منظمة عسكرية يربو عددها على الستين ألفا وهى حسنة التسلح وجيدة التنظيم ، وتشرف على جهاز إذاعتها السرى الخاص بها » .

« هذه هى الحقائق التى أعلنتها اللجنة بعد تحقيق واف على الطبيعة بأرض فلسطين .

« ويتحدث التقرير عن موضوع الأمن العام فيقول : « جاءت التهديدات المباشرة للأمن العام منذ سنة ١٩٤٦ احتجاجا منهم على سياسة الكتاب الأبيض » .

«وقد قال المستر ونستون تشرشل متحدثا عن الإرهاب الصهيونى مانصه :

« يبدو أن جميع أحلامنا فى الصهيونية ستتبدد مع دخان مسدسات القتلة ،

ومع هذا النتاج الجديد من القتلة ، الذى لا يليق إلا بألمانيا النازية ، ولذا فإن الكثيرين من أمثالى سيجبرون على إعادة النظر فى المواقف التى حافظوا عليها طويلا فى الماضى ومن الواجب تحطيم هؤلاء المسئولين أصلا وفرعا » .

« وها هو ذا الناطق الإسرائيلى يدعو الإجراءات الدفاعية العربية عن وطنهم وأملاكهم وأراضيهم والتى اتخذت عام ١٩٤٨ بالنسبة إلى هذا الأصل وذلك الفرع من الإرهاب الصهيونى عدوانا عربيا ، وليس من العسير على إسرائيل أن تسمى الإجراء الدفاعى بالعمل الهجومى، وليست القضية بالنسبة إلى إسرائيل إلا تغييراً فى بعض الحروف ليصبح الدفاع هجوما . وقد اختارت إسرائيل بنفس الأسلوب ولصالحها اعتبار هجومها الغادر على مصر عام ١٩٥٦ بالعمل الدفاعى البرىء » .

إن إسرائيل فى وضعها الراهن لا يصلح معها إلا حرب تنزعها من أرض فلسطين كما عبر عن ذلك السيد الرئيس جمال عبد الناصر : « ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة » .

ثالثا — دراسة تحليلية للتقسيم

١ — الملابسات حول التقسيم :

قال المسيح : « كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب ، وبيت منقسم على بيت يسقط »[1] ، وتحضرنى قصة القطتين اللتين تنازعتا قطعة جبن فذهبتا إلى القرد ليقسم لهما القطعة ، ففاز القرد بالجبن وتركهما فى تنازعهما تتناحران .

---

(١) لوقا ١١ : ١٧ .

والأحداث تؤكد صدق قول المسيح وصدق رواية تلك القصة . فإن تمرد الشريف حسين وأبنائه على سلطان تركيا أطمع الإمبريالية فى السيطرة على الشرق الأوسط، وإن التدخل الأجنبى فى البلاد العربية أطمع الصهيونية لتحقيق آمالها فى فلسطين .

وإن استجداء فيصل للعرش واستجداء الصهيونية لوطن قومى فى فلسطين مكن الإمبريالية الأنجلو أمريكية من السيطرة على الشرق الأوسط .

حتى قيض الله للأمة العربية محرراً لها من سيطرة الاستعمار وعملائه ، إنه السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، الذى قاد ويقود البلاد إلى الحرية والعزة والسيادة ، وسيتحقق النصر — بتطهير الأراضى العربية من أرجاس الإمبريالية والصهيونية العالمية — على يديه بإذن الله .

أما فلسطين فتشبه تنازع امرأتين على وليد لإحداهما ، وتذهبان لتحتكما إلى سليمان عليه السلام ، فيأمر بشطر الطفل وإعطاء كل منهما نصفه ، وترضى الأم المدعية بشطر الطفل أما الأم الحقيقية فحنت أحشاءها على وليدها ولم تجد بدا من الإبقاء على حياته إلا أن تتنازل عنه . ومن هنا استطاع سليمان بحكمته أن يميز بين الأم الحقيقية والأم المدعية فأمر على الفور بتسليم الوليد حيا إلى أمه التى أشفقت عليه(١) . لقد ادعى الصهاينة بحقهم فى فلسطين ، وتحولت القضية برمتها إلى هيئة الأمم المتحـــدة . وتقترح الهيئة التقسيم ، فيرفض الفلسطينيون سكان البلاد التقسيم بينما يطالب بالتقسيم ويلح عليه الصهيونيون، ويتوضح النزاع بين سكان أصليين وهم العرب لا يريدون التقسيم ، وأشتات اليهود الذين ينشطون فى كل الدوائر السياسية لإقرار التقسيم ، وأنى للعالم سليمان الحكيم لإقرار الحق وإقرار السلام ؟ ؟

---

(١) ١مل ٣ : ١٦ — ٢٦ .

٢ — مجلس الأمن وقضية فلسطين :

يقول الدكتور يحيى عويس : « إننا نعلم أننا نعيش فى مجتمع دولى طبقى تتميز فيه دول عن أخرى رغم المساواة النظرية بينها فى السيادة والحقوق ، وفى هذا المجتمع الطبقى تستأثر الأقلية القوية بالنفوذ ، تماما كما تستأثر الأقليـة الرأسمالية فى المجتمعات اللاديمقراطية بنفوذ الحـكم والسيطرة . . . إن هذا المجتمع هو الذى يسمى بالدول الـكبرى — وهى الدول التى كانت مسئولة أولا وآخراً عن مصـير فلسطين — وهى الدول التى منها استخدم « حق الفيتو » لا ليقر الحق ، ولا ليقف محايداً ، بل استخدم هذا النفوذ للتمادى فى التأثير على الدول الصغرى وإرغامها على تأييد قرار تشتيت عرب فلسطين وتفتيت أراضيهم ونهب أموالهم »(١) .

٣ - المناورات السياسية فى نيويورك وواشنطن :

ويقول كرمت روزفلت(٢): «لقد أرغمت « تلك الدول » على تأييد قرار التقسيم ، ولم يحفل الصهيونيون وأعوانهم فى الحـكومة الأمريـكية بتلك الاعتبارات الأخلاقية ، والمثل العادلة التى كان يجب مراعاتها كحق تقرير المصير ، ولم يهمهم الظلم الذى يلحق ببلد نتيجة تقسيمه متجاهلين رغبة الغالبية العظمى من سكانه ، ولم يهم هؤلاء أن تـكون لتلك الدول « التى سلط عليها الضغط » مصالح يجب مراعاتها . فبعض تلك الدول تضم جماعات وأقليات لـكل منها أثر فى الحياة السياسية فى أمريكا .

« فيوجد فى ليبريا، والصين، والفليبين جماعات كبيرة من المسلمين، ولـكل من الحبشة واليونان مصلحة حيوية فى الإبقاء على حسن الجوار مع جيرانهما من الدول

---

(١) إسرائيل والدول الـكبرى ص ٢١ — ٢٤ ، ص ١٢٦ — ١٣٢ .

(٢) Middle East Journal — January 1948 .

الإسلامية ، ولقد كانت كلها دولا صغيرة أو ضعيفة ، فلماذا أجبرت على أن تعطى أصواتها لتأييد قرار التقسيم . قرار يهم فئة خاصة تسيطر على السياسة الداخلية لدولة كبرى كالولايات المتحدة ؟ » .

لقد تدفقت على وفود تلك الدول « الصغيرة » وحكوماتها البرقيات والمكالمات التليفونية والخطابات والتهديدات ، ومعظمها كان من أعضاء الكونجرس ، والكثير منها يتحايل باسم حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وباسم هيبتها . . لقد قام أحد الديمقراطيين المعروفين — وكان على صلة وثيقة بالبيت الأبيض — بمهمة مخاطبة حكومة هايتى تليفونيا ، وكان يتكلم بلهجة يفهم منها نفوذه وسلطته .

كما قام أحد الاقتصاديين المعروفين بصلته الوثيقة بالبيت الأبيض وعلاقاته كمحور اتصال مع الصهيونيين باستخدام نفوذه لإقناع وفد ليبريا . . وكانت النتيجة أن هذه الدولة وسابقتها « هايتى » أيدتا قرار التقسيم ، ولاشك أنه كان من الصعب على وفود الدول الصغرى الموجودة أن تقدر الأمور حق قدرها وتحكم بميزان العدل والحق والمصلحة العليا لبلادها ، وما حدث فى هيئة الأمم كان تكراراً لما حدث فى الولايات المتحدة الأمريكية من استخدام الصهيونية نفس الأساليب التى نجحت بها ، ونفس التأييد أعطته الولايات المتحدة لمساعدة الصهيونيين فى الوصول إلى هدفهم .

النقد اللاذع من روسيا وانجلترا :

وقد نشرت جريدة « نيويورك بوست »(١) تعليقاً على سياسة أمريكا :

---

(١) العدد الصادر فى ٣٠/١١/١٩٤٧ .

« عمل الأمريكيون — من الرئيس ترومان إلى بقية المرءوسين — على الضغط فى شتى النواحى لنجاح قرار التقسيم . وقد صدرت الأوامر إلى أوستن للقيام بحملة واسعة بمساعدة هرشل جونسون ، وجنرال هليدرنج ، وبالتدريج تحقق للأمريكيين ما أرادوا ، ولو أن « جروميكو » مندوب روسيا عاق على ذلك تعليقاً لاذعا بقوله : « إن الاتحاد السوفيتى كان مؤيداً للتقسيم من أول الأمر ، ولم يكن فى حاجة إلى التلاعب للحصول على الأصوات المؤيدة » .

وحتى جريدة « المانشستر جارديان »(١) التى عرفت بموالاتها الدائمة للصهيونية ونقدها التهجمى للقضية العربية ، حتى تلك الجريدة لم يستطع معلقها أن يخفى الحقيقة إذ كتب : « . . . والجنرال رومولو مندوب الفليبين ، هو واحد فقط من فريق الساخطين ، فقد ألقى خطاباً حماسياً معادياً لقرار التقسيم ، وسافر عائداً إلى بلاده مزهوا بانتصاره ، فإذا به يسمع وهو فى عرض البحر أن حكومة بلاده قد أبرقت إلى مساعده فى هيئة الأمم ليطرح المبادىء والمثل جانبا ويقترع مع الجانب الآخر » .

٤ — ترومان . . . الصهيونية . . . التقسيم :

يقرر الفريدليلينتال(٢) : « ما إن تسلم ترومان الرئاسة بعد وفاة روزفلت ، حتى تبدلت الحالة بالنسبة للصهيونية ، فقد كان خليفة روزفلت الجديد حليفا عميلا للصهيونية بحكم علاقته السابقة بعدد من اليهود ، حتى أنه اصطدم ذات يوم بالمستر بيفن وزير خارجية بريطانيا من أجل الصهيونية ، كما أنه أرغم وزارة الخارجية الأمريكية على أن تماشيه فى سياسته الودية للصهيونية .

«وقد اعتمدت المنظمات الصهيونية كثيرا على المكتب التنفيذى للبيت

---

(١) العدد الصادر فى ٢|١٢|١٩٤٧ .

(٢) أمريكى الجنسية يهودى المعتقد شغل وظيفة ديبلوماسية كبيرة فى الشرق الأوسط عدة سنين ثم عمل مستشارا للوفد الأمريكى فى مؤتمر سان فرانسيسكو لهيئة الأمم « ثمن إسرائيل » .

الأبيض ، والذى يرجع إليه الفضل الأكبر فى توجيه اهتمام ترومان الدائم نحو الصهيونية .

« وحدث حين انتهت مدة رئاسة ترومان عام ١٩٥٢ ، أن نشرت بعض الصحف الأمريكية تعليقا على الدور الذى لعبه دافيد نايلز ، أحد مستشارى الرئيس الأمريكى ، فوصفته بأنه كان العامل الأول فى حمل ترومان على خلق دولة إسرائيل وإنعاشها ، أما الفضل فى تعيين نايلز فى البيت الأبيض فيرجع إلى هارى هوبكنز ، وقد أخذ نايلز يترقى بعد ذلك فى منصبه ، حتى أصبح فى عهد ترومان عضواً فى الهيئة المختارة لمستشارى الرئيس السريين ، وأطلقوا عليه عندئذ لقب « رجل ترومان الغامض » .

« أما الدور الحقيقى الذى لعبه نايلز فى القضية الفلسطينية فقد ظل مجهولا من الرأى العام الأمريكى حتى اليوم .

« ففى عهد الرئيس روزفلت كلف نايلز بمعالجة بعض القضايا المتعلقة بالأقليات ، وعندما أثقل كاهل الرئيس بالمسئوليات الجسام ، أضيفت إلى عمل نايلز الرئيسى قضايا أخرى .

« وهكذا أخذ يتدرج حتى تولى أرفع المناصب فى البيت الأبيض ، وسمى فيما بعد السفير اليهودى الأول فى البيت الأبيض .

« وعندما تولى ترومان الرئاسة ، كانت قضية فلسطين قد احتلت مكان الصدارة ، وكان نايلز يوليها كل اهتمامه ، فتضافرت جهود آدى جاكيسون ، وترومان ، ونايلز من أجل إقامة دولة إسرائيل ، والثابت أن نايلز ، كان محور الحركة ، فقد كان قبل مجىء ترومان إلى البيت الأبيض يبذل المساعى لخلق الدولة اليهودية » .

ويستنبط الدكتور يحيى عويس[1] من هذه التيارات السياسية فيقول : «وهكذا بفضل السياسة المادية الماكيافيلية التى تجلت فى نيويورك بأجلى مظاهرها، وافقت الجمعية العامة فى ٢٩/١١/١٩٤٧ على قرار تقسيم فلسطين بثلاثة وثلاثين صوتا مقابل ثلاثة عشر صوتا معارضاً ، وبامتناع عشر دول عن التصويت . ولم يكن أمام الدول العربية بعد هذا الامتهان لكرامة دولة شقيقة إلا أن ينسحب ممثلوها من قاعة الاجتماع ناقمين على سياسة الضغط، وعلى انتهاج بعض الدول سياسة تبعد كل البعد عن المثل والقيم التى يجب أن تكون أساسا للمعاملات الدولية . لقد كان موقف ممثلى بعض الدول بعد تغيير سياسات حكوماتهم وتألبهم ضد القضية العربية محرجا إلى درجة بلغت حدود الخجل والخزى ، وبلغ من شدة حرج مندوب هايتى أنه وزع خطابات على ممثلى الدول العربية يعتذر فيها عن تغيير موقفه، بعد أن كان متحمسا للقضية العربية ، ويقول إن حكومته قد أرغمت وفدها على الاقتراع فى صالح الصهيونية . . ولكن هذا الاعتذار لم يفد العرب فى شىء » .

وإذ يثبت لنا أن مصالح الأقلية الموالية للصهيونية فى الولايات المتحدة كانت سببا فى كل تلك المناورات التى انتهت بفوز قرار التقسيم فى هيئة الأمم، فإن المرء ليتساءل عن الدوافع أو المصالح القومية التى دفعت الدول الأخرى إلى تأييد ذلك القرار ؟

١ — لماذا اتخذت فرنسا مثلا هذا المسلك المضاد لمصالح الأمة العربية وهى الدولة التى لها مصالح عديدة فى أقاليم عربية ، ويهمها أن تساهم فى تأييد أمانى العرب ومساندة قضيتهم ، إذا هى أرادت أن تبقى على العلاقات الطيبة معهم ؟

---

(١) إسرائيل والدول الكبرى .

إن فرنسا كدولة كبرى مسئولة إلى حـــد كبير عن مصير العلاقات السياسية فى العالم ، لم تأبه بمصالح الأمة العربية ، وإنما كانت تنظر إلى مصالحها الذاتية ، فهى تدعى غضبتها من جامعة الدول العربية لتدخلها فى شئون شمال إفريقيا العربى ، وتتخذ من ذلك ذريعة للتنكيل بالدول العربية .

ثم إن فرنسا كانت تأمل من السير فى ركاب السياسة الأمريكية أن يأتى اليوم الذى فيه تخدم الولايات المتحدة الأمريكية مصالح فرنسا بتأييدها استعمار فرنسا لشمال إفريقيا .

وهذا هو ما حدث فعلا خلال السنين الأخيرة فى هيئة الأمم المتحدة . وإن صح مايقال من جانب بعض الكتاب من أن فرنسا كانت تريد التنكيل ببريطانيا والانتقام منها لأنها كانت مسئولة عن إنهاء الحكم الفرنسى فى سوريا ولبنان ، فما ذنب الأمة العربية ؟ وما ذنب فلسطين العربية لكى يهدر كيانها بسبب تنازع النفوذ بين دولتين كبريين ؟

٢ — وما الذى حدا بالصين الوطنية — وهى أيضا دولة كبرى من الناحية النظرية وإن لم تكن كذلك من الناحية العملية — إلى أن تخذل القضية العربية وهى الدولة التى حاربت سنين متواصلة متوالية ضد العدوان اليابانى وضد الاستعمار الغربى ؟ أيكون السبب ذلك القرض المالى الذى كان شيانج كاى شيك ينتظر استجداءه من الولايات المتحدة ؟ أم لأن مصير الصين الوطنية وكيانها مازالا رهناً بإشارة الولايات المتحدة الأمريكية ؟ ومن ثم كان على سياسة الصين الوطنية أن تخضع لإملاء البيت الأبيض .

٣ — وماذا كان وراء السياسة الروسية فى تأييد قرار التقسيم ؟ كيف حدث هذا التوافق التام بين المصالح الروسية والمصالح الأمريكية ؟ إن روسيا

قد فشلت فى سياسة الضغط الذى سلطه الكرملين على كل من تركيا واليونان فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . وربما كان تأييد روسيا لتقسيم فلسطين يستهدف فتح باب آخر لتدخل الاتحاد السوفيتى فى شئون الشرق الأوسط . ولعل روسيا كانت تعلم أن تقسيم فلسطين سوف يؤدى إلى سلسلة من الاضطرابات وعدم الاستقرار فى الشرق الأوسط ، وبذا يوجد الجو الذى تستغله لخدمة مصالحها وإلحاق الضرر بمصالح الدول الغربية . وربما كانت سياسة روسيا فى تأييد التقسيم مبنية على أملها فى الاستفادة من الصهيونيين فى المستقبل ، أو لاتخاذ الدولة الصهيونية نواة للتسلل الشيوعى فى الشرق الأوسط ، أو للتأكد من القضاء على النفوذ البريطانى فى فلسطين . . . أو غير ذلك من المصالح الذاتية التى ليست إلا نتيجة للصراع بين الشيوعية الروسية والرأسمالية الغربية ، وهو صراع مهما تكن حقيقته فليس لعرب فلسطين ذنب فى أن يكونوا ضحيته .

وقد تكون هناك دوافع أخرى وراء تأييد الاتحاد السوفيتى لقرار التقسيم . لقد كان من الشائع فى أوساط هيئة الأمم المتحدة أن تنفيذ ذلك القرار سيتطلب إرسال قوة عسكرية بموافقة الأمم المتحدة إلى فلسطين للإشراف على تنفيذ التقسيم وضمان التزام العرب بنصوصه ، أى للقضاء بالقوة الجبرية على كل مقاومة عربية للأهداف الصهيونية . كان هذا هو الشائع — وقد حققته الأحداث فى الأشهر التالية فى مجلس الأمن — وكانت روسيا تأمل فى أن يكون لها نصيب فى الإشراف على تنفيذ قرار التقسيم بإرسال قوات عسكرية أو بعثات مدنية روسية إلى فلسطين . . وربما كان تأييد روسيا لقرار التقسيم محاولة منها لإقرار هذا المبدأ باعتبار أنه ضمان لحقوق الأقلية حتى يتاح لها تطبيقه فى أقاليم تهمها مثل أذربيجان وكردستان .

وكل تلك الاحتمالات كما نرى لاتكشف إلا عن مصالح ذاتية لدولة من الدول الكبرى ، أو عن تضارب المصالح بين تلك الدول ، ولم يكن لفلسطين العربية ثمة ذنب في أن تذهب ضحية تلك الاتجاهات المادية والأنانية فى السياسة الدولية .

وما يقال عن الدول الكبرى من عدم ارتباط مصالحها العليا والقومية ارتباطا مباشرا بالأهداف الصهيونية ، يقال أيضا عن الدول الصغرى التى أيدت قرار التقسيم ، فتلك الدول لم تكن على دراية بحقيقة الموقف فى فلسطين، ولم يكن ثمة مصلحة فى تأييد جانب الصهيونية ، وإنما كانت مخدوعة بالدعاية الصهيونية ، أو كانت حكوماتها خاضعة للضغط الصهيونى من الداخل أو الخارج ، أو كانت خاضعة للإملاء المباشر من البيت الأبيض ، وحتى إذا قلنا إن مثل هذا الضغط وهذا الإملاء لم يكن السبب الرئيسى فى تألب تلك الدول على الأمة العربية ، وإذا افترضنا انتفاء المصلحة الذاتية ، وقلنا إن تلك الدول أيدت قرار التقسيم بدافع المنطق والاقتناع بوجاهة الأهداف الصهيونية، فمن العبث أن يقال إن الرأى العام الدولى كان يناصر فكرة تقسيم فلسطين ، فإن ثلاثة أرباع الجنس البشرى كانوا إما خارج عضوية الأمم المتحدة ، أو مناهضين لقرار التقسيم ، والدول الثلاث والثلاثون التى أيدت ذلك القرار والتى لا تمثل فى مجموع سكانها إلا ربع سكان العالم ، كانت دولا بعيدة من الناحية الجغرافية عن فلسطين ، ولا دراية لأغلبها بحقيقة القضية . . ولكن السياسة المادية للدول الكبرى شاءت أن تجعل من تلك الدول الصغرى أمثال هايتى وليبريا ولكسمبرج وأيسلندة وبلجيكا وهولندة مجرد أعداد تتجمع فى جانب واحد ، فيقال إن الغالبية من الأمم المتحدة اتخذت ذلك القرار — قرار إهدار كيان فلسطين العربية .

وفيما يلي نتيجة التقسيم :

١ — الدول التي وافقت على قرار التقسيم وهي :

الولايات المتحدة الأمريكية	روسيا البيضاء	روسيا	فرنسا
كندا	أستراليا	جنوب إفريقيا	نيوزيلندة
أيسلندة	تشيكوسلوفاكيا	البرازيل	بلجيكا
بوليفيا	الدومينكان	كوستاريكا	النرويج
الدانيمرك	أكوادور	السويد	لكسمبرج
هولندة	جواتيمالا	هايتي	نيكاراجوا
باراجواي	أراجواي	بناما	بيرو
بولندة	أوكرانيا	فنزويلا	الفليبين
ليبريا			

٢ — الدول التي عارضت قرار التقسيم وهي :

مصر	سوريا	لبنان	اليمن
العراق	باكستان	أفغانستان	الهند
إيران	تركيا	اليونان	كوبا
المملكة العربية السعودية			

وكلها دول آسيوية ذات صلة وثيقة بفلسطين بالإضافة إلى مصر وهي في التقاء إفريقيا بآسيا شمال شرق إفريقيا وهذه الصلة الوثيقة تعزز قرار المعارضة .

٣ — الدول التي امتنعت عن التصويت :

إنجلترا	الأرجنتين	الصين	الحبشة
كولومبيا	سلفادور	هندوراس	المكسيك
يوغوسلافيا	شيلي		

٥ — دراسة تحليلية للموقف :

وإذا حللنا الموقف . . وجدنا أن الأعضاء الذين وافقوا على التقسيم من الدول الاستعمارية ، أو من التي تسير فى فلكها طواعية أو كراهية ، وكلهم جميعاً يحاولون تحقيق آمال اليهود وبالتالى هدم الكيان العربى واغتصاب حقوقه . وتعرض البيت الأبيض وهيئة الأمم المتحدة للضغط الصهيونى حتى أن الرئيس الأمريكى ترومان صرح بقوله : « فى الحقيقة أن الضغط الذى وقع على الأمم المتحدة فى ذلك الوقت لم يكن له نظير أبداً . لقد تعرض البيت الأبيض فى الوقت نفسه لضغط لم يتعرض له فى أى وقت آخر . وكم ضايقنى كثيرا ، وأزعجنى حقا كثرة إلحاح الزعماء الصهيونيين الذين كانت تحركهم دوافع سياسية مصحوبة بالتهديدات حتى أن بعضهم كان يطالبنا بالضغط على دول أخرى ذات سيادة للحصول على الأصوات المطلوبة فى الجمعية العامة للأمم المتحدة » .

ولقد استيقظ ضمير الولايات المتحدة الأمريكية فقدم مندوبها فى ١٩ مارس عام ١٩٤٨ مذكرة أعلن فيها سحب حكومته لقرار التقسيم لاقتناعها بعدم إمكان تنفيذه ، وطالب المندوب الأمريكى بوضع فلسطين تحت الوصاية وإعادة النظر فى القضية مرة أخرى .

ومما لاشك فيه أن القرار الذى صدر تحت هذه الظروف وبتلك الصورة غير الطبيعية لا يمكن أن يعتبر صحيحا . فمن الضرورى للعدالة أن تجد المتنفس الذى تبدو فيه الحقائق .

فلكل قضية ظروفها وحقائقها ومعالمها ، ومن واجب القضاة أن يكتشفوا الحقيقة حتى تكون الأمور جلية واضحة ، وعملية التهديد ووسائل الضغط تبعد

الحق عن أعين القضاة ، وتغيير الواقع إلى غير الواقع ، وبالتالى تكون النتيجة فى جانب الباطل . وهذا أمر لا يمكن قبوله شكلا ولا موضوعا .

إن قرار التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحدة . . لو قدر له أن يعاد بحثه مرة أخرى لكان مصيره الإلغاء . . يؤكد ذلك أن بلجيكا وكندا وهما من الدول التى وافقت على قرار التقسيم فى جلسة ٢٩/ ١١ / ١٩٤٧ أحستا بخطئهما فاقترحتا إعادة النظر فى مشروع قرار التقسيم .

فإذا حذفنا الدول الثلاث وهى : كندا وبلجيكا والولايات المتحدة الأمريكية من الدول التى وافقت على التقسيم ، وضح لنا مقدار الذبذبة التى كانت ستحدث بالنسبة للقرار ، ومما لا ريب فيه أن الدول الأخرى الباقية وعددها ٢٩ دولة لا بد أن بعضها أحس بالجريمة ، ولو أن الموضوع أعيد بحثه لكانت النتيجة عكس ماحدث . . نعم لكانت النتيجة رفض المشروع ، وبالتالى لما استطاع اليهود أن يتمكنوا من فلسطين .

إلا أن انجلترا عز عليها أن تفلت الفرصة من يدها ، لذلك رأيناها تسرع بلا سابق إنذار وتعلن انسحابها من فلسطين ، ثم رأيناها تسلم لليهود المواقع الهامة . . . لماذا ؟

ليصبح الخيال حقيقة ، ولتكون الأمم المتحدة أمام الأمر الواقع ، وتؤكد لأعضائها أن ما لا يمكن تنفيذه قد نفذ فعلا ، وكأن إنجلترا تقول لهيئة الأمم المتحدة : إذا كنتم ترغبون فى إعادة بحث الموضوع لأن قرار التقسيم لا يمكن تنفيذه فها نحن أولاء ننفذه ، وهاهم اليهود يستولون على جزء من فلسطين ، فلا حاجة لكم فيما تعتزمونه .

٦ — اساليب الضغط الصهيونى :

يقول الفريد ليلينتال: « فى إبان الصراع الحاسم وعندما كانت النتيجة غير مضمونة لمشروع التقسيم ، وقف عضو الكونجرس الأمريكى عمانوئيل سيلر يهاجم بشدة وفد الولايات المتحدة الأمريكية الدائم فى هيئة الأمم المتحدة لأن وزارة الخارجية تولت وحدها اختيار أعضاء الوفد .

« وكانت حجة سيلر الصهيونى تنحصر فى أن الوفد الأمريكى لم يسع كما لم تسع وزارة الخارجية للضغط أو التأثير على أى عضو من مندوبى هيئة الأمم المتحدة !

« وبينما كان الشيخ وارن أوستن رئيس وفد الولايات المتحدة لهيئة الأمم يعبر عن ارتياحه لأنه مكن اليهود الأمريكيين غير الصهيونيين من عرض وجهة نظرهم على أعضاء الوفود الأجنبية ، عن طريق حكومات تلك الوفود ، فى هذه الأثناء كان دعاة الصهيونية يتقدمون بجرأة من مفوضيات عدة دول أجنبية للحصول على تأييدها مستخدمين شتى وسائل الإغراء ! وكان فى طليعة هؤلاء الصهيونيين الذين لعبوا دورهم الكبير القاضى جوزيف بروسكاوير رئيس اللجنة الأمريكية اليهودية ، والاقتصادى روبرت ناثان ، ودافيد نايلز مستشار البيت الأبيض لشئون الأقليات .

« فقد اتصل هؤلاء الثلاثة بالحكومات الأجنبية وبممثليها بوصفهم « مجرد مواطنين أمريكيين » وكانوا رجالاً أذكياء يعرفون الوصول إلى أهدافهم . . فقد استطاع روبرت ناثان بوسائله الخاصة أن يضعف مقاومة ليبريا ، ويجعلها توافق على قرار التقسيم بعد أن عارضه مندوبها فى اجتماعات اللجنة الخاصة . كما أن هؤلاء اليهود الثلاثة وغيرهم من رجال البيت الأبيض المسئولين أخذوا

يلوحون لعدد من مندوبي جنوبي أمريكا بأن تأييدهم لقرار التقسيم سيساعد كثيراً على تحقيق مشروع الطريق الأمريكي بين الجمهوريات الشمالية والجنوبية . . . من الاعتمادات الأمريكية الضخمة .

« حتى اليانور روزفلت بذلت الجهود الجبارة ، واستعانت بأصدقائها ونفوذها للضغط على عددمن مندوبي الدول الأجنبية ، كما كانت تلح باستمرار على خليفة زوجها هاري ترومان لكي يضغط على موظفي وزارة الخارجية الذين كانوا يحصرون نشاطهم في مناقشات سلمية مع ممثلي الدول الأخرى .

«وعندما كان مصير قرار التقسيم مازال سراً غامضاً قام برنارد باروخ بمساع خاصة مع فرنسا ، المستفيدة من مساعدات مشروع مارشال، كما اتصلت عدة شخصيات أمريكية بمندوبين آخرين أمثال مندوبي هايتي والحبشة والفليبين والباراجواي واللوكسمبرج وضغطت عليهم لتأييد قرار التقسيم . وكانت جميع وسائل الضغط والإغراء التي استخدمت تعتمد على موارد الولايات المتحدة الأمريكية ونفوذها الواسع» .

وقد فضح الصحفي « درو بيرسون » وهو صديق قديم للصهيونية المخابرة الهاتفية التي جرت بين أدولف بيرل المستشار الرسمي لحكومة هايتي وبين رئيس جمهوريتها ، والتي أسفرت عن تأييد هايتي لقرار التقسيم .

وكذلك تحدث عن الاتصالات التي جرت بين هارفي فيرستون صاحب مزارع المطاط الشاسعة في ليبريا وبين حكومة ليبريا ، والتي انتهت بأن وقفت ليبريا إلى جانب التقسيم .

وفي أثناء مأدبة غداء أقيمت في اليوم الأول من ديسمبر سنة ١٩٤٧ قال روبرت لوفيت سكرتير وزارة الخارجية بصراحة : « إنني ماتعرضت في حياتي

لمثل الضغط والإغراء اللذين تعرضت لهما خلال الأيام الثلاثة التى سبقت طرح قرار التقسيم على الجمعية العمومية » .

وأضاف لوفيت يقول : « إن حميا النشاط اليهودى قد بلغت أقصاها حتى طغت على المطالب الإيجابية العادلة . . » .

ولقد كان فى مقدمة الذين اتصلوا بلوفيت وضغطوا عليه : هربرت بايارد سواب ، وروبرت ناثان ، واستناداً لأقوال لوفيت نفسة ثبت أن شركة فايرستون للمطاط استغلت نفوذها فى ليبريا للضغط مباشرة على حكومتها لقبول التقسيم .

أما المهزلة الكبرى فهى التى مثلت لكسب الفليبين إلى جانب التقسيم ، فقد غادر الجنرال رومولو الولايات المتحدة الأمريكية ، بعد أن أعلن معارضته الشديدة لقرار التقسيم ، وبعد سفره مباشرة اتصل سفير الفليبين برئيس الجمهورية روكساس هاتفيا ، وأنبأه بالضغط الشديد الذى تعرض له رومولو وأعضاء الوفد ، ثم أبدى وجهة نظره ، وهى تقضى بضرورة تأييد قرار التقسيم ، لاسيما أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ووفدها فى هيئة الأمم مصممان على إقرار المشروع ، وأبلغ السفير الفليبينى رئيسه أن مصلحة الفليبين هى فى تأييد الولايات المتحدة الأمريكية فى موقفها . . وكان أن وافق رئيس جمهورية الفليبين على وجهة نظر السفير .

وفى هذه الأثناء تلقى الرئيس روكساس أيضا برقية موقعة من سبع وعشرين شخصية أمريكية من أنصار الصهيونية فى مقدمتهم عضو الكونجرس الأمريكى روبرت واكز ، وفيها يطلبون بإلحاح تأييد مشروع التقسيم ، ويذكرون المسئولين فى الفليبين بالفوائد التى ستجنيها الجزيرة من جراء هذا الموقف .

وهذه البرقية نفسها كانت قد أرسلت إلى اثنى عشر مندوباً من مندوبى الدول فى هيئة الأمم المتحدة ، وكان من نتيجتها أن أربعة منهم انقلبوا إلى تأييد المشروع بعد أن كانوا معارضين له . كما تحول سبعة مندوبين من المعارضة إلى الامتناع عن التصويت .

وكانت اليونان الدولة الوحيدة التى احتفظت بموقفها المعارض على الرغم من الإغراء والضغط اللذين تعرض لهما وفدها فى أورقة هيئة الأمم المتحدة .

وعندما انتهى الاقتراع على المشروع وقف ظفر الله خان يعلق على النتيجة:

« لقد سعينا إلى إحقاق الحق الذى استوحيناه من الله . . ونجحنا فى إقناع عدد من مندوبى الدول ليروا الحق كما لمسناه .. ولكن مساعينا ضاعت فى التيار الجارف . . نحن لانحقد على زملائنا المندوبين الذين أكرهوا تحت الضغط والإغراء الشديدين أن يبدلوا موقفهم ويقترعوا على مشروع لاتقره العدالة ولا الإنصاف » .

وما إن مضت بضعة أشهر على تلك النتيجة حتى اعترف دين روسك رئيس مؤسسة روكفلر أمام جميع ممثلى المنظمات الوطنية الأمريكية بالفضيحة التالية :

« إن الولايات المتحدة الأمريكية لم تقم بأى ضغط مباشر مع مندوبى هيئة الأمم ، ولكن عدداً من كبار الشخصيات الأمريكية المسئولة أساء استخدام مراكزه الحكومية ونفوذه ، للضغط والتأثير على بعض مندوبى الدول . . . » .

وأضاف روسك : « إنه فى سبيل إقرار التقسيم ذهب هذا الفريق من المسئولين الأمريكيين يوهم بعض مندوبى الدول بأن مشروع التقسيم إنما هو مشروع أمريكى ! ! » .

ولقد لعب العامل الديني دورا هاما فى قرار التقسيم وإقراره وخاصة لدى الطائفة الإنجيلية المستمدة تعاليمها من التوراة،وكان هذا العامل من جملة العوامل التى حملت إيرل بلفور والجنرال سمطس على تأييد إقامة وطن يهودى فى الأراضى المقدسة . فقد كان للعبارة التالية الواردة فى صك الانتداب البريطانى على فلسطين : « العلاقة التاريخية للشعب اليهودى بفلسطين » أثرها الكبير فى معركة التقسيم ونجاحها . ففى الخطاب الذى ألقاه الحاخام سيلفر أمام اللجنة الخاصة شدد على هذه العبارة : « العلاقة التاريخية للشعب اليهودى بفلسطين » واستند إليها فى مطالبته بإنشاء الوطن القومى .

٧ — لماذا ائتلف الاتحاد السوفيتى مع الولايات المتحدة الأمريكية على مشروع التقسيم :

كان مشروع تقسيم فلسطين القضية الأولى والوحيدة التى جمعت بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى فى صف واحد وجعلت بينهما نوعا من الانسجام منذ أنشئت هيئة الأمم المتحدة .

وقد صرح مندوب فنزويلا السنيور زولو أنما بكل بساطة : « إن هذا التفاهم فى السياسية الروسية الأمريكية على قضية فلسطين هو أعظم حدث تاريخى هام فى حياة هيئة الأمم ، ويجدر بنا الاعتراف أن الحكومة الأمريكية برهنت فى وقوفها مع روسيا فى صف واحد على جهلها بالأساليب السوفيتية » .

كانت العناصر المسيطرة على الاتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت ترى فى إسرائيل وسيلة للتخلص من يهود الكتلة الشرقية فيما أعتقد ، بالإضافة إلى تأثير الدعاية الصهيونية واستغلالها لموقف ألمانيا النازية من اليهودية .

ويصرح الكوماندور ا . ه . هتشيسون[1] بقوله :

يعتبر الاتحاد السوفيتى من أشد الدول اهتماما بمراقبة ما يدور فى الشرق

(١) الهدنة الدامية ص ١٢٠ — ١٢٤ .

الأوسط من أحداث ، وقد ظل السوفيت أعواما يسعون إلى مركز للنفوذ فى العالم العربى دون نجاح كبير . . ثم وقع الاختيار أخيراً على المشكلة الفلسطينية كوسيلة لتحقيق هذا الغرض ، وكان السبب الأكبر هو معاملة «الطفل المدلل» التى يغمر بها الغرب إسرائيل ، وقد قام السوفيت بعرض شحنات من الأسلحة بأسعار مخفضة ، وقبلت مصر العرض ، مدفوعة إلى ذلك باستعراض العضلات الذى تقوم به إسرائيل على طول الحدود . . وارتفعت مكانة عبد الناصر إلى عنان السماء وحتى الدول العربية الموالية للغرب وافقت على أن هذه الخطوة كانت خير ما يتخذ فى مثل هذه الظروف .

والواقع أن دخول الشيوعيين إلى العالم العربى لم يكن مهمة سهلة ، ذلك لأن الاتحاد السوفيتى لم يفز منذ البداية بمركز طيب فى الشرق الأوسط عندما أصبح الدولة الثانية التى اعترفت بدولة إسرائيل الجديدة ، وكان العرب يدركون أيضا أن إسرائيل كسبت حربها فى سنة ١٩٤٨ ليس فقط بتأييد الغرب ولكن كذلك بمساعدات قيمة من الأسلحة تلقتها فى الوقت المناسب من الدول الواقعة وراء الستار الحديدى ، وفى مقدمتها تشيكوسلوفاكيا .

ولكن الشيوعيين لم يتهاونوا فى بذل الجهود لكسب صداقة الشعوب العربية ، وتهيأت لهم الفرصة آخر الأمر نتيجة للكراهية المتبادلة بين الدول العربية وإسرائيل ، وهى الكراهية التى زادها حدة خوف العرب من نوايا إسرائيل العدوانية.

ومهما يكن من أمر التقدم الذى أحرزه الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط،فإن الزعماء الدينيين يؤكدون أن المنهج الشيوعى السوفيتى لا يمكن أبداًأن يتلاءم مع التعاليم الإسلامية ، وهم يتخذون موقفا حازما ضد انتشار الشيوعية .

ويشيرون إلى حقيقة واقعة هى إسرائيل،إذ هى الدولة الوحيدة بين الدول

المشتركة فى المشكلة الفلسطينية التى تسمح بقيام حزب شيوعى بين أحزابها السياسية .

وجدير بالذكر أن حزبين إسرائيليين آخرين بالإضافة إلى الحزب الشيوعى الإسرائيلى يعترفان بأنهما مواليان للسوفيت ، وقد أدت الانتخابات التى أجريت فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٥ إلى فوز الشيوعيين والموالين للسوفيت بخمسة وعشرين مقعداً فى الكنيست .

فإذا أضفنا إلى ذلك الأربعين مقعداً التى فاز بها حزب ما باى الاشتراكى فإن المجموع يصبح خمسة وستين مقعدا يشغلها الأعضاء اليساريون ، أى أكثر من نصف مجموع أعضاء الكنيست الذين يبلغون ١٢٠ عضوا . وقد أسفرت الانتخابات عن التقسيم التالى :

	مقعداً
حزب ماباى « اشتراكى »	٤٠
« الصهيونيين العموميين « رجال الأعمال »	١٣
« حيروت « جناح يمينى متطرف »	١٥
« مزراحى « جماعة دينية متطرفة »	١١
« آحدوت آفودا « يسارى موال للسوفيت »	١٠
« مابام « يسارى متطرف وموال للسوفيت »	٩
« أغودات إسرائيل « جماعة دينية معتدلة »	٦
« الشيوعيين	٦
« التقدميين « غير اشتراكى »	٥
« ماباى العربى	٥
	١٢٠

وقد ازداد حزب حيروت والأحزاب الثلاثة الموالية للسوفيت قوة نتيجة للانتخابات ، بينما قل نفوذ حزب الماباى والصهيونيين العموميين .

وكانت وزارة بن جوريون تضم أعضاء من أحزاب الماباى ، ومزراحى والتقدميين والمابام وأحدوت آفودا واثنين من الشيوعيين .

ويقرر الكوماندور ا . ه . هتشيسون أنه استند فى الخصائص والاتجاهات التى نسبها إلى الأحزاب السياسية سالفة الذكر إلى معرفته الشخصية بالموقف السياسى فى إسرائيل ، وإلى المرجع الأول الذى استند إليه فى المناهج السياسية التى أعلنتها الأحزاب نفسها فى كتاب « دولة إسرائيل . . حقائق وأرقام » لعام ١٩٥٣ وقد سبق بيان عن هذه الأحزاب فى الباب الثانى .

٨ — النضال العربى على المستوى الدولى ازاء التقسيم :

حاول ممثلو الدول العربية جهدهم لإقناع بقية الوفود بوجهة النظر العربية ، بيد أنه كان إقناعا يستند إلى الحق والعدل والأسس الأخلاقية ، وهى كلها دوافع لا مكان لها فى سياسة القوة ، وإزاء سياسة الرئيس ترومان التى كانت إنجلترا تقف أمامها مكتوفة الأيدى .

« إنى برىء من دم هذا البار . أبصروا أنتم »(١) . عبارة قالها بيلاطس الوالى الرومانى لليهود ، لكن هذه العبارة لم تنقذ المسيح من إصرار اليهود على قتله ، وحسبما جاء بالأناجيل أنهم صلبوه وتحملوا وزر عملهم : « وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا » (٢) .

وتسير بريطانيا على سياسة بيلاطس، فيحاول مندوبها « كريتسن جونز » أن يحذر اللجنة السياسية التى كانت تناقش موضوع التقسيم من عواقب الانحراف تجاه تأييد التقسيم ، فقال إن حكومته لن تتحمل مسئولية

---

(١) متى ٢٧ : ٢٤ .

(٢) متى ٢٧ : ٢٥ .

إقرار التقسيم ضد رغبة العرب ، كما هاجم تواطؤ بعض الدول مع الصهيونية وتزويدها الإرهابيين بالسفن والمعدات الحربية والأسلحة الحديثة والذخيرة والأموال لتحريضهم على الهجرة غير المشروعة إلى فلسطين .

وكان رد مندوب الولايات المتحدة هرشل جونسون Herschel Johnson يحمل معنى ظاهراً ، إذ أصر على أن تكون بريطانيا مسئولة عن تهيئة الفرصة « قبل الميعاد المقرر لإنهاء الانتداب » لليهود ، حتى تكون المناطق المخصصة لهم معدة ومهيأة ومنظمة من الناحية الإدارية ، حتى يتسنى لهم استلامها من بريطانيا دون إثارة اضطراب أو خلل إدارى ، فكأن جونسون كان يتكلم عن التقسيم كقضية مسلم بها .

٩ — المعوقات للنضال العربى على المستوى الدولى :

إن الأدلة كثيرة على أن الضغط الصهيونى لعب دورا هاما فى التأثير على سياسة الولايات المتحدة فى القضية الفلسطينية وجعلها تتخذ طريقا مضاداً لمصلحتها العليا ، وبالتالى جرت معها حكومات أخرى كانت إما مترددة أو معارضة للتقسيم .

ومن الكتاب والمؤرخين من يؤكد أن الرئيس ترومان نفسه قام بدور هام فى تلك السياسة الموالية للصهيونية (١) ، ومن الثابت أيضا أن اللجنة المركزية للحزب الديمقراطى أشارت على الرئيس ترومان فى تلك الفترة بأن الاكتتابات المالية للحملة الانتخابية القادمة تتوقف على تأييده للصهيونيين (٢) .

وتم تأييد ترومان لاقتراح التقسيم رغم اعتراض المختصين من مستشارى وزارتى الخارجية والدفاع ، وبقى أمام الرئيس أن يتحدى هؤلاء المستشارين

(١) Daniels ; The Man of Independence, P. 317.

(٢) Mills; The Forrestal Dairies P. 304.

ويسعى للحصول على تأييد الدول الأخرى لأهداف الصهيونية ، فإن تلك الأخيرة كانت تعلق آمالا كباراً على نفوذ الولايات المتحدة وضغطها على الدول الصغيرة وبعض الدول الكبيرة . وفى وصف المستر سمنر ولز(١) لتلك الفترة من تاريخ السياسة الأمريكية ما يؤيد أن الصهيونيين تكاتفوا مع بعض المسئولين فى البيت الأبيض ، وبمساعدة فريق من أعضاء الكونجرس للقيام بحركة استغلت فيها كل وسائل الضغط للتأثير على الوفود الأخرى فى هيئة الأمم وإرغامها على تأييد اقتراح التقسيم .

١٠ — الصهيونية . . برنادوت . . جونار يارنج :

نشرت جريدة هاآرتس الإسرائيلية مقالا بقلم كاتبين إسرائيليين يعرضان فيه لحقيقة مصرع برنادوت ، إذ رأت عصابة « ليمى »(٢) فى وساطة برنادوت عقبة تهدد الكيان الإسرائيلى الجديد . فبالرغم من أن تقريره الذى انتهى إليه كان فى إطار الاعتراف بالوجود الإسرائيلى ، فإنه كان يفترض تعديلات لهذا الوجود . كان يقترح ضم النقب إلى العرب ، وكان يرى ضرورة أن تظل القدس عربية ، وكان يرى تدويل مطار اللد وميناء حيفا ، وكان يرى ضرورة أن يعود ٣٠٠٫٠٠٠ لاجىء إلى فلسطين إلى أراضيهم المغتصبة . وثارت ثائرة العصابة الصهيونية وقررت إزاحة برنادوت من الطريق . على أن اعترافهم الصريح بهذه الجريمة إنما يقدم للعالم دليلا ماديا جديدا على مدى احتقارهم للوساطة الدولية ، واستخفافهم بالرأى العام العالمى ، وإصرارهم على تنفيذ مخططاتهم بحد السلاح وبمختلف وسائل التآمر والإجرام ، وليس موقفهم الراهن الممتلىء تعاليا وصلفا من جونار يارنج مبعوث الأمم المتحدة الجديد ، إلا امتداداً لمسلكهم الإجرامى القديم من سلفه الأسبق الكونت برنادوت .

---

(١) Sumner wells ; We meed not fail, P. 63.

(٢) كانت تسمى نفسها بالمناضلين من أجل حرية إسرائيل .

١١ — الصهيونية والدعاية فى هيئة الامم :

دأب الصهيو نيون على إثارة الحملات ضد مصلحة العرب داخل هيئـــة الأمم وخارجها . فالعراقيل توضع أمام الوفود ، ولا تقوم السكرتارية بنشر خطبهم على حقيقتها ، ولا تيسر لهم استخدام أدوات الدعاية بنفس القــدر الذى تيسره للوفود المؤيدة للصهيونية . والصحافة الأمريكية زاخرة بالدعاية للصهيونية يوماً بعد يوم ، ومحطات الإذاعة والتليفزيون تحت تصرف دعاة الصهيونية . والصحف تضلل الرأى العام الأمريكى ، وتشوه له الحقائق ولاتشير بمجرد إشارة إلى وجهة النظر العربية . ورغم تلك الدعايات المغرضة والمضللة فإن مندوبى العرب شرحوا قضيتهم من جميع نواحيها ، وأعطوا تاريخا مفصلا لفلسطين العربية ، وبينوا وجهة العدالة فى مطالبة العــرب بحقوقهم ، واستندوا إلى ميثاق الأمم المتحدة الذى يحتم إعطاء أهل فلسطين الشرعيين حقهم فى تقرير مصيرهم ولــكن دون جدوى !!

١٢ — مندوبو العرب لم يكونوا على المستوى الدولى فى المفاوضات :

وفى ٩ من أكتوبر عام ١٩٤٧ أعلنت الحــكومة البريطانية عزمها على تصفية الانتداب خلال الأشهر المقبلة ، فيسرى صدى ذلك فى «قرارات هامة» للجامعة العربية وتعلن أن « قرارات بلودان » السرية الخطيرة ستنفذ إذا ما أخل بحقوق العرب فى فلسطين ، وأنه يتحتم على الدول العربية أن تتخــذ الاستعدادات الحربية والاحتياطات اللازمة على حدود فلسطين حتى تمد يد المساعدة إلى سكانها العرب ،وتعلن توجيهات ونداءات الجامعة لمد يد المساعدة المــادية والمعنوية لعرب فلسطين . . إلى غير ذلك من القرارات التى وإن لم تــكن جدية وإيجابية وعملية فى إمكان تنفيذها على أى الحالات فإنها كانت تلزم الحــكومات العربية قانونيا ومعنويا ! كما أنها أعطت لمؤيدى التقسيم فرصة

للتفكير فى خطورة تأييدهم لمثل ذلك الاقتراح . ومن هنا يبدو الدهاء الصهيونى والانتهازية الصهيونية لتتخذ من التهديدات العربية خطة إيجابية لفرض الدولة بالقوة وهم يملكونها ، وخططوا لها منذ سنوات طويلة خلت ، فسارع الصهيونيون إلى إرسال مذكرة إلى الأمين العام للهيئة — عن طريق عملائهم فى نيويورك — يشيرون إلى أن الدول العربية « لن تستطيع خوض معركة مسلحة فى فلسطين إلا إذا حصلت على الأسلحة من الدول الكبرى . وأن لدى منظمة الهاجاناه وحدها قوة تعادل ٧٠ ألفا ، كافية للوقوف فى وجه أى اعتداء ولتدمير كل قوة مهاجمة ، والدفاع عن فلسطين لمدة عام كامل » . وكان الغرض من تلك المذكرة إقناع المترددين من أعضاء الأمم المتحدة بأن الصهيونية لن تخشى تهديدات الحكومات العربية ، وأن العصابات الصهيونية سوف تحقق تهويد فلسطين رغم أنف الدول العربية ودول العالم أجمع ، وأن قرار التقسيم إذا صدر من هيئة الأمم سيكون له أثره فى إلزام العرب بتنفيذ نصوصه والاستسلام لمطالب اليهود .

ويبدو أن تلك المناورة كان لها أثرها على بعض الوفود ، فبدأ العرب يفقدون بعض المؤيدين لوجهة نظرهم ، وبدأت بوادر انهزام القضية العربية تلوح فى الأفق ، خصوصا أن الاتحاد السوفيتى — ومن ورائه الدول الضالعة معه — أعلن تأييده لاقتراح التقسيم .

ومرة أخرى حاول ممثلو الدول العربية إنقاذ الموقف ، فاقترحوا نظام وصاية مؤقت فى فلسطين ،واقترحوا نظاما فيدراليا ، واقترحوا عرض المشكلة على محكمة العدل الدولية ، وتوسلوا بالمنطق واستشهدوا بأسس العدالة

والمثل الأخلاقية وحقوق الشعوب فى تقرير المصير وكأن لم تكن هناك أذن تسمع ! !

وبينما كانت وفود الدول العربية تستند إلى وعود حكومة الولايات المتحدة الأمريكية باتخاذها موقفاً محايداً وعدم تأثيرها على وفود الدول الأخرى (١) ، كانت المؤامرات تدبر سراً وعلانية للحصول على الأغلبية الكافية لإقرار اقتراح التقسيم . فقام الرئيس ترومان — تحت ضغط بعض مستشارى حزبه — ببذل الجهود لضمان تأييد قرار التقسيم من جانب الدول التى تخضع لنفوذ الولايات المتحدة أو مشورتها ! وكلف الرئيس الأمريكى قاضيين معروفين من قضاة المحكمة العليا لبذل الجهود لتحقيق ذلك الغرض (٢). ولم يكن هذا الضغط السياسى بخاف على الكثيرين ، وكان الرئيس ترومان يقوم بتنظيمه ضد رغبة الإخصائيين فى وزارة الخارجية الأمريكية ، ورغم نصيحتهم له بخطورة تلك السياسة ، كما شهد بذلك المستر سمنر ولز ، وكما شهد المسئولون البريطانيون . وهكذا تحولت هيئة الأمم المتحدة بفعل الضغط الذى سلطه ترومان على أعضائها ، تحولت من ذلك المنبر العالمى الحر الذى تسوى فيه المشاكل الدولية ، إلى ميدان للسياسة المادية وسياسة الضغط وإقرار الباطل وامتهان كرامة الدول وحقوق شعوبها . هكذا كان يسلط الضغط السياسى فى عاصمة الولايات المتحدة الزعيمة الكبرى للعالم الحر .

١٣ — مولد دولة :

ما إن أعلن قرار التقسيم يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ حتى تحولت الأرض المقدسة إلى ساحة حرب سفكت فيها الدماء ، وسادها الرعب والاضطرابات ،

---

(١) كما صرح بذلك نورى السعيد فى ذلك الوقت اعتماداً على ما وصفه من اتصالات دارت بين الوفود العربية والمسئولين من الأمريكيين .

The Forrestal Dairies : P.P. 309-323, 344-358

(٢) مضابط مجلس العموم .

وقتل ١٧٠٠ نفس فى المائة يوم الأولى التى تلت ذلك القرار المشئوم.

وبينما كانت الفوضى تعم الأرض المقدسة، والاضطرابات تزداد يوما بعد يوم تنذر بهبوب العاصفة ظلت هيئة الأمم صامتة ساكنة وأخذ دعاة التقسيم ينادون بضرورة التدخل المسلح لوقف هذا الصراع العنيف، إن لم يكن عن طريق هيئة الأمم فبواسطة الولايات المتحدة وحدها. وكان فى طليعة المتحمسين لهذا التدخل المسلح السيدة اليانور روزفلت، وسمنر ولز، والسناتور هربرت ليهمان، وألبرت توماس، والسناتور تافت. وهذا الأخير اقترح إنشاء جيش خاص لفلسطين.

وعندما انعقد مجلس الأمن فى ليك سكس لبحث القضية توجه مندوب أمريكا وارن أوستن إلى واشنطن، حيث تداول الموضوع مع وزير الخارجية مارشال، ثم عاد إلى ليك سكس وأبلغ أعضاء مجلس الأمن بوجهة نظر الحكومة الأمريكية، التى تعترف بأن ليس من صلاحية المجلس فرض التقسيم بقوة السلاح وفقاً لميثاق الهيئة، وأنه لا يمكنه التدخل إلا فى حالة تهديد السلم العالمى.

وهكذا وقفت الولايات المتحدة فى وجه التدخل المسلح لفرض التقسيم، وأصرت وزارة الخارجية على تجنب سفك دماء الفريقين بفلسطين وتعريض القوات الأمريكية لمواقف حرجة.

ويبدو أن ترومان نفسه كان متردداً فى إرسال قوات أمريكية إلى فلسطين وكان حريصا كل الحرص على عدم تدخل هيئة الأمم المتحدة، لأن تدخلها يعنى إشراك قوات روسية فى التدخل المسلح .. وهذا ما تعارضه أشد المعارضة وزارة الحربية الأمريكية ومجلس الدفاع الوطنى، حتى لا يفتح باب الشرق الأوسط أمام القوات الروسية، فتدخله تحت ستار هيئة الأمم. وعلى ضوء هذه

الحقائق أخذت السياسة الأمريكية بأهون الشرين ، وراحت تجاهد فى أن تجد تدابير مؤقتة لحل القضية الفلسطينية ضمن الحدود القانونية .

وهكذا انقسمت الكلمة بين الدول الخمس الكبرى .

بريطانيا التزمت جانب الحياد . .

وروسيا السوفيتية ارتاحت لما حدث فى فلسطين لأنها كانت ترغب فى تفاقم الحالة كيما يتسنى لها التدخل .

وفرنسا كانت تسعى لإيجاد نوع من المصالحة بين الفريقين المتنازعين .

أما الصين ، فقد طالبت بتدخل سريع ومعاملة اليهود والعرب معاملة متساوية .

وكانت الولايات المتحدة وروسيا السوفيتية الدولتين الوحيدتين الراغبتين فى التثبت من الحالة فى فلسطين ، وفيما إذا كانت تهدد السلم العالمى .

وفى التاسع عشر من شهر مارس ١٩٤٨ ، دعا مندوب أمريكا وارن أوستن مجلس الأمن لوقف جميع التدابير المتخذة بشأن تنفيذ قرار التقسيم والسعى لإقرار هدنة فى فلسطين ، ثم دعوة الجمعية العمومية لجلسة خاصة ، للموافقة على إقرار نظام جديد للوصاية على فلسطين بإشراف هيئة الأمم نفسها .

الباب الرابع

ظلال.. جوهر.. قرارات

ظـــلال

١ — الاضطهادات . . . الهجرات . . . المأوى :

حاول وليم توك — السكرتير الأول لمنظمة اللاجئين الدولية — أن يوضح للأمريكيين الهائجين أن فلسطين لا يمكن اعتبارها ملجأ أمينا « للمشردين الذين لا مأوى لهم » كما أن صحيفة « نيويورك تايمز » ذكرت فى عددها الصادر فى ٥ مايو ، إحصائيات موثوقة تفيد أن غالبية يهود أوربا المشردين ، كانت قد أعلنت فى عام ١٩٤٧ عن رغبتها فى الذهاب إلى فلسطين ، ولكن ثمانين فى المائة من هؤلاء اليهود يريدون الاستيطان فى الولايات المتحدة ، « وأنهم لا يرغبون مطلقا فى الذهاب إلى الأرض المقدسة . . » ، ولكن هذه الأصوات المخلصة ضاعت أيضا فى ضجيج الدعاية الصهيونية .

وإسرائيل اليوم امتداد لإسرائيل الأمس حينما قال لهم بيلاطس : « فماذا أفعل بيسوع الذى يُدعى المسيح ؟ قال له الجميع : ليصلب . فقال الوالى : وأى شر عمل . فكانوا يزدادون صراخا قائلين : ليصلب . فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا : إنى برىء من دم هذا البار أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا »(١) .

ويقرر لوقا طغيان الباطل على الحق وإرادة إسرائيل وإصرارها على صلب الحق فى شخص المسيح ، فيقول فى إنجيله : « فناداهم بيلاطس وهو يريد أن يطلق يسوع ، فصرخوا قائلين : اصلبه اصلبه . فقال لهم ثالثة : فأى شر عمل هذا ؟ إنى لم أجد فيه علة للموت . فأنا أؤدبه وأطلقه . فكانوا يلجون بأصوات

(١) متى ٢٧ : ٢٢ — ٢٥ .

عظيمة طالبين أن يصلب ، فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة ، فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم »(١) .

ففى القديم تآمروا على خاتم أنبيائهم ورسول السلام والمحبة وأصروا على قتله وصلبه ، وتم لهم ما أرادوا .

واليوم تآمروا على شعب فلسطين وقويت أصواتهم على صوت الحق ، وعندما عين الجنرال جون هيلدرنج ، مستشارا خاصا لشئون فلسطين فى وزارة الخارجية الأمريكية ساد الاعتقاد بأن الولايات المتحدة أدخلت تبديلا جديدا على سياستها ، فإن الجنرال هيلدرنج كان قد صرح أمام المجلس اليهودى الحيزى ، قبل يومين من تعيينه فى منصبه الجديد « بأنه يؤيد التقسيم » .

بالإضافة إلى هذا التغيير فقد أعلن وايزمن قبل أيام معدودة من جلاء القوات البريطانية وانتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين مانصه :

« لقد تمكنت من توطيد علاقاتنا بأصدقائنا فى واشنطن وتأكدت أنه سيتم الاعتراف بالدولة اليهودية فى اللحظة التى يعلن فيها عن إنشائها . . » .

وفى ١٣ مايو كتب وايزمن رسالة خاصة إلى ترومان يطالب فيها : « أن تعترف الولايات المتحدة حالا بالحكومة المؤقتة للدولة اليهودية الجديدة . . » .

وحتى تلك الساعة كانت الجمعية العمومية لم تبطل بعد قرار التقسيم الصادر فى نوفمبر ١٩٤٧ ، كما أنها لم تكرر تأييدها له ، بل ظلت تتلهى بمعالجة القضية الطارئة ، وهى كيفية إنقاذ الأرواح فى فلسطين .

وفى هذه الأثناء وتحت حافزين: حافز عربى أصيل فى إنقاذ فلسطين وحافز بريطانى خسيس فى قيادة الجيوش العربية وتحركاتها بالقدر الذى يحقق للاستعمار أهدافه فى خلق إسرائيل ـ فى هذه الأثناء كانت الجيوش العربية

(١) لوقا ٢٣ : ٢٠ — ٢٤ .

تهدد بالزحف إلى الأرض المقدسة ، وكانت الخطة الإمبريالية الصهيونية تنتهز هذا الزحف لتحقق ضربة قاصمة تعطى لإسرائيل حقوق الغزاة الذين استولوا على البلاد بالانتصار فى المعارك الحربية .

وكانت حكومة الولايات المتحدة ماتزال — ظاهريا — تعرض مشروع « هدنة وإقامة نظام للوصاية » ، وهى السياسة التى أملتها الهيئات العسكرية العليـا .

وفى صباح ١٤ مايو ١٩٤٨ ، تمكن كلارك كليفورد مستشار الرئيس الأمريكى الخاص — والذى كان على اتصال مستمر بزعماء الحزب الديمقراطى وقادة الصهيونية — من إقناع رئيسه ترومان بوجوب القيام بعمل فورى لإنقاذ الحزب الديمقراطى من هزيمة محققة فى الانتخابات المقبلة ، لاسيما أن قادة الحملات الانتخابية فى الحزب أبلغوه أن « مشروع الوصاية » الذى عرضته حكومة واشنطن سوف يؤدى بترومان وحزبه إلى فشل ذريع ، وأن هنالك ثورة داخلية فى الحزب ضده .

وإزاء هذه التطورات السريعة ، رأى كليفورد أن من الضرورى كسب الأصوات اليهودية مهما كلف الأمر .

وهكذا اختلى ترومان طيلة يوم ١٤ مايو بمستشاريه المقربين وبحث معهم الموقف بصورة جدية ، كما اجتمع بفرانك جولدمان رئيس مؤسسة « بناى بريث »[(١)] الصهيونية التى ينتمى إليها صديق ترومان الحميم وشريكه اليهودى القديم « ادى جاكبسون » كما أن عضو الكونجرس « سول بلوم » أبرق إلى ترومان يقول :

---

(١) راجع كتاب « إسرائيل والتلمود » عن المنظمات الصهيونية ، المؤلف .

« إن على الولايات المتحدة أن تعترف بالدولة اليهودية الجديدة ، وبذلك تساعد على منع نفوذ السوفيت من التغلغل إلى فلسطين والشرق الأوسط »(١).

وطيلة ذلك اليوم ظل البيت الأبيض معتصما بالصمت المطبق ، وحوالى الساعة الحادية عشرة والنصف من قبل ظهر ذلك اليوم استدعى البيت الأبيض الياهو أبشتاين (وكان فى ذلك الوقت يمثل الوكالة اليهودية بواشنطن ، وهو الذى سمى فيما بعد الياهو إيلات وأصبح السفير الأول لإسرائيل فى الولايات المتحدة) ، وأبلغه أن حكومة الولايات المتحدة قررت أن تعترف اعترافا واقعيا بدولة إسرائيل فور إعلانها ، شرط أن توجه الدولة الجديدة كتابا تطلب فيه الاعتراف بها . . .

وأجاب أبشتاين بأن الدولة الجديدة لا يسعها إرسال مثل هذا الكتاب قبل مولدها (أى قبل الساعة السادسة مساء حسب توقيت واشنطن) ، ووعد بأن يتصل بتل أبيب ويبلغها رغبة الرئيس ترومان .

جرت كل هذه التطورات الخطيرة فى جو بالغ الكتمان ، بل إن البيت الأبيض قرر إبقاء قرار الاعتراف فى طى الكتمان وخاصة عن وزير الخارجية مارشال ، لتحاشى أى معارضة قد يثيرها وزير الخارجية ، ولأن نايلز وكليفورد كانا يخشيان أن يعمد ترومان إلى تأجيل الاعتراف ، ولأن الرئيس ترومان لا يريد إبلاغ الخبر قبل موعد إذاعته إلى وزارة الخارجية أو إلى الوفد الأمريكى بنيويورك حيث توالى هيئة الأمم اجتماعاتها لبحث مشروع الوصاية الذى تقدمت به أمريكا نفسها .

---

(١) حتى طلباتهم لا تخلو من ركيزة تنتزع الموافقة، فإثارة التغلغل السوفيتى ترهب المطامع الأمبريالية فى الشرق الأوسط وتورط أمريكا وتدفعها للاستجابة .

وفى الساعة السادسة تماماً حسب توقيت واشنطن (الساعة ١٢ حسب توقيت القاهرة) أعلن نبأ نهاية الانتداب على فلسطين ، وفى الساعة السادسة والدقيقة الأولى ، أعلن قيام دولة إسرائيل الجديدة .

وفى الساعة السادسة وإحدى عشرة دقيقة تم اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالدولة الجديدة ، فقد دعا تشارلز روس الملحق الصحفى بالبيت الأبيض ، رجال الصحافة إلى مكتبه وتلا عليهم قراراً مؤلفاً من سطرين ، يتضمن اعتراف الرئيس ترومان بدولة إسرائيل اعترافا واقعيا ، وقد شفع القرار بتمنيات الرئيس الأمريكى للدولة الجديدة ، لإقرار السلام فى تلك الربوع .

وبينما كانت الإدارة الأمريكية فى واشنطن تعترف بسيادة إسرائيل واستقلالها ، كان المندوب الأمريكى فى هيئة الأمم مازال يدافع عن مشروع الوصاية على فلسطين ! !

وفى هذه الأثناء تلقى دين روسك أوامر من البيت الأبيض بإبلاغ السفير أوستن قرار الرئيس ترومان ، فتولى نقل النبأ إلى أوستن فى غرفته فى فندق والدورف استوريا . . . ومن حسن حظ أوستن أنه لم يكن حاضراً آنذاك اجتماع الجمعية العمومية التى كانت تواصل بحث مشروع الوصاية الأمريكى ! !

وعلى إثر إذاعة النبأ . . انتشرت الشائعات المتضاربة فى فلاشنج ميدوز محاولة أن تفسر الدوافع التى أدت إلى إصدار هذا القرار . والطريف فى الأمر أن الجمعية العمومية ظلت ، على الرغم من كل هذا ، تواصل عقد اجتماعها الخامس والثلاثين بعد المائة برئاسة المندوب الأرجنتينى لمناقشة مسألة تدويل القدس ، بعد أن تم التصويت على تعيين مفوض سام من قبل هيئة الأمم على المدينة المقدسة .

وقد حدث حوالى الساعة السادسة أن وقف مندوب كولومبيا السنيور جونزاليس فرناندز يسأل مندوب الولايات المتحدة الأمريكية عما إذا كان فى وضع يسمح له أن يؤكد الأنباء الواردة فى الصحف عن قيام دولة إسرائيل واعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بها عقب إعلان مولدها . . فأجابه فرنسيس ساير ، أحد أعضاء الوفد الأمريكى ، أنه لم يتلق حتى الآن معلومات رسمية عن الموضوع . ولم يتمالك مندوب كوبا عندها من أن يقف مبديا دهشته واستغرابه لجهل الوفد الأمريكى بهذا الموضوع وقال :

« يبدو لى أن مندوبى روسيا السوفياتية وبولونيا أكثر اطلاعا على التطورات الأخيرة التى جرت فى واشنطن من أعضاء الوفد الأمريكى نفسه ! ! » .

وخلص المندوب الكوبى إلى القول :

« إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد اعترفت بالدولة اليهودية الجديدة فلا حاجة بنا بعد الآن لمناقشة المشروع المعروض على بساط البحث . . . » .

ولم يمض وقت طويل على هذا الحديث ، حتى وقف البروفسور فيليب جسب ، نائب رئيس الوفد الأمريكى ، يعلن أن الوفد الأمريكى تلقى معلومات رسمية يمكن إطلاع الهيئة عليها وهذا نصها :

« لقد تلقت هذه الحكومة معلومات تفيد أن دولة يهودية قد قامت فى فلسطين ، وهى تطلب الاعتراف بحكومتها المؤقتة ، وقد اعترفت حكومة الولايات المتحدة بالحكومة المؤقتة اعترافا واقعيا كسلطة مسئولة عن دولة إسرائيل » .

على هذه الصورة . . تلقى الوفد الأمريكي فى هيئة الأمم قرار الرئيس ترومان التاريخى !

ولقد كانت العبارة الواردة فى قرار ترومان والقائلة : « . . . وهى تطلب الاعتراف بحكومتها المؤقتة » غير قانونية ، لأن الرئيس الأمريكى لم يتلق سوى رساله مؤرخة فى ١٤ مايو — ١٩٥٨ من الوكالة اليهودية ، وموقعة من الياهو ابشتاين ، وتقول : « لقد تقرر أن إيذاع نبأ إعلان إسرائيل فى منتصف ليل ١٤ مايو . . »

وقد كانت السلطة الرسمية فى فلسطين فى الوقت الذى كتبت فيه هذه الرسالة وتلقتها الدوائر المسئولة فى البيت الأبيض ، هى السلطة البريطانية المنتدبة دون غيرها .

ولكن الذى حدث . . أنه بعد ٢٤ ساعة من عزم الرئيس على اتخاذ هذا القرار ، تلقت وزارة الخارجية الأمريكية برقية من الحكومة المؤقتة لدولة إسرائيل ، تطلب فيها الاعتراف بها .

وهكذا ارتفع فى سماء فلسطين عند الساعة الثانية عشرة والدقيقة الواحدة حسب توقيت القاهرة ، أول علم لدولة إسرائيل كما ارتفع فى نفس اللحظة علم مماثل فى واشنطن على بناية الوكالة اليهودية « سابقا » .

وبينما كان المندوب السامى البريطانى ، السير آلن كوننجهام ، يغادر مرفأ حيفا ، طاويا آخر عهد للانتداب البريطانى على فلسطين الذى استمر أكثر من ربع قرن ، فى تلك اللحظة بالذات ، كان زعماء الصهيونية يعلنون قيام دولة إسرائيل بهذه الكلمات :

« إن هذا العمل هو اعتراف من قبل هيئة الأمم المتحدة ، بحق الشعب اليهودى فى إعادة بناء دولته المستقلة . . .

« وهذا العمل لا يمكن بطلانه . .

« وزيادة على ذلك ، فهو حق صريح للشعب اليهودى ، ليكون أمة كسائر الأمم ، ضمن دولة مستقلة . ..

« وبناء عليه ، فنحن أعضاء المجلس الوطنى الممثل للشعب اليهودى بفلسطين ، والحركة الصهيونية فى العالم ، قد عقدنا هذا الاجتماع الرهيب ، واستناداً إلى الحق التاريخى والوطنى للشعب اليهودى ، وقرار الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة ، نعلن فى هذه الساعة قيام الدولة اليهودية فى فلسطين باسم دولة إسرائيل . . .

« ونتوجه بالدعوة إلى الشعب اليهودى بأسره فى العالم ، ليقف إلى جانبنا فى تسهيل الهجرة وإنعاش دولتنا ، ومساعدتنا فى صراعنا الكبير ، لتحقيق حلم الأجيال فى استرداد أرض إسرائيل . . » .

٢ — امريكا جنت على نفسها بهذا القرار :

لم تكن فلسطين وحدها هى التى قسمت ، بل شمل التقسيم يهود أمريكا أنفسهم وشطرهم شطرين بسبب تلك السياسة الخاطئة .

وقد أثارت الوكالة اليهودية قضية لم يجرؤ أحد من اليهود على إثارتها بمثل هذه الصراحة والتحدى ، وهى قضية المواطنين الأمريكيين اليهود ، وازدواج إخلاصهم لدولتين معاً « إسرائيل أولا وأمريكا ثانيا » ، فإن الوكالة اعترفت فى أحد تقاريرها الرسمية بوجود مثل هذا الازدواج منذ أن قامت

إسرائيل ، وقالت إن هناك عقبات جمة تعترض تطبيقه لمصلحة إسرائيل ، خاصة عندما تتعارض مصالح إسرائيل وسياسة الدولة التى يعيش فيها المواطنون اليهود .

ومما قاله بن جوريون بهذا الصدد ، فى اجتماع الجمعية التنفيذية الصهيونية بالقدس ما نصه : « من واجب الصهيونيين المنتشرين فى أنحاء العالم ، أن يجدوا فى نفوسهم الجرأة الكافية ، لكى يقفوا بجانب إسرائيل ، حتى ولو كانت حكوماتهم ضدها ! » .

وقد تصدى لهذا الازدواج البرت أينشتاين فصرح بقوله : « إننا نتوجه إلى اليهود فى أمريكا وفلسطين بألا يتركوا أنفسهم تتردى فى يأس قاتل أو فى بطولة زائفة قد تودى بهم فى مهاوى الدمار والانتحار » . ولم يجرؤ يهودى واحد على كتابة ما كتبه الدكتور يهودا ماغنز ، رئيس الجامعة العبرية بالقدس عندما قال :

« إنه من السهل جداً رفع الصوت بالإعلان أن اليهود الإرهابيين هم وحدهم المسئولون عن الجرائم الوحشية التى حدثت فى الأرض المقدسة، ولكن من هو المسئول عن الإرهابيين ؟ .. إن كل واحد منا — أى اليهود — يحمل شيئاً من المسئولية ، ولكن الوزر الأكبر يقع على عاتق الأمريكيين الذين ساندوا هؤلاء الإرهابيين ... ومن بينهم فريق من الشيوخ وأعضاء الكونجرس ورجال الصحافة ودور النشر والكتاب وعدد من كبار الأغنياء اليهود ، الذين ساندوا الحركة ماديا ومعنويا . . » .

إن من حق كل مواطن أمريكى أن يعطف على إسرائيل ، ويمد لها يد المساعدة إذا شاء ذلك ، دون أن يلومه أحد .

ولكن زعماء الصهيونية لم يكتفوا بهذه المساعدة أو ذاك العطف ، بل

أخذوا ينشرون دعايتهم الواسعة والعلنية بين يهود أمريكا ، يحضونهم على بذل المساعدات المادية والمعنوية لإسرائيل ، والتوجه بالولاء والإخلاص لها أولا وأخيراً ، «لأنهم يهود إسرائيليون قبل أن يكونوا مواطنين أمريكيين» .

وهذه الدعايات تناقض ما أعلنه الرئيس الأمريكي وودرو ولسن منذ أربعين سنة عندما قال : « لا يمكنك أن تصبح أمريكيا صحيحا ومخلصا ، إذا كنت تعتبر نفسك تنتمى إلى طائفة معينة ، لأن أمريكا لا تضم طوائف وجماعات متفرقة . فالرجل الذى ما زال يعتبر نفسه ينتمى إلى جماعة معينة ، لم يصبح أمريكيا صحيحاً بعد ، وإن الذى يأتى إليك ليتاجر بوطنيتك عن هذا الطريق لا يستحق أن يظله العلم الأمريكى ويحميه . . » .

وعلى الرغم من هذا القول الصريح ، يطلقه أحد رؤساء الجمهورية الأمريكية ، فما زال فى الولايات المتحدة فريق من الصهيونيين واليهود المتهوسين ، يملك الجرأة الكافية ليعلن صراحة وفى أمريكا ما نصه : «لاشك أن العلم الإسرائيلى هو علم دولة أجنبية وأن اللغة العبرية هى لغة أجنبية أيضا ، ومع ذلك فهذه الأشياء تخصنا ونتمسك بها ، لأن مستقبل اليهود مرتبط ارتباطا وثيقا بإسرائيل » .

وبالفعل أبدى الصهيونيون الأمريكيون ولاءهم وتمسكهم بإسرائيل ، على الرغم من أن هذا التمسك وذاك الولاء كانا يضران بمصالح الولايات المتحدة .

وهذا ما حدث من تدخل الصهيونية فى شئون أمريكا السياسية . . !

فقد حدث عندما أثيرت قضية إعادة تنظيم ألمانيا الغربية من الوجهتين العسكرية والسياسية ، لتكون حاجزاً منيعاً فى وجه التيار الشيوعى الرابض فى الطرف الآخر من برلين ، أن قامت قيامة اليهود الأمريكيين ، وبالتالى

دولة إسرائيل الناشئة وأخذت الصهيونية تدخل فى أذهان ساسة واشنطن أن تسليح ألمانيا سوف يؤلف خطراً يتهدد اليهود عامة وإسرائيل خاصة .

وعندما وقعت معاهدة الصلح بين الحلفاء وألمانيا الغربية أرسلت إسرائيل إلى واشنطن مذكرة شديدة اللهجة تحتج فيها على توقيع مثل هذه المعاهدة .

وهناك حادثة أخرى أيضا حدثت فى نهاية عام ١٩٤٩ . . . كانت قضية تدويل القدس آنذاك ما تزال موضوعة فى جدول أعمال الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة ، وكان وزير خارجية إسرائيل موسى شاريت قد حضر إلى الولايات المتحدة بنفسه ، لمناشدة « اليهود » كى يمدوا يد المساعدة لإنقاذ وضع إسرائيل وبذل النفوذ والجهود لعرقلة تدويل القدس . وبالفعل نشطت المنظمات الصهيونية واليهودية للعمل ، وأخذت تطوق البيت الأبيض وتطرق أبواب أعضاء وزارة الخارجية ، ومندوبى الولايات المتحدة فى هيئة الأمم ، لإقناعهم بالوقوف ضد تدويل المدينة المقدسة .

وفى أثناء مناقشة القضية فى هيئة الأمم ، وقبل طرحها للتصويت ، وقفت الولايات المتحدة إلى جانب إسرائيل ، ضاربة بحرمة الأماكن المقدسة عرض الحائط ، ولكن ما إن طرح قرار التدويل للتصويت عليه فى الجمعية العامة ، ونال الأكثرية المطلوبة ، حتى تراجعت الولايات المتحدة عن قرارها وأعلنت تمسكها بقرارات الأغلبية . وإمعانا فى احتقار قرارات هيئة الأمم المتحدة أخذ بن جوريون يعلن فى تل أبيب أن دوائر حكومته ستنتقل إلى القدس لتتخذ منها عاصمة لدولة إسرائيل .

كما قامت فى أمريكا المنظمات الصهيونية تؤيد سياسة بن جوريون ، وتصرح علنا بأن اليهود الأمريكيين يناصرون إسرائيل فى كل الخطوات التى تتخذها للدفاع عن المدينة المقدسة .

والمدهش حقـا أن زعمـاء الصهيونية نجحوا فى إقناع الأمريكيين المسيحيين ، وفريق كبيرمن ساسة أمريكا ، ورجال الصحافة فيها ، بأن لليهود معتقدات خاصة تختلف كل الاختلاف عن المعتقدات الأمريكية ، وهذه المعتقدات تفرض عليهم العزلة والتكتل كطائفة منفردة ضمن البيئة التى يعيشون فيها .

وبالرغم من كلمة الرئيس ولسن المأثورة (١) : « إن أمريكا لا تتألف من طوائف وجماعات بل من أمة واحدة » ، فمازالت الصهيونية الأمريكية مقتنعة بأن لها مصيرا خاصا يفضل على مصلحة أمريكا نفسها . وهذا الاعتقاد متأصل فى تاريخ اليهودية الأمريكية ويصعب إزالته ، وقد نشأت عنه تجربة جديدة ، مزجته بعنصرين متنافرين هما : جوهر الدين وظلال الوطنية .

فإن الدين فى نظر الرجل اللاهوتى معتقد مستمد مما وراء الطبيعة ، يتصل بأصل الكون ، ومعنى الحياة البشرية . وبمعنى أوضح إنه يتناول اعتقاد الإنسان بقوة جبارة ، غير منظورة ، تسيّر الكون ، وعليه احترامها وتقديم فروض العبادة لها .

وعلى هذا فإن اليهودية هى معتقد دينى ، ولكن قليلين هم الذين يعتبرون أنفسهم يهوداً ينطبق عليهم هذا التعبير .

ولا جدال فى أن الصهيونية عرضت الديانة اليهودية لأخطار جسيمة عندما لجأت إلى تحويل اتجاهاتها الدينية المتأصلة فى قلوب يهود العالم إلى فكرة سياسية ، ولا يمكننا الآن أن نعرف نتائج هذا التحويل وأخطاره على هذه

---

(١) الفريد ليلينتال « ثمن إسرائيل » ص ١٩٠ ، ١٩١ .

الديانة ، وما إذا كانت ستتمكن من أن تعيش ، كقوة دينية ، أم أنها ستزول من الوجود بعد أن حقق دعاة الصهيونية أغراضهم بواسطتها .

إن فى كلمات النبى ميخا عبرة لأولئك الذين يريدون دفن اليهودية ثم ذرف دموع التماسيح عليها ، وجمع الدولارات على جثتها ، لإنعاش وطنيتهم اليهودية الزائفة .

لقد قال النبى ميخا : « قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح ، وماذا يطلب منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعا مع إلهك» (١) .

وكذلك فى كلمات النبى أشعياء إذ يقول : « هكذا قال الرب : احفظوا الحق وأجروا العدل . طوبى للإنسان الذى يعمل بهذا وطوبى لابن الإنسان الذى يتمسك به » (٢) .

وكذلك فى كلمات النبى إرمياء إذ يقول : « هكذا قال الرب : أجروا حقا وعدلا وأنقذوا المغصوب من يد الظالم . والغريب واليتيم والأرملة لا تضطهدوا ولا تظلموا ولا تسفكوا دما زكيا »(٣) .

ثم يقول : « اطلبوا سلام المدينة التى سبيتكم إليها وصلوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام »(٤) .

والحق يقال ، إن هذه التعاليم هى الأهداف التى لم تحققها اليهودية كدين ، ولهذا فالحاجة ملحة لإنعاش اليهودية روحيا خاصة فى هذا الزمن . فإذا ما انتعشت اليهودية روحيا ظهر بينها أمثال حزب أغودات إسرائيل الذى ينادى بعقيدتهم : « بأن أية محاولة للقيام بمجهود إنسانى بغية محاولة العودة

---

(١) ميخا ٦ : ٨ .

(٢) أشعياء ٥٦ : ١ ، ٢ .

(٣) إرمياء ٢٢ : ٣ .

(٤) إرمياء ٢٩ : ٧ .

لن تكون أكثر من تجن واغتصاب يتجاوز حدود الدين ولا يقبل به الرب » .

ويرى الفريد ليلينتال حيث أن إسرائيل محاطة بملايين العرب من كل جهة فمن واجبها أن تأخذ درساً لم يتعلمه يهود فلسطين من قبلها ، وهو أن وضعها الجغرافى يحتم عليها أن تعيش بوئام مع جيرانها العرب لتتمكن من الاستمرار فى الحياة وذلك :

أولا : بالإقلاع عن مطالبة يهود العالم ، وخاصة يهود أمريكا بالإخلاص لدولة إسرائيل ، لأن الدولة التى لا تقف سيطرتها عند حدودها الطبيعية ليست دولة طبيعية ، ولا يمكنها أن تعيش بوئام وسلام مع جيرانها .

ثانيا : على إسرائيل قبل كل شىء أن تنفذ قرارات هيئة الأمم المتحدة ، وأهم هذه القرارات إنشاء نظام دولى للإشراف على القدس ، وتسوية قضية اللاجئين العرب ، وتعويضهم ، لأن على إسرائيل وحدها تقع مسئولية تشريد اللاجئين العرب ، ومن واجبها الإنسانى أن تخفف من ويلات هؤلاء التعساء المشردين . وبهذا يمكن لليهود أن يعيشوا فى سلام وصداقة مع العرب .

أما أنا فأرى غير ذلك ، إذ أن مصير الأمة العربية رهن بقوتها ونضوجها السياسى واعتدادها بنفسها ، وعليها مضاعفة الجهد لتخطيط وحدة عربية من الخليج العربى إلى المحيط الأطلسى على المستوى السياسى والعسكرى والاقتصادى والاجتماعى ، والتصميم على استعادة أرض فلسطين ، وردها إلى أهلها وعودة الفلسطينيين إلى بلادهم .

ومن الظلم أن تغتصب إسرائيل الشريط الساحلى المطل على البحر المتوسط وعليه يقع كثير من الموانىء الهامة مثل عكا وحيفا ويافا وتل أبيب وكلها من الموانىء ذات الأهمية الاستراتيجية ، كما أخذت

جنوب فلسطين ، فكان لها بذلك واجهة بحرية على البحر الأحمر ، ولقد خدمت هذه المنطقة إسرائيل كثيرا خصوصا أن سفنها ممنوعة من المرور فى قناة السويس .

حتى صحراء النقب دخلت هى الأخرى فى أملاك اليهود ، وهذه المنطقة لها أهمية كبيرة ، لكونها مصدرا عظيما للإنتاج الحيوانى ، وبعض الإنتاج الزراعى حيث تتوفر الآبار والعيون فى الواحات ، بل إن اليهود يحاولون تنفيذ مشروع نهر الأردن لجر المياه إلى هذه المنطقة واستصلاح مساحات كبيرة لاستغلالها فى الزراعة ، كما تمثل منطقة النقب صمام أمن لإسرائيل .

وهكذا يبدو جليا أن اليهود قد استحوذوا بناء على قرار التقسيم على الأجزاء الهامة والجيدة من فلسطين بالإضافة إلى ما اغتصبوه فى عدوانهم على الدول العربية بهدف التوسع الإسرائيلى .

٣ — دول الاستعمار تدعم كيان اسرائيل :

لم تكتف دول الاستعمار بما ارتكبته من جريمة بشعة فى حق الإنسانية وفى حق شعب تألبت كل قوى الشر للقضاء عليه وتشريده من أرض أجداده التى عاش فيها منذ آلاف السنين، بل سعت أيضا إلى محو اسم فلسطين عن الجزء المتبقى من أرض فلسطين . ففى ٤ إبريل سنة ١٩٥٠ أعلن مجلس الأمة الأردنى الذى ضم ممثلين عن الأجزاء الفلسطينية التى يسيطر عليها الجيش الأردنى توحيد هذه الأجزاء مع «شرق الأردن» فى دولة واحدة أطلق عليها «المملكة الأردنية الهاشمية» .

ولم تعترف الدول العربية بهذا التوحيد وإنما اعتبرت أن هذه الأجزاء الفلسطينية « الضفة الغربية للأردن » وديعة لدى الأردن لحين التسوية النهائية

للقضية ، فيما عدا العراق التى اعترفت بوحدة الأجزاء الفلسطينية مع الأردن .

وهكذا وبعد أن أطلق اليهود اسم « إسرائيل » على الأجزاء المحتلة من فلسطين زال كيان فلسطين ورفع اسمها من خريطة العالم لأول مرة فى التاريخ .

لقد كان لهذه الكارثة والمأساة التى حلت بالشعب العربى كله أثر كبير فى نفسيته ، فعمت جميع الأوساط روح النقمة والسخط على الدول الاستعمارية وعملائها، وانتشرت روح العداء لهذه الدول، وبدأت الأوساط الشعبية العربية تتحدث عن ضرورة استعادة الوطن السليب وعودة اللاجئين والاستعداد لجولة ثانية مع إسرائيل . واتضحت أمام الشعب العربى حقيقة الدور القذر الذى قامت به كل من بريطانيا وأمريكا لخلق هذا الكيان الجديد المصطنع تنفيذاً لسياسة الاستعمار العالمى من العمل على فصل الجزء الإفريقى من المنطقة العربية عن جزئها الآسيوى وإقامة حاجز بشرى قوى وغريب فى منطقة الجسر البرى الذى يربط آسيا وإفريقيا ويربطهما معا بالبحر المتوسط ، بحيث يشكل فى هذه المنطقة على مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدواً لسكان المنطقة .

واتضح لدول الاستعمار أن الخطر بدأ يحدق بمخلوقهم الجديد، ففى ٢٥ مايو سنة ١٩٥٠ صدر « التصريح الثلاثى المشهور » من بريطانيا وأمريكا وفرنسا الذى أكدت فيه الدول الثلاث تدخلها باسم الأمم المتحدة إذا تبين أن إحدى دول منطقة الشرق الأوسط تستعد لانتهاك حرمة الحدود التى رسمتها اتفاقيات الهدنة ومعارضتها لأى استخدام للقوة أو التهديد بالالتجاء إليها . كما أكدت الدول الثلاث اتفاقها على مقاومة إرسال الأسلحة إلى هذه الدول ، وسباق التسلح بينها إلا فى الحالات المحددة المتفق عليها .

ولم تقنع دول الاستعمار بذلك بل أخذت تدعم إسرائيل سياسيا واقتصاديا

وعسكريا ، وصرح كثير من الساسة الأمريكان « أن إسرائيل وجدت لتبقى ، وأن أمريكا هنا لتؤمن حياتها » .

كما انهالت المعونات المالية على إسرائيل ، فقد بلغت قيمة المعونات الأمريكية فى الفترة ما بين عامى ١٩٤٨ ، ١٩٥٣ (١) حوالى مليار دولار ، علاوة على ماتقدمه من معونات عينية بما يوازى ٣٠٠ مليون دولار سنويا ، كما أجبرت أمريكا (٢) ألمانيا الغربية على دفع ٨٧٥ مليون دولار تعويضا لإسرائيل عن الخسائر التى حدثت لليهود أثناء الحكم النازى فى أوربا .

وتناسى العالم أن إسرائيل إنما قامت على الاغتصاب والعدوان ، وأن مليون عربى لا يزالون حتى اليوم يعيشون فى الكهوف والخيام بعد ما طردوا من ديارهم ونهبت أملاكهم . وبالرغم من الجرائم التى ترتكبها إسرائيل فى حق العرب الذين لا يزالون يقيمون بها ، وبالرغم من إصرارها على عدم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بعودة اللاجئين وتعويضهم، فلا تزال دول الاستعمار حتى يومنا هذا تدعم إسرائيل ، وترتفع الأصوات فى كل من بريطانيا وأمريكا للتستر عليها والدفاع عن جرائمها واعتبارها حقوقاً شرعية للدفاع عن النفس وعن كيانهم بحجة تأمين إمكانيات الحياة لهذا الجيش الكبير من المهاجرين .

---

(١) يقول المعلق السياسى وسترفيلد فى كتابه عن « السياسة الخارجية والحزبية فى أمريكا » : « لقد كان العبء المالى على الخزانة العامة للولايات المتحدة نتيجة مساعدتها لدولة إسرائيل يقدر بعشرات الملايين من الدولارات . . وهذا لا يعتبر ثمنا كبيرا . أما الخسارة التى خسرتها أمريكا فهى فقدها ثقة العرب وصداقتهم وهذه خسارة لا تعوض ولم يقدرها المسئولون » .

(٢) وهل أجبرت أمريكا إسرائيل على تنفيذ القرار رقم ١٩٤ ؟ !

جوهــــر

١ — المشكلة اليهودية ومسئولية الحلفاء تجاهها :

قال تشرشل فى عام ١٩٢٢ فى كتابه الأبيض : « إن إنشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين لا يعنى أبداً إقامة حكومة يهودية للتسلط على السكان العرب هناك فنحن لن نسمح لفريق أن ينتزع قسرا حقوق الفريق الآخر » .

إلا أن ظروف الحرب العالمية الثانية دفعت بالحلفاء إلى خلق مشكلة فى الشرق الأوسط لا يمكن حلها إلا باستئصالها من جذورها . فلقد انتهت الحرب العالمية الثانية وخلفت وراءها مشكلة إنسانية قاسية هى مشكلة الأشخاص الذين نزحوا عن أوطانهم هربا من الموت الذى كان يلاحقهم به أعوان هتلر ، وقد كانوا خليطا من سكان النمسا وهولندا وهنغاريا ورومانيا ، وهم ينتمون إلى عدة دول وأديان ومذاهب ، منهم حوالى نصف مليون كاثوليكى ومائة ألف بروتستانتى ، وحوالى ٢٢٠ ألف يهودى ، وكان مائة ألف من هؤلاء اليهود محتشدين فى معسكرات الاعتقال بألمانيا والنمسا وإيطاليا ، بينما توزع حوالى ٥٠ ألفا فى بريطانيا ، و١٢ ألفا فى السويد، وعشرة آلاف فى سويسرا .

كانت مشكلة . . . وكان على الحلفاء المنتصرين أن يجدوا لها الحل . . ولو أن تلك الدول فتحت صدرها لهجرة مشردى أوربا إلى بلادها ومستعمراتها، ولو أنها كانت جادة ومخلصة فى ترحيبها وعادلة فى سياستها ، لو أن جزءا من هذا حدث ، فهل كنا نسمع بمشكلة فلسطين ؟ وهل كنا نسمع أدعياء أوربا من اليهود المشردين يدعون كذبا بأن بلدهم هو فلسطين ؟

أى يهودى يفضل الهجرة إلى فلسطين حيث الضيق الاقتصادى على أن يهاجر إلى كندا أو أمريكا حيث العيش الرغد والمجال المتسع للمشروعات والأعمال ، وحيث لا تعصب نازيا ضدهم ؟ !

وقد كتب الرئيس ترومان فى ٣١ يوليو سنة ١٩٤٥ رسالة إلى رئيس الحكومة البريطانية كليمنت أتلى يقول فيها : « إن إصدار مائة ألف بطاقة هجرة إلى الولايات المتحدة قد يساعد على حل قضية مشردى أوربا». وقد نشر نص هذا الكتاب السناتور جى جيليت بعد مضى ثلاثة أشهر من إرساله .

أما الحكومة البريطانية فقد أعلنت موقفها من هذه القضية فى تصريح رسمى صدر فى أكتوبر سنة ١٩٤٥ قالت فيه إنه لا يمكنها الموافقة على سياسة انتقال اليهود من أوربا أو الحيلولة دون استيطانهم فى البلدان الأوربية ، دون تمييز فى العنصر ؛ لأن وجودهم فى تلك البلدان يساعد فى إعادة بناء أوربا وازدهارها .

وقد بذل الرئيس روزفلت جهدا ضخما واهتماما خاصا لمساعدة مشردى أوربا وإنقاذهم من الشقاء الذى يعانونه ، فاقترح أن تقوم كل دولة من دول العالم الحر ببعض واجباتها ، وتوافق على إسكان عدد من أولئك المشردين فى بلادها ، دون تمييز بين عنصر وعنصر أو بين دين ودين .

واعتقد الرئيس الأمريكى أن بالإمكان إنقاذ نصف مليون مشرد على الأقل ، إذا تضافرت جهود العالم الحر ، وضمنت لهؤلاء المشردين ملجأ أمينا .

وتمشيا مع هذه السياسة الإنسانية ، قصد موريس أرنست اليهودى وأحد المقربين إلى الرئيس الأمريكى — قصد لندن لمفاوضة المسئولين البريطانيين فيما إذا كانوا يوافقون على احتضان مائة أو مائتى ألف من أولئك المشردين ، وكان الرئيس الأمريكى واثقاً كل الثقة أن أستراليا وكندا وبعض بلدان أمريكا الجنوبية لا تعارض مطلقا فى فتح حدودها أمام عدد كبير منهم .

وكان مفتاح حل المشكلة فى لندن . . ! !

فهل كتب النجاح لموريس أرنست فى مهمته فى لندن ؟ ؟

عاد أرنست إلى بلاده أخيراً ينقل إلى رئيسه نتيجة مساعيه فى عاصمة الإنجليز ، وخلاصتها أن بريطانيا ساعية لتطبيق برنامج جديد للهجرة فى العالم ، وهى مستعدة لإيواء ١٥٠ ألف مشرد على أن تساهم أمريكا بإيواء مثل هذا العدد فى أراضيها ، وقد أبدى الرئيس روزفلت للوهلة الأولى ارتياحه لهذه الخطوات .

٢ — الضغط الصهيونى يصيب مشروع ارنست بالفشل :

ولكن بعد مضى أسبوع واحد على هذا التصريح ، زاره صديقه موريس أرنست مرة ثانية وتداول معه فى مشكلة مشردى اليهود فى أوربا ، وإذا بروزفلت يعلن عندها : « أنه اقتنع تمام الاقتناع أن ذلك البرنامج لن يحل المشكلة ، ولا سيما أن قادة الصهيونية فى أمريكا رفضوا هذه الحلول . . » . واستطرد يقول : « وإنهم على حق فى معارضتهم ، لأنهم يدركون أن فلسطين يجب أن تصبح عاجلا أو آجلا الملجأ الأمين لمجتمعهم » .

وقد صعق موريس أرنست لهذه الأقوال يجاهر بها رئيسه وصديقه فى وقت كان هو يسعى فيه إلى تحقيق ذلك البرنامج القاضى بإغاثة جميع مشردى أوربا وفى مقدمتهم اليهود .

وكنتيجة حتمية لمعارضة الصهيونية للمشروع توقفت جهود روزفلت من أجل تحقيقه .

وفى ديسمبر سنة ١٩٤٥ أصدر الرئيس ترومان تعليمات صريحة إلى وزارتى الخارجية والحربية لتقديم كل التسهيلات الممكنة لهجرة اليهود إلى الولايات المتحدة ضمن قوانين الكوتا .

ولـكن هذه التسهيلات لم تجد نفعا لتخفيف وطأة مشكلة المشردين ، وقد تنبه إلى حالة هؤلاء السناتور الأمريكي وليم ستراتون فأثار هذه القضية فى الـكونجرس عام ١٩٤٧ ، إذ طالب بفتح أبواب الهجرة أمام المضطهدين الذين لاوطن لهم ، على أن يكون عدد الداخلين إلى الولايات المتحدة مساويا لـكمية الـكوتا غير المستعملة خلال سنى الحرب الأخيرة . وبموجب مشروع ستراتون تقرر السماح لحوالى ٤٠٠ ألف مشرد من مختلف الأديان والأجناس بدخول الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد استمرت اللجنة التى تألفت لدرس هذه القضية ، مدة أحد عشر يوما فى اجتماعات متتابعة ، وضعت فى نهايتها تقريرا يقع فى ٦٩٣ صفحة كان منها إحدى عشرة صفحة فقط تضمنت آراء المنظمات اليهودية ومطالبها . وكانت كلها تبدى عدم اهتمامها وحماسها لهذا المشروع . . ولـكن عندما بحثت اللجنة الخارجية اقتراح « رايت كومبتون » الذى يوصى بإنشاء دولة يهودية على غرار دول « الـكومنولث » ، أبدت كافة المنظمات الصهيونية وحلفاؤها التأييد المطلق للاقتراح ، كما بعثت آلاف البرقيات والرسائل وكلها تشيد به وتؤيده . هذا مع أننا رأينا هذه المنظمات نفسها تقابل مشروع ستراتون بالفتور التام والصمت المطبق ، ولم ترتفع حينذاك سوى أصوات قليلة من المنظمات اليهودية الأمريكية التى أيدت المشروع ومن بينها صوت السناتور هربرت ليهمان .

وصرح رئيس المنظمة الصهيونية فى أمريكا بأهداف المنظمة بقوله : « إن الصهيونية ليست حركة من أجل قضية المشردين ، ولم تـكن أبداً وليدة الحرب العالمية الأولى أو الثانية كما يظن البعض . . وهى ، وإن لم يوجد يهود مشردون فى أوربا أو فى غيرها من العالم ، ستظل قضية حية . . وإنما هى حركة من أجل إنشـــــاء دولة يهودية » . وبمناسبة الذكرى الثامنة لمؤتمر

« ميزتاح » اليهودى كتب الصهيونى سولتز برجر صاحب جريدة نيويورك تايمز يقول :

«ليس من واجبنا أن نحصر الجهود فى إدخال اليهود إلى فلسطين فحسب ، بل من واجبنا أيضا أن نسعى لتوطين أولئك المشردين من اليهود وغيرهم فى بلاد تستوعبهم » .

وقد كانت كلمة برجر هذه موجهة إلى أولئك الصهيونيين الذين يضعون نصب أعينهم هدفا واحداً فقط . . هو إقامة دولة يهودية فى فلسطين .

٣ — اقتراح تدويل فلسطين :

ولقد دعا رئيس الحكومة البريطانية فى أكتوبر سنة ١٩٤٥ بعد أن صرح أن بريطانيا لا يمكنها الموافقة على سياسة انتقال اليهود من أوربا أو الحيلولة دون استيطانهم فى البلدان الأوربية دون تمييز فى العنصر ، دعا إلى إجراء تحقيق مشترك فى هذه القضايا من قبل لجنة أمريكية بريطانية .

فرحب الرئيس ترومان بهذه الدعوة ، بينما ثار لها زعماء الصهيونية وقابلوها بالاحتجاج ووصفوها بأنها خيانة جديدة لقضيتهم لن يخضعوا لنتائجها .

وعلى الرغم من ذلك ، تألفت بعثة التحقيق الأمريكية — البريطانية فى نوفمبر سنة ١٩٤٥ وكانت مكونة من ستة أعضاء أمريكيين بريطانيين ، وكانت مهمتها درس الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى فلسطين دراسة دقيقة ، على أن تولى عناية خاصة قضية هجرة اليهود إلى أرض الميعاد ، وإمكانية إقامتهم فيها .

وكان من مهمتها أيضا درس وضع اليهود الأوربيين ، لتحديد العدد الذى يرغب الهجرة إلى فلسطين أو إلى غيرها من البلدان خارج أوربا .

وكان من بين أعضاء البعثة القاضى الأمريكى جوزيف هوتشيسون

والدكتور فرانك أيديلوت مدير الدراسات العليا فى جامعة برنستون ، وسفير أمريكا السابق وليم فيلبس ، وجيمس ماكدونالد الذى أصبح فيما بعد سفيراً للولايات المتحدة الأمريكية فى إسرائيل ، والنائب البريطانى كروسمان .

وعقدت البعثة أول اجتماعاتها فى واشنطن فى مطلع شهر يناير سنة ١٩٤٦، واستمعت إلى وجهات نظر ممثلين عن المنظمات اليهودية وعن المسيحيين وعن المسلمين ، ثم تتابعت اجتماعاتها فى لندن ، بعد أن انبثق عنها عدة لجان فرعية كلفت بالطواف فى أنحاء أوربا لدرس حالة اللاجئين بها .

ثم عقدت البعثة عدة اجتماعات بعد ذلك فى مصر بكامل أعضائها استمعت خلالها إلى ممثلى الوكالة اليهودية — وهى المنظمة الرسمية التى كان لها حق التكلم باسم يهود فلسطين — كما استمعت إلى المنظمات والهيئات العربية .

وقبل أن تنهى البعثة تحقيقاتها فى بلاد الشرق الأوسط زارت لجنة فرعية من أعضائها عواصم : سوريا ولبنان والعراق والسعودية العربية والأردن، واستمعت إلى آراء المسئولين هناك فى القضية الفلسطينية ، ومن بعدها انتقلت إلى سويسرا فوضعت تقريرها النهائى الذى أذيع فى واشنطن ولندن فى وقت واحد يوم ٣٠ إبريل سنة ١٩٤٦ . وأهم ما جاء فى التقرير : « أن البعثة أوصت بمنح مائة ألف من يهود أوربا المشردين الذين قاسوا الاضطهاد والتعذيب فى العهدين النازى والفاشستى حق الدخول إلى فلسطين » .

ويضيف التقرير : « بأن اليهود لن يسيطروا على العرب ، وأن العرب لن يسوءوا اليهود فى فلسطين ، لأن هذه الأرض المقدسة لن تكون يوما دولة يهودية وعربية ، ولأن فلسطين ستبقى أرضاً مقدسة فى نظر المسيحى واليهودى والمسلم ؛ ولهذا فلا يمكن أن تكون أرضا يدعى ملكيتها شعب معين أو ديانة معينة » .

٤ — الصهيونية وموقفها من التقرير:

ولقد لاقى البند الأول من توصية البعثة ترحيباً حاراً فى أوساط المنظمات اليهودية ، وهو البند الخاص بإدخال مائة ألف يهودى إلى فلسطين ، بينما شنت هذه المنظمات حملات عنيفة على بقية ما تضمنته التوصية من بنود .

كما كانت البعثة نفسها هدفا لبعض هذه الحملات لأنها لم توص بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

٥ — الامبريالية الانجلوامريكية تعمل لتوطين مشردى أوربا من اليهود :

وفى مطلع عام ١٩٤٧ قامت بريطانيا بآخر محاولة لتقريب وجهات النظر بين العرب واليهود ، وحمل الفريقين على التفاهم ، فوضعت اقتراحا عرضته على الفريقين كأساس للتفاهم ، وهو ينص على إدخال أربعة آلاف يهودى إلى فلسطين شهريا لمدة سنتين أى ٩٦٫٠٠٠ يهودى ، وبانتهاء المـــدة تنظم الهجرة وفقا لقدرة البلاد على الاستيعاب ، ولـكن الوكالة اليهودية رفضت هذا الاقتراح ، بحجة أنه يقيد حرية اليهود فى الهجرة والإقامة فى فلسطين ، وبالتالى فى إنشاء دولة لهم فى أرض الميعاد .

وقد بذل الرئيس روزفلت جهدا ضخما واهتماما خاصا لمساعدة مشردى أوربا ، وإنقاذهم من الشقاء الذى يعانون منه ، فاقترح أن تقوم كل دولة من دول العالم الحر ببعض واجباتها ، وتوافق على إسكان عدد من أولئك المشردين فى بلادها ، دون تمييز بين عنصر وعنصر ، أو بين دين ودين .

٦ — الدعاية العربية والتحول الأمريكى لصالح الصهيونية :

واقترب ميعاد إنهاء الانتداب البريطانى ، فأخذ الصهيونيون يستعدون لإعلان دولتهم ، بينما كانت حـكومات الجامعة العربية تبالغ فى تصريحاتها عن عزمها لإنقاذ فلسطين ، وبينما كانت الصحافة العربية تتسابق فى نشر الأرقام الخيالية عن الجيوش العربية الجرارة التى أحاطت بأراضى فلسطين

استعداداً لإنقاذها ، كانت الصهيونية تحقق أكبر فائدة من هذه المبالغات ، إذ كانت تعرضها بحرفيتها على الرأى العام الدولى فتستنجد وتقول : « انظروا كيف أن اليهود البائسين الذين قاسوا الأمرين على أيدى الفاشية النازية يستهدفون اليوم لعدوان الجيوش النظامية لسبع دول عربية ! ! ».

وهكذا كسب الصهيونيون عطفاً جديداً على قضيتهم ، وخسر العرب كثيرين ممن كانوا يؤيدون حقوقهم بسبب المبالغات العاطفية والأكاذيب الخيالية التى كانت تكتب فى الصحف .

٧ — المساعى الصهيونية والتواكل العربى :

بينما كان مندوب بريطانيا يعلن فى هيئة الأمم أن حكومته لا تريد إقرار وضع فى فلسطين يتنافى مع ضميرها ، وأنها تريد تشكيل لجنة خاصة لدراسة الموقف هناك وتقديم تقرير عنه للجمعية العامة فى دورتها المقبلة ، وبينما كانت الصهيونية تعد عدتها لحبك المناورات فى نيويورك ، كانت الجامعة العربية تفكر — مجرد تفكير — فى الخطوة التالية التى تتبعها .

واستغرق تفكيرها ثلاثة أسابيع انتهت بقرار إرسال مذكرة «عن طريق مندوبى الدول العربية الخمس الممثلة فى هيئة الأمم » إلى أمانتها العامة طالبة إدراج البند التالى فى جدول أعمالها : « إنهاء الانتداب فى فلسطين وإعلان استقلالها » .

وكان الفضل الأكبر لعملاء الصهيونية فى سكرتارية الأمم المتحدة وغالبيتهم من اليهود المعروفين بميولهم الصهيونية ، فى تسويف البت فى طلب الدول العربية ثم رفضه فى اللجنة العامة « التى تقر جدول الأعمال » « بثمانية أصوات مقابل صوت واحد »[١] .

---

(١) يجدر بالذكر هنا أن الاتحاد السوفيتى كان يؤيد الاقتراح العربى ، إذ رأى فيه فرصة للعمل على إنهاء نفوذ بريطانيا فى فلسطين .

وصدر قرار الجمعية العامة بهيئة الأمم المتحدة بتشكيل لجنة خاصة لدراسة الموقف فى فلسطين ، وتقديم تقرير عنه لبحثه ، واتخاذ قرار بشأن مشكلة فلسطين على ضوئه . ولقد كان تشكيل تلك اللجنة صدمة أخرى للدول العربية ولقضية عرب فلسطين ، إذ كانت الغالبية من الدول الممثلة فيها « باستثناء إيران والهند » معروفة بميلها للصهيونية أو خضوعها للضغط الأمريكى .

أما المندوب اليوغوسلافى فقد كان تصرفه ينم فى أول الأمر على أن حكومته قد بيتت النية على تأييد كل ما هو ضد بريطانيا . وقد كان وجود صهيونيين بارزين ضمن أعضاء تلك اللجنة دليلا كافيا لإدانتها بالتحيز ومؤازرة الصهيونية مؤازرة واضحة .

كان أحدهما هو « چورچ جارسيا جرانادوس » — وكان معروفا باتصالاته بالبيت الأبيض ومعظم المسئولين فيه — مندوب جواتيمالا الذى عرف بصهيونيته المتطرفة ومساعيه المتواصلة للتأثير على اللجنة ، والآخر هو مندوب أوروجواى ، وهى دولة تتحكم فى سياستها المنظمات اليهودية ذات النفوذ المتركز فى عاصمتها ومدنها الرئيسية .

ومرة أخرى كان رد الجامعة العربية رداً ينم على قصر النظر السياسى والتمسك الجامد بالمثل والمطالبة بالحق رغم أن الدلائل كانت كلها تشير إلى سياسة الضغط والمناورات التى كانت متبعة فى أمريكا والغرب فى ذلك الوقت . ردت الجامعة برفضها التعاون مع اللجنة الخاصة(١) لأنها لم تعلن ضمن مهامها : « إنهاء الانتداب ، وإعلان استقلال فلسطين » ، ولأن هذا البند لم يدرج ضمن جدول أعمال الجمعية العامة لهيئة الأمم ، ولأن هيئة الأمم لم تفرق بين مشكلة

---

(١) لجنة هيئة الأمم الخاصة بفلسطين ، المكونة من مندوبى إحدى عشرة دولة .

مشردى أوربا وقضية فلسطين . . ولأن . . . ولأن التعاون مع تلك اللجنة معناه الإضرار بمصالح العرب ،والاشتراك فى مؤامرة استعمارية يدبرها الغرب .. ومن ثم وجهت الجامعة العربية نداءها إلى عرب فلسطين بعدم التعاون مع اللجنة واتباع سياسة المقاطعة . . وهذا بالفعل ما كانت تريده الصهيونية . . ألا يتصل بأعضاء اللجنة من يكون لديه من قوة الإقناع والبرهان ما يثبت على الأقل لبعض أعضائها عدالة القضية العربية من نواحيها العملية الواقعية .

قاطعت الدول العربية اللجنة الخاصة ولم تزودها بالمعلومات والحقائق ، ووجهت اهتمامها إلى الدعاية فى الصحافة ضد مطامع اليهود ومطامع الاستعمار .. الصحافة العربية التى لا يقرؤها الغرب ولن يقرأها أعضاء اللجنة الخاصة . . ولن يقرأها سوى الشعب العربى وهو أدرى بعدالة قضيته .

٨ — مقارنة بين النمط الصهيونى والنمط العربى فى علاج قضية فلسطين :

إن العرب إذ قاطعوا اللجنة الخاصة فى تلك اللحظة الفاصلة وبعد وضوح سياسة أمريكا ونياتها ، كان ذلك بمثابة توقيع صك إعدام الحقوق العربية ، لا فى نظر هيئة الأمم فحسب ، وإنما من الناحية العملية أيضا .

أما الصهيونيون فقد أغرقوها بالكتب والنشرات والإحصائيات والبيانات — وإن كان أغلبها مشوها — زود الصهيونيون اللجنة بتسعة عشر كتابا تفصيليا منها مرجع صهيونى أساسى يقع فى ٦٨٦ صفحة باسم القضية اليهودية أمام لجنة التحقيق الانجلو — أمريكية ، ستمائة وست وثمانون صفحة من الدعاية الصهيونية المنتقاة التى أمدت أعضاء اللجنة الخاصة بالبراهين والحجج ووسائل الإقناع ! ! كما أرسلت المنظمات الصهيونية فى أوربا وأمريكا تسعة وتسعين مستنداً — وهى كلها باطلة — تحتوى على مئات الصفحات من الدعاية الصهيونية التى تكفى لهدم القضية العربية مهما يكن حياد الجهة التى احتكم إليها .

ومن الناحيـة القانونية درست اللجنه تقريراً مقدما من الحـكومة البريطانية(١) عن فلسطين فى ظل الانتداب ، وكان هذا التقرير تبريراً لأعمال الإدارة البريطانية خلال ثلاثين عاما من حكمها ، ولم يذكر فيه أن العرب كانوا قد رفضوا الانتداب من أساسه وحاربوه منـذ أولى خطواته كأسلوب استعمارى ، هذا بينما ذكر التقرير البريطانى ما يفهم منه أن منشأ الانتداب هو وعد بلفور ، دون أن ينص على مبلغ مقاومة العرب ومناهضتهم لوعد بلفور هذا .

وباختصار كان تقرير الحـكومة البريطانية هذا مطابقا للحجة التى يستند إليها اليهود ولتبرير مطالبهم .

وبعد فهل كسب العرب شيئا من مقاطعتهم للجنة أو خسروا جولة أخرى ؟ وهل كسب الصهيونيون ؟

إن نظرة واحدة إلى خططهم وأساليبهم الإرهابى أثناء زيارة اللجنة الخاصة لفلسطين لا تترك أدنى شك فى تقرير مـكاسبهم المادية والمعنوية والسياسية لتحقيق أهدافهم .

وهنالك دليل يشهد على الأعمال الإرهابية وما يتبعها من السلب والنهب إذ صرح بن جوريون بقوله : « إن المستوى الذى نزل إليه اليهود من مختلف الطبقات بارتـكابهم أعمال النهب والسلب فى المدن العربية ليعتبر من المشاهد المخزية المؤلمة »(٢) .

---

(١) The Political History of Palestine under the British Mandate, Memorandum. presented by H. M. Government, London July 1947.

(٢) Israel Government Handbook 5712 London 1951.

لقد كانت « الاستراتيجية » الصهيونية — إن صح هذا التعبير — محكمة متقنة من جميع نواحيها ، فالدعاية الصهيونية العالمية مستمرة لكسب عطف الرأى العام الدولى بما أسمته مأساة مشردى أوربا !! ولا أدل على ذلك مما ذكره الفريد ليلينتال بقوله : « فى ٢٨ إبريل سنة ١٩٤٧ عقدت الجمعية العامة جلسة خاصة فى نيويورك لبحث قضية فلسطين ، واقتصرت أبحاثها على عرض مختصر للقضية من مختلف وجوهها . وتقرر تأليف لجنة التحقيق من إحدى عشرة دولة صغيرة هى : أستراليا ، كندا ، تشيكوسلوفاكيا ، الهند ، جواتيمالا ، إيران ، هولندا ، بيرو ، السويد ، أوروجواى ، يوغوسلافيا — وعين القاضى السويدى إميل ساند ستروم رئيسا لها »(١) .

ومنذ الساعة الأولى التى أعلنت فيها أسماء أعضاء اللجنة بدأت محاولات الصهيونية للضغط والتأثير على الأعضاء . . كما أخذت المنظمات والمؤسسات اليهودية تبذل الجهود والمساعى خلال اجتماعات الجمعية العامة لكسب التأييد والمساعدة للقضية الصهيونية .

ووجه رئيس حاخامى فلسطين بيانا إلى هيئة الأمم المتحدة ، ناشدها فيه أن يأتى قرارها عن فلسطين منسجما ومصلحة اليهود ، كما تضافرت جهود المؤسسات والهيئات اليهودية فى الولايات المتحدة : كالمؤتمر اليهودى الأمريكى ، واللجنة اليهودية لفلسطين ، واليانور روزفلت عقيلة الرئيس السابق روزفلت ، والمجلس الوطنى اليهودى ، واللجنة المسيحية الأمريكية لفلسطين — تضافرت جهودها كلها لمساندة المطالب الصهيونية ، وإصدار كل منها بيانات صريحة فى هذا المعنى .

حتى المؤسسات الاقتصادية اليهودية اشتركت فى هذا الصراع المحموم ،

(١) ثمن إسرائيل ص ٤٥ .

فأذاعت الشركة اليهودية الاقتصادية ، وهى شركة يهودية خاصة ، نشرة قالت فيها : « إن صحراء النقب يمكن الاستفادة منها واستيطانها بعد تزويدها بمياه الرى فى فترة لا تزيد عن السنة الواحدة » .

وقالت صحيفة « الشعب » التى يشرف عليها مولون يهود إن العرب كانوا من أنصار المحور خلال الحرب الأخيرة ، وطالبت هيئة الأمم المتحدة باتخاذ قرار يقضى بإقامة دولتين مستقلتين بفلسطين .

وفى أمريكا تستمر الدعاية الصهيونية وجهاز « تنظيم الضغط السياسى » لضمان تنفيذ حكومة الولايات المتحدة أهداف الصهيونية بحرفيتها وكامل أطماعها ! وفى هيئة الأمم المتحدة يقوم فريق الصهيونيين بالاتصال بالوفود واستمالتهم ، بينما يعد عملاء الصهيونية من أعضاء السكرتارية عدتهم لدحض كل مجهود من قبل الدول العربية حتى يخفت أثر دعايتها ، وتشوه قضيتها بما توافر لتلك الأداة من الإمكانيات ! كل هذا والعصابات الإرهابية تنزل بالسلطات البريطانية الضربة تلو الأخرى ، بينما تتلقى المكاتب الصهيونية فى لندن ومدن إنجلترا الكبرى التعليمات المنتظمة من الوكالة اليهودية للرد على كل ما يكتب فى الصحف البريطانية عن فظائع الإرهاب الصهيونى فى فلسطين ، حتى لا يثور الرأى العام ويطالب حكومته بتدابير صارمة ضد الصهيونية . وبالإضافة إلى كل هذا وغيره من التدابير ، كان المكتب السياسى للوكالة اليهودية يعد التقارير والاقتراحات لكى يساعد بها اللجنة الخاصة على الاهتداء إلى سبيل لحل قضية فلسطين !

كما قام مكتب خاص بإعداد الإحصائيات المشوهة عن المناطق المختلفة وعدد اليهود القاطنين بها ، حتى إذا ما جاء وقت التقسيم على أساس توزيع

الأغلبية من السكان « عرباً أو يهوداً » فى أنحاء فلسطين ، وجدت اللجنة أمامها خريطة يكاد لا يخلو جزء فيها من « أغلبية يهودية » وتحاط المناطق « العربية » فيها « بمستعمرات » قيل إن بها آلاف اليهود .

هذا كان استعداد الصهيونية خلال زيارة اللجنة الخاصة لفلسطين ، ولم يخل هذا الإعداد المحكم بالنواحى الأخرى من التنظيم الصهيونى ، فالوكالة اليهودية تعد العدة ، وتدبر الخطط الحربية والإرهابية للاستيلاء على فلسطين بالقوة ، وتدرب عصاباتها على ذلك ، بينما تتولى الفروع الأخرى من الوكالة تدريب اليهود على القيام بالوظائف الإدارية المختلفة حتى لا تفاجأ بالفوضى التى قد تترتب على تخلى السلطات البريطانية عن مهامها الإدارية التى يقوم بها موظفون بريطانيون طيلة وجود الانتداب .

ولقد استغلت الصهيونية اللجنة الخاصة بطريقة انتهازية تتفجر دهاء وخداعا ، فعندما طلبت السلطات البريطانية فى فلسطين إبداء وجهة نظرها أمام اللجنة الخاصة فى اجتماع سرى بدافع مقتضيات الأمن ، احتج الصهيونيون على هذا الإجراء ، وأيدهم جارسيا جرانادوس « مندوب جواتيمالا » والعضو البارز فى اللجنة فى احتجاجهم ، وأقر حق الوكالة اليهودية فى أن تعامل أمام اللجنة أسوة بالسلطة البريطانية « الحكومية » ، حتى يثبت بذلك حق الوكالة فى اتخاذها صبغة رسمية كالأداة أو السلطة التى تمثل حكومة فلسطين المستقلة بعد انتهاء الانتداب .

عدالة قضية فلسطين

١ — إدوين مونتاجو .
٢ — جيمس ماكدونالد .
٣ — الكونت برنادوت .
٤ — جيمس فورستال .
٥ — ظفر الله خان .

١ — ادوين مونتاجو :

صرح إدوين مونتاجو وزير شئون الهند فى الفترة من سنة ١٩١٦ إلى سنة ١٩٢٢ يقول : « إن بريطانيا قد خضعت لرغبات الصهيونى المليونير اليهودى روتشيلد ، فوعدت بإقامة وطن قومى لليهود ، مع أنه لا توجد قومية لليهود ». وجاء فى الوثيقة التى كتبها بخط يده : « إننى يهودى ولكننى أعترف بأنه لا توجد قومية يهودية ، وأن فلسطين ليس لها علاقة باليهود .

« فالوصايا العشر أعطيت لليهود فى شبه جزيرة سيناء ، وإذا كان اليهود يتعلقون بفلسطين لأنها المكان الذى شيد فيه معبدهم ، فإن فلسطين تكون أهم بالنسبة للمسيحيين لأنها أرض موعظة الجبل ، وكل المقدسات الخاصة بالمسيحية » .

وقد قدم هذه الوثيقة إلى الحكومة البريطانية فى ١٩١٧/٨/٢٣ قبل ولادة وعد بلفور الذى ولد فى ١٩١٧/١١/٢ محذراً من إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .

ومضى مونتاجو يقول : « إن هؤلاء الذين نادوا بعقيدة الصهيونية يغلب عليهم أن يكونوا من اليهود فى روسيا الذين اندفعوا إلى هذه العقيدة تحت ضغط القيود التى فرضت عليهم . وحتى هذا الموضوع تغير فى روسيا ». وأوضح مونتاجو التناقض البين فى الفكرة الصهيونية وأبرز الخطوط التالية :

١ — لا توجد قومية يهودية .

٢ — إن إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ستؤدى إلى :

(ا) أن الدول الأوروبية والأمريكية ستتخلص من مواطنيها اليهود .

(ب) ستصبح فلسطين برج بابل إذ تجمع أشتاتا من المهاجرين مختلفى اللغة والتقاليد والثقافات ، ولا يخاطب بعضهم بعضا إلا عن طريق المترجمين .

٣ — وقد فهمت وأنا من اليهود ، وقبل أن تنشأ الصهيونية أن تجميع اليهود لا يتم إلا بإرادة إلهية ، ولكننى الآن أرى أن كلا من مستر بلفور ولورد روتشيلد يود أن يبرهن على أنه المسيح المنتظر .

واستطرد مونتاجو قائلا : « إننى لا أنكر أن لليهود حقوقا للتعمير فى فلسطين مثلهم مثل باقى الأديان . ولكننى أعتبر إقامة دولة على اعتبار دينى نوعاً من التحيز وضيق الأفق ، وأن إعطاء مركز لليهود ليس لهم حق شرعى فيه إنما يؤكد هدفا استعماريا لإيجاد قلعة استعمارية فى قلب الوطن العربى » .

ثم يقول « إننى أشعر أن الحكومة البريطانية قد طلب منها أن تصبح أداة منفذة لرغبات المنظمات الصهيونية ، وإن هذه الرغبة يدعو لها أفراد ينتمون بأصلهم إلى دول الأعداء ، وإنهم بهذه الوسيلة يطعنون الحرية وفرص الاستقرار السانحة للمواطنين البريطانيين جنسية اليهود ديانة فى هذا الوطن » .

٢ — جيمس ماكدونالد :

حدث قبل صدور مرسوم تعيينه سفيراً لأمريكا فى إسرائيل ، أن عقد اجتماع فى البيت الأبيض حضره كل من دافيد نايلز ، وكلارك كليفورد ، والجنرال هيلدرنج ووزير الخارجية مارشال ، وأبدى مارشال خلال الاجتماع سخطه على هذا التعيين ، كما انتقد بعنف قرار الاعتراف بإسرائيل ، الذى تم دون استشارة المسئولين فى الحكومة .

والحقيقة أن تعيين ماكدونالد سفيراً للولايات المتحدة فى إسرائيل كان عملا فريداً فى نوعه ، فإن ماكدونالد ، بالإضافة إلى كونه ممثلا لبلاده لدى إسرائيل ، كان فى نظر اليهود يمثل الحزب الديمقراطى الحاكم ، ومهمته تزويد

الرئيس الأمريكى ، وزعماء الحزب بالمعلومات والإرشادات التى من شأنها الاحتفاظ بالسيطرة على « الأصوات اليهودية » ويبرز ذلك واضحا فى الرسالة التى وجهها ترومان إلى سفيره ماكدونالد بتاريخ ١٣ يوليو عام ١٩٤٨ إذ قال له فيها بعد أن تمنى له التوفيق فى منصبه الجديد :

« . . . وأرجو منك أن تزودنى باستمرار بالمعلومات المتعلقة بمنع شحن الأسلحة ، والوقت المناسب للاعتراف الكامل بإسرائيل وأنواع المساعدات المطلوبة للنهوض بالدولة الجديدة . . . » .

وفى الطريق إلى إسرائيل عرج جيمس ماكدونالد على لندن ، حيث قابل وزير خارجيتها أرنست بيفن ، وبحث معه الأسباب التى جعلت حكومة بريطانيا تتأخر فى الاعتراف بإسرائيل ، ثم أشار بلباقة إلى أن المصلحة المشتركة للحكومتين تقضى بأن يوجد ممثل بريطانى إلى جانبه فى تل أبيب لمراقبة الوضع عن كثب .

وقد انتفض بيفن لهذه الغمزة الخفية ، واحمر وجهه غضبا ثم أجابه : « لا أريد الآن مناقشة هذه القضية » .

فأبدى ماكدونالد اعتذاره عندها ، وقال إنه لا يوجه سؤالا وإنما يريد تسجيل حقيقة واقعة .

ومن هنا يبدو جليا أن ماكدونالد كان سفيراً لإسرائيل أكثر منه سفيراً للولايات المتحدة الأمريكية فى إسرائيل .

وعندما وصل ماكدونالد إلى جنيف ، قابل الدكتور حاييم وايزمن ، رئيس دولة إسرائيل المؤقتة وكان يستشفى هناك ، وبحث معه بعض قضايا الدولة الجديدة ، وقد توسل وايزمن إلى ماكدونالد أن يذكر زملاءه فى إسرائيل

بأن يوافوه بأخبارهم وتطورات القضية فى مستشفاه بعد أن قطعوا عنه هذه الأخبار .

وفى تل أبيب تابع ماكدونالد انتهاج خطته السابقة فى الدعاية لإسرائيل ، فواصل اتصالاته بالبيت الأبيض ، بدلا من الاتصال بوزارة الخارجية بوصفه تابعا لها مباشرة . وفى ٢٤ يوليو كتب ماكدونالد إلى واشنطن يقول :

« . . . وفى رأيى ، وبما أن الرئيس ووزارة الخارجية متفقان على إقرار السلم فى ربوع فلسطين ، فإنه يجب حصر الجهـــود فى السعى للتمهيد لمباحثات الصلح .

« ومن أجل ذلك أرى أن على الولايات المتحدة ألا تتأثر بوجهات نظر الوسيط ، أو الحكومة البريطانية نفسها ، لا سيما أن الأخيرة قد بدأت تفقد ثقة اليهود والعرب معاً » .

وهكذا يبدو أن السفير الأمريكى قد حكم على الكونت برنادوت الوسيط الدولى بالموت ، قبل أن يصرعه الإرهابيون الصهيونيون .

٣ — الكونت برنادوت :

كان الحزب الديمقراطى والحزب الجمهورى يتنافسان على استجداء أصوات اليهود بشتى الوسائل ، فى الوقت الذى عرض فيه الوسيط الدولى الكونت برنادوت مقترحاته على هيئة الأمم المتحدة لحل الخلاف بين العرب واليهود .

فانتهز الحاكم ديوى فرصة موافقة وزير الخارجية مارشال على مقترحات برنادوت ، وأخذ يذيع فى الأوساط اليهودية أن الحزب الديمقراطى الحاكم قبل مقترحات الوسيط الدولى ، التى توصى بضم منطقة صحراء النقب الجنوبية إلى العرب .

كما أصدر بيانا مشتركا مع فوستر دالاس أعلنا فيه عـــدم تقيدهما بتلك المقترحات التى وافق عليها وزير الخارجية مارشال ! !

وعندما بدأت الحملة الانتخابية فى عام ١٩٥٢ ، وخلال اجتماعات مؤتمر الحزب الجمهورى ، نصح ممثل المجلس الوطنى الأمريكى اليهودى قادة الحزب بألا يضمنوا برنامجهم الانتخابى وعوداً صريحة لإسرائيل ، ولـكن عضو الـكونجرس جازيت — الذى كان يدافع عن وجهة نظر المجلس الصهيونى فى الحزب — أصر على وجوب معاملة إسرائيل معاملة خاصة،وكان له ما أراد ، وهذا هو نص الفقرة الخاصة بإسرائيل الواردة فى برنامج الحزب السياسى :

« إن الحزب الجمهورى قد أبدى منذ البدء تأييده التام لفـكرة إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى ، لإنقاذ الآلاف من اليهود من التعذيب والاضطهاد اللذين تـكبدوهما خلال سنى الحرب الأخيرة ، وإن قيام إسرائيل يتفق مع أعمق أهدافنا الإنسانية .

« وسنثابر على إتمام تأييدنا ومهمتنا فى تدعيم هـــذه الدولة ، وكذلك سنستخدم نفوذنا لإقرار السلام بينها وبين الدول العربية ، وسنبذل ما فى وسعنا لإحلال الاستقرار الاقتصادى والاجتماعى فى تلك المنطقة » .

بينما تجنب الحاكم أدلاى ستيفنسون خلال حملته الانتخابية التلميح بأى وعد خاص من أجل كسب الأصوات اليهودية ، بل أعلن تحرره التام من ضغط الأقليات على اختلاف طوائفها ، ولعل كونه عضواً فى الوفد الأمريكى لهيئة الأمم جعله يشاهد كيف كانت تتخذ القرارات كلما عرضت قضية خاصة بإسرائيل والدول العربية ، كما أنه طالما سمع بيرنز يشـكو ويتذمر من تقلص سلطة وزارة الخارجية فيما يتعلق بفلسطين ، حتى أن مارشال لم يستشر

فى موضوع قرار ترومان القاضى بضم النقب إلى إسرائيل ، وكادت تحدث اصطدامات وخلافات بين وزير الخارجية مارشال ، وبيرنز ، وبين الرئيس ترومان حول هذه القضية بالذات .

ومع ذلك ، فلو أن الفوز كتب لستيفنسون فلم يكن من المستبعد أن يبدل موقفه تحت ضغط العوامل السياسية ، تلك العوامل التى حملت ترومان أن يضحى بمصالح الأمة الأمريكية استرضاء لخاطر قادة الصهيونية .

وكان موقف الكونت برنادوت المعتدل هو الذى جعل الصهيونيين الإرهابيين يغتالونه فى وحشية كطريقتهم فى التخلص من مناصرى الحق أينما وجدوا ، ليبقى الباطل وتخيم الظلمة ، وتحت أستار الظلام والظلم ينفذون وينفذون أعمالهم .

٤ — جيمس ماكدونالد وفورستال :

كتب «أرنست لندلى» فى صحيفة «واشنطن بوست» أن سياسة الولايات المتحدة تجاه فلسطين قد تأثرت كثيرا بلا شك بنفوذ الصهيونيين الأمريكيين . ولقد كان للسياسة المحلية العامل المسيطر والأول فى توجيه الوضع بفلسطين لمصلحة الصهيونية .

وفى ٤ سبتمبر سنة ١٩٤٧ اقترح الجنرال هانيغان على الرئيس ترومان إصدار بيان يؤيد فيه إدخال ١٥٠ ألف يهودى إلى فلسطين وقال هانيغان إن إصدار مثل هــذا البيان سيكون له الأثر الكبير فى زيادة القروض للجنة الوطنية الديمقراطية لتعزيز هذه اللجنة الديمقراطية .

وعلق الجنرال فورستال فيما بعد ، على هذا الحديث بقوله : « إن النتيجة جاءت مخيبة لآمال ترومان والحزب الديمقراطى معاً ، لأنها لم تسفر عن النتائج

المنتظرة فى حملة الانتخابات بنيويورك ، حيث يملك اليهود عـــدداً كبيراً من الأصوات . . » .

وقد بذل الجنرال فورستال ، إبان حملة الانتخابات ، ما فى وسعه لـكى يقنع كلا من الحزبين المتنافسين «الديمقراطى والجمهورى» بإبعاد قضية فلسطين عن المعترك السياسى ، حتى لا يستغلها أحد الحزبين فى الدعاية لحملته الانتخابية .

ولـكن هذه الفـكرة لم ترق أبداً لرئيس اللجنة الديمقراطية هوارد ما كغراث الذى قال إن قسما كبيراً من المبالغ المتبرع بها للجنة الديمقراطية إنما جاءت من شعب يريد أن يثبت أن بإمكانه التعبير عن وجهات نظره فى قضايا معينة ، كقضية فلسطين بالذات ، وأنه — أى ما كغراث — لا يمـكنه أن يفهم رأى فورستال القائل : « بأنه يفضل أن يخسر أصوات تلك الولايات على أن يعرض البلاد بأجمعها لأخطار جسيمة قد تنشأ عن الاندفاع وراء قضية فلسطين ، وأنه لا يجب السماح لأى فئة من المواطنين فى هـذه البلاد أن تؤثر فى سياستنا، أو أن تعرض سلامتنا الوطنية لأخطار لا تعرف نتائجها » .

وقد كتب فورستال عن محادثاته مع وزير الخارجية السابق جيمس بيرنز يقول بأن بيرنز لم يوافق على قرار الرئيس ترومان فى تحوير « تقرير كريدى » الذى أوصى بإقامة دولة فيدرالية بفلسطين ، أو إنشاء دولة عربية واحدة هناك . ثم ذكر بيرنز كيف أن الرئيس ترومان وجه انتقادات مرة إلى البريطانيين لموقفهم من قضية فلسطين ، مما أحرج موقف رئيس الحـكومة البريطانية « أتلى » ووزير خارجيتها « بيفن » .

وأضاف بيرنز أن المسئولية الـكبرى لهذه السياسة الحمقاء تقع على عاتق

دافيدنايلز ، وسام روزنمان المقربين من الرئيس الأمريكي ، كما أكد وزير الخارجية السابق لفورستال ، أن زعماء الحزب الجمهوري لن يوافقوا أيضا على إبعاد قضية فلسطين عن النضال السياسي المحلي ، لأن الحاخام سيلفر هو من مؤيدي الجمهوريين ومن الأصدقاء المقربين للسناتور الجمهوري تافت .

وعلى الرغم من كل تلك الصدمات ، واصل فورستال مساعيه في هذا المضمار ، فطلب من قادة الحزبين المتنافسين : ديوى وستاسن وتافت وماكغراث والجنرال برادلي أن يحصروا اهتمامهم في أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية وإبعاد خطر تسرب السوفيت إليه ، دون التدخل في أوضاعه الداخلية . وظل يعمل بضعة شهور ، دون أن يتمكن من الوصول إلى نتيجة ، بل إنه لم يتمكن من إقناع المعتدلين من الحزب الجمهوري أمثال ونتروب الدريتش ، وجون فوستر دالاس ، والسناتور آرثر فاندنبرج .

وقال جيمس ماكدونالد في كتابه «مهمتي إلى إسرائيل» عن فورستال : « لم يكن فورستال عدوا للسامية ، أو لإسرائيل ، كما أنه لم يكن متأثراً بمنابع البترول . ولكنه اقتنع أن قرار التقسيم لا يتفق ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية كل الاتفاق ، فعارضه . . . ومن المؤكد أنه لا يستحق أن تشن عليه مثل هذه الحملات الخبيثة ، التي ساعدت على تحطيم جسده وعقله ، ولأن هذه الحملات المغرضة تقف كأبشع مثال على رغبة الساسة وأبطال الدعايات في استخدام أحقر الوسائل — باسم الوطنية — للقضاء على الرجال المخلصين من أبنائنا » .

هذا إقرار من أول سفير للولايات المتحدة الأمريكية في إسرائيل وأحد أنصار الصهيونية ، وهو إنما ينصف الحقيقة ولو كره الصهيونيون ، ويقف

إلى جانب فورستال لتخفيف حملات الاضطهاد ضده والتى دعاها « بالحملات الخبيثة » للقضاء على الرجال المخلصين من أبنائنا .

٥ — جيمس فورستال والأسرار السياسية :

ابتهج الصهيونيون وأعوانهم بصدور قرار التقسيم ، وأخذوا يعدون العدة لنقله إلى حيز التنفيذ .

وبينما كانت الحكومات العربية تواصل احتجاجاتها — وهى لم تكن قد أفاقت بعد من ذهولها إثر الصدمة التى نزلت بها من جراء تصرفات الدول الغربية — كان بعض ذوى الرأى فى الولايات المتحدة ممن يزنون الأمور بميزان العقل ويقدرون المصلحة العليا الحقيقية لوطنهم يواصلون الجهود لإظهار مدى خطأ السياسة التى اتبعتها الإدارة « الترومانية » ومدى خطورة خضوع السياسة الخارجية الأمريكية لأهواء الصهيونية وضغطها ، وبخاصة بعد أن زادت مشكلة فلسطين تعقداً بقرار التقسيم .

وكان المستر جيمس فورستال فى مقدمة المخلصين الذين عملوا على تصحيح الأوضاع وإخراج قضية فلسطين من الصراع الحزبى الداخلى فى الولايات المتحدة ، حتى تستطيع حكومتها أن تضع أسسا سليمة لسياستها الخارجية فى الشرق الأوسط يكون من شأنها تجنب انهيار العلاقات بين أمريكا والدول الإسلامية .

وشجع فورستال على محاولاته وجهوده المخلصة وجود فريق من المختصين بشئون الشرق فى وزارتى الخارجية والدفاع ممن كانوا يشاركونه بعد النظر وتقدير خطورة الاندفاع فى تيار الضغط الصهيونى (١) ؛ ولم تقتصر جهوده

H.B Westerfield. Foreign Policy and Party Politics. P.231(١)

على محيط الديمقراطيين ، بل إنه استأذن ترومان في الاتصال بالمسئولين في الحزب الجمهوري لإقناعهم بالعدول عن الجرى وراء النفوذ الصهيوني . وكان رد عضو الشيوخ فاندنبرج عندما فاتحه فورستال في هذا الشأن أن الديمقراطيين قد استغلوا مسألة فلسطين بما فيه الكفاية ، وأنه من حق الحزب الجمهوري أن يستغلها بنفس القدر . . فيجب أن تتاح الفرصة للجمهوريين للمشاركة في مغانم السياسة الخارجية الأمريكية كما يرغمون على المشاركة في محنها .

ولم يتطرق اليأس إلى فورستال وهو المخلص في إيمانه بمصالح بلاده ، فحاول محاولة أخرى مع الزعيم الجمهوري ديوى ، فكان رد هذا الأخير(١) على وساطة فورستال أنه ما من شك في أن الحزب الديمقراطي لن يتنازل عن استغلال الأصوات اليهودية في الانتخابات ، فلماذا ينتظر من الجمهوريين أن يفعلوا ذلك .

ورأى فورستال أن يقدم تقريراً رسمياً إلى وكيل الخارجية لفت يضمنه رأيه صراحة لعله ينير الطريق أمام الرئيس ترومان .

وقد جاء في هذا التقرير : « إن الديمقراطيين يعترفون بخطورة المشكلة الفلسطينية ، ولكنهم يعيرون اهتماماً أكثر للحصول على الاكتتابات المالية من الصهيونيين الذين يحاولون الحصول على « أمر الأداء » والوفاء بالدين على حساب سياستنا القومية »(٢) .

وفي تلك الأثناء كانت الحال تتفاقم في فلسطين ، وبدأت الاشتباكات

---

(١) Walter Millis (ed) : The Forestall Diaries P. 348.

(٢) Waltar Millis (ed) : The Forestall Diaries P. 15.

تزداد بين الإرهابيين والمجاهدين العرب ، والإدارة البريطانية منهمكة فى تصفية شئونها توطئة لإنهاء الانتداب .

وكان المجاهدون العرب يقاومون الإرهاب الصهيونى بكل ما أوتوا من قوة وإيمان رغم افتقارهم إلى المعدات والتنظيم والإمكانيات .

وخشى الصهيونيون أن تفوت عليهم الفرصة للاستعداد الكامل قبل جلاء السلطات البريطانية عن فلسطين ! فسعوا مرة أخرى لدى أمريكا كى تضغط على الحكومة البريطانية وتجبرها على تسليم اليهود ميناء بحريا كامل المعدات قبل المدة المحددة للجلاء ، وذلك لكى يتسنى لليهود تيسير هجرة الآلاف من الصهيونيين الأوربيين الذين أعدوا للانخراط فى صفوف عصابات الإرهاب . ولما لم تفلح تلك المناورة أخذ عملاء الصهيونية فى أمريكا يشكون ويولولون زاعمين أن بريطانيا تزود الدول العربية بالمعدات الحربية « طبقا للمعاهدات بينها وبينهم »، بينما اليهود محرومون منها بعدأن صدر قرار أمريكا بحظر تصدير الأسلحة إلى الشرق الأوسط وعدم السماح للأمريكيين بالخدمة فى صفوف قوات مسلحة أجنبية .

وفى الوقت نفسه كانت حملات الدعاية تشن ضد بريطانيا بدعوى أن السلطات البريطانية فى فلسطين تسوى فى المعاملة بين المعتدين والمدافعين ! ! بين المعتدين « العرب » وبين المدافعين « اليهود » !! وبين العرب الذين يهدمون هيبة الأمم المتحدة بمعارضتهم قرار التقسيم ، واليهود الذين يحترمون قرارات تلك الهيئة !!

كانت تلك الأكاذيب والتضليلات تنتشر فى الأوساط الرسمية والصحافة الأمريكية ، بينما كانت آلاف الأطنان من المواد المتفجرة والمعدات والأسلحة تشترى بواسطة عملاء الصهيونية فى نيويورك ، وتشحن سراً على السفن المتجهة صوب فلسطين .

وغالبا ما كان يحدث هذا بعلم السلطات الأمريكية ورضائها [١] ، وكان عملاء الصهيونية يشكون ويتظاهرون بافتقارهم لوسائل الدفاع عن أنفسهم ، فى الوقت الذى كانت شحنات الأسلحة التشكوسلوفاكية تنهال فيه على يهود فلسطين ويدفع ثمنها بالدولارات التى اكتتب بها يهود أمريكا [٢] . « ولم تكن تشيكوسلوفاكيا قد استهدفت بعد للانقلاب المعروف » . وبدأت تلوح فى الأفق العربى آثار تهور الحكومة الأمريكية فى سياستها فى الشرق الأوسط ، كما أصبح واضحا أن قرار التقسيم لابد أن ينفذ بالقوة العسكرية ، وأن للولايات المتحدة مصالح اقتصادية وبترولية واستراتيجية سوف تضار من جراء تذمر الدول العربية وسخطها ، إلى غير ذلك من الاعتبارات التى حاول الإخصائيون إلقاء الضوء عليها [٣] . وإزاء ذلك أعدت مذكرة بمعرفة وزارتى الخارجية والدفاع فى ٢٠ يناير سنة ١٩٤٨ مؤداها أن قرار التقسيم الصادر من هيئة الأمم لن يتيسر تنفيذه ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية ليست ملزمة بتنفيذه إذا لم يكن هناك سبيل إلى ذلك دون الالتجاء إلى القـــوة المسلحة ، وأنها « أى الولايات المتحدة » سوف تتخذ الإجراءات المناسبة لسحب القرار [٤] .

وجدير بالذكر هنا أن الدافع الأساسى الذى حدا بإخصائيى وزارتى الدفاع والخارجية إلى التراجع عن فكرة التقسيم بقوة عسكرية لم يكن تخوفهم من سخط الأمة العربية بقدر ما كان تخوفهم من اشتراك الاتحاد السوفيتى وإصراره

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى جريدة التايمز اللندنية فى أعدادها الصادرة فى ٥ ، ١٠ ، ١٢ يناير ، ١٨/٢/١٩٤٨ .

(٢) من الأمثلة العديدة لاعتراف الصهيونية بتهريب الأسلحة من أمريكا وغيرها من الدول ما جاء تفصيله فى الكتابين الصهيونيين : Sacher, Israel pp. 263—272
Kimche, Seven fallen Pillars, P. 214.

(٣) Council of Foreign Relations, U.S. in World Affairs 1947 | 8 P. 339.

(٤) Walter Millis (ed): The Forestall Diaries pp. 360,411.

على إرسال جنوده ومراقبيه ضمن أية هيئة ترسلها الأمم المتحدة للإشراف على تنفيذ قرار التقسيم .

واشتم الصهيونيون أن الحكومة الأمريكية قد تثوب إلى رشدها ، وأن بعض المسئولين بدءوا يتشككون فى نتيجة السياسة التى اتبعها الرئيس ترومان ومستشاروه ، وخاف الصهيونيون أن يؤدى هذا التشكك والتردد إلى تغيير فى سياسة الولايات المتحدة والحيلولة دون تنفيذ أهدافهم .

وهناك رأى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة — تريجفى لى — أن يستغل نفوذه ومركزه فى المساهمة لصالح الأهداف الصهيونية التى أخذ على عاتقه أن يسخر إمكانيات وظيفته لخدمتها ، فأعلن — وقد خيل له أن ينذر العرب بسوء المصير — أن الجمعية العامة سبق لها أن قررت تشكيل لجنة من الدول الصغرى للإشراف على تنفيذ قرار التقسيم ، وأن تلك اللجنة سوف تحصل على المساعدة المسلحة اللازمة لتنفيذ هذا القرار (١) . نعم لقد أراد عملاء الصهيونية أن تتخذ هيئة الأمم المتحدة أداة للضغط المسلح على عرب فلسطين حتى يرضخوا للأهداف التى يريد الصهيونيون تحقيقها ، بيد أنه عندما طلبت اللجنة « التى كان مقدراً لها أن تشرف على تنفيذ قرار التقسيم » إلى مجلس الأمن بناء على إيعاز الأمين العام ، أن يوصى بإعداد قوة مسلحة لتنفيذ التقسيم ، ظهرت أمام المجلس الصعوبة القانونية التى لا تريد سياسة القوى ولا حكومات الدول الكبرى أن تعيرها أى اعتبار رغم ماتدعيه من احترام القانون الدولى .

فقرار التقسيم أقرته الجمعية العامة لا مجلس الأمن ، وهو طبقا لنصوص الميثاق وروحه لم يكن إلا توصية لا تعتبر نافذة قانونا على أى دولة

(١) A | AC 21 | SRI وثيقة هيئة الأمم .

من الدول إلا إذا أقرت تلك الدولة قبوله[١]، وليس من سلطة مجلس الأمن أن يتخذ تدابير عسكرية إلا فى حالات الاعتداء التى يقرها المجلس وفى حدود ما نص عليه الفصل السابع من ميثاق هيئة الأمم المتحدة .

أسرار التراجع الأمريكى :

وفى ١٩ مارس سنة ١٩٤٨ فاجأ وارن أوستن — مندوب الولايات المتحدة الأمريكية فى مجلس الأمن — دول العالم باقتراحه وضع فلسطين تحت نظام الوصاية [٢] ، أى أنه رجع إلى الاقتراح الذى سبق أن قبله الجانب العربى فى الأشهر السابقة . ويقال إن اقتراح أوستن هذا جاء مفاجأة للرئيس ترومان نفسه ، وهو الذى كان قد أعطى وايزمن «وعدا قاطعا بأن التقسيم سيتم وينفذ بمعرفة أمريكا وقواتها العسكرية »[٣] .

على أن الأسباب التى دفعت وزارتى الخارجية والدفاع الأمريكيتين إلى هذا الاقتراح كانت أقوى من مجرد الوعود التى قطعها ترومان للصهيونية . فالانقلاب الشيوعى فى تشيكوسلوفاكيا ، وفوز الحزب الشيوعى فى إيطاليا ، وتدهور الحالة عموما فى الشرق الأوسط ، وتخوف أمريكا من تدخل روسيا عسكريا فى فلسطين ، كانت كلها أسبابا دفعت الإخصائيين الأمريكيين إلى التراجع الاستراتيجى تجاه الجانب العربى .

ومن الثابت أيضا أن القيادة الأمريكية كانت قد اعترضت على اقتراح ترومان بالتدخل العسكرى من قبل الأمم المتحدة فى فلسطين ، إذ أنهم قدروا القوة العسكرية اللازمة لتنفيذ قرار التقسيم بالإكراه بحوالى ١٠٤٫٠٠٠

---

(١) راجع التحليل القانونى لقرار التقسيم فى المجلة الأمريكية للقانون الدولى عدد ابريل سنة ١٩٤٨.

(٢) وثائق مجلس الأمن الرسمية عام ١٩٤٨ (٣٦ — ٥١) .

(٣) Daniels , A man of Independence P. 318 ,

جندى ولم تكن الولايات المتحدة آنذاك فى موقف يمكنها من الاستغناء عن فرقة عسكرية أمريكية واحدة(١) .

وكان من المنتظر أن يقابل ترومان هذا الاقتراح بالاعتراض الشديد ، وقد برر اعتراضه بأنه تلقى آلاف البرقيات التى شهد سكرتاريو ترومان أن ٩٩ ٪ منها كانت تحمل أسماء يهودية .

ولا يخفى أن حملة الضغط على البيت الأبيض فى تلك الأثناء اقترنت بحملات من الإرهاب الوحشى فى فلسطين ، ومجاهرة الصهيونيين بأنهم سيقاومون كل محاولة لإقرار نظام الوصاية على فلسطين حتى ولو كانت الوصاية لفترة قصيرة .

ومرة أخرى نجحت الصهيونية ، ففاتح ترومان المسئولين بتذمره إزاء تصرفات وزارة الخارجية ، وطرد هندرسون المستشار المسئول عن شئون فلسطين، وعين مكانه الجنرال هيلدرنج المعروف بتحمسه لإنشاء دولة يهودية ، وبديهى أن يتشجع الصهيونيون أمام هذا التصرف ، ويبلغ بهم استمراء نجاح سياسة الضغط الصهيونى على ترومان أن يقف ممثلهم موسى شرتوك «شاريت» فى مجلس الأمن فى ١٩٤٨/٤/١ ليقول : « إن اليهود قد اجتازوا باب الكيان الدولى ، وإنهم لن يتراجعوا بعد اليوم » ، بل قد تمادى شرتوك فى تحديه واستناده إلى مظاهرة ترومان له ، فوقف يعلن اتهامه للسلطات البريطانية بأنها تتواطأ مع العرب وتسمح لهم بالتسلل عبر حدود فلسطين(٢) .

كانت تلك المناورات تدور فى نيويورك وواشنطون بينما يتمادى الإرهابيون فى ارتكاب أبشع المجازر وأفظعها ضد العرب فى فلسطين ، وظل

---

(١) H.B. Westerfield, Foreign Policy and Party Politics P.233

(٢) المحاضر الرسمية لمجلس الأمن (١٩٤٨ — ١٩٥٢) .

جيمس فورستال يناضل من أجل فلسطين ومن أجل حقوق العرب حماية لهيبة الولايات المتحدة الأمريكية من الضغط الصهيونى حتى وقع فريسة المرض والانهيار النفسى ، ومن سيئات القدر أن الذى أشرف على علاجه طبيب يهودى صهيونى اسمه Menninger .

تواطؤ الولايات المتحدة مع الأعمال الارهابية للعصابات الصهيونية :

قامت حملة مسلحة من عصابتى الاشترن والأرجون وأكرهت السكان الآمنين فى قرية « ديرياسين » على إخلاء القرية ، فأذعن فريق منهم وبقى آخر ، فما كان من الإرهابيين إلا أن هاجموا القرية بالمدافع والقنابل وأبادوا سكانها ، وقد شهد مندوبو الصليب الأحمر فى فلسطين — رغم تهديدات الصهيونيين ومنعهم لهم من مشاهدة آثار تلك الجريمة الشنعاء — بأن مذبحة دير ياسين كانت مجزرة بشعة تنم على وحشية متعمدة لامبرر لها على الإطلاق سوى الزهو بالقتل والتنكيل بالعرب الآمنين (١) .

وفى الوقت نفسه كانت أمريكا ترحب بمناحيم بيجن قائد منظمة أرجون زفاى ليومى ، والمؤيد لأعمال الإبادة والتخريب فى فلسطين من نسف فندق الملك داود بما فيه من النزلاء الأبرياء ، إلى وضع قنبلة موقوتة تحت مبنى القنصلية البريطانية ، إلى شنق عدد من الجنود البريطانيين ، إلى ذبح النساء والأطفال والشيب من عرب فلسطين ، حتى أن صحيفة نيويورك تايمز جعلته فى مصاف الغزاة الفاتحين فكتبت مقالا عنه تحت عنوان : «الرجل الذى هزم إمبراطورية وكسب المجد لإسرائيل» ، والمعروف أن سياسة مناحيم بيجن تنادى بضم الأردن والبلدان المجاورة إلى إسرائيل حتى تتكون الدولة الجديدة من الحدود الأصلية لأرض كنعان .

---

(١) Reynier; A Jérusalem un drapeau pp. 69 — 70 .

الثار العربى ورد الفعل الاسرائيلى :

لم تشأ كرامة المجاهدين العرب إلا أن يثأروا لإخوانهم شهداء مذبحة دير ياسين ، فردوا على الإرهاب الصهيونى بمعركة « الهداسا » ، ولكن ما أعظم الفرق بين هذه وتلك ! ! فالحقائق التى أقرها مراقبو هيئة الصليب الأحمر (١) تشهد أن الإرهابيين اليهود كانوا يتسترون وراء علامة الصليب الأحمر « أو ما يقابلها » فينقلون المؤن والذخائر والمعدات الحربية خفية على أنها شحنات طبية إلى مستشفى الهداسا والجامعة العبرية التى اتخذ الإرهابيون منها موقعا استراتيجيا محصنا ، وذلك لوجودها على ربوة عالية تكشف القدس العربية .

وتحت ستار راية الصليب الأحمر كانت القوافل المسلحة تمر تباعا لتموين العصابات الإرهابية وتجديد القوات وإمدادها بالعدد والذخائر . فما كان من المجاهدين العرب إلا أن هاجموا إحدى القوافل بعد حادثة دير ياسين ، وأجهزوا على رجالها ، وكشف مراقبو الصليب الأحمر عن خداع الإرهابيين وانتهاكهم لاتفاقيات جنيف الخاصة بحرمة المستشفيات وقوافل الجرحى ، إذ كانوا ينقلون معدات حربية فى قوافل مسلحة تحت ستار علامة الصليب الأحمر .

وقد علق رينيه Reynier على هذا المسلك الشائن بقوله : « كان على اليهود أن يختاروا إما علامة الصليب بمعناها المتفق عليه فينقلوا مرضاهم وجرحاهم فى قوافل عزل من السلاح ، وإما أن يتنقلوا فى قوافل مسلحة لأغراض حربية غير متسترة وراء قناع الصليب الأحمر .

« ولكن الصهيونيين أرادوا أن يستغلوا الطريقين إلى أبعد حدود الاستغلال فكان عليهم تحمل العواقب » .

---

(١) شهد بذلك رئيس الصليب الأحمر فى فلسطين فى كتابه :

(٢) Reynier, A Jérusalem un drapeau, pp. 69 — 70.

وسارت الحال من سيء إلى أسوأ ، والإرهابيون يعدون عدتهم كاملة ويقرنون هذا الاستعداد بالضغط السياسي والمراوغة والتحايل واستغلال نفوذ الصهيونية فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى نيويورك وواشنطن بصفةخاصة .

٦ — ظفر الله خان وزير خارجية الباكستان :

قال موجها حديثه إلى الدول الغربية : « لا تنسوا أنكم ستحتاجون فى المستقبل إلى حلفاء وأصدقاء فى الشرق الأوسط ، ولهذا فأرجو ألا تخسروا ما لكم من رأسمال فى تلك البلاد » .

ثم أضاف يسأل الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية : « ما الغاية من إنشاء دولة يهودية ؟ أهو من باب الدافع الإنسانى . . . ؟ إذا كان الأمر كذلك فلماذا أقفلتم أبواب حدودكم فى وجه اليهودى الذى لا ملجأ له . . ؟ ولماذا تصرون إذن على إسكانهم فلسطين ، بل ومساعدتهم على إقامة دولة . . حتى يصبح ذلك اليهودى الذى كان بالأمس بلا مأوى يحكم العربى الفلسطينى . . ؟ » .

وأخيراً أنهى خطابه بالتهكم على الحجج والأسباب التى بررت بها الدول الكبرى إقرار مشروع التقسيم .

وعندما انتهى الاقتراع على المشروع وقف ظفر الله خان يعلق على النتيجة بقوله :

« لقد سعينا لإحقاق الحق الذى استوحيناه من الله . . ونجحنا فى إقناع عدد من مندوبى الدول ليروا الحق كما لمسناه . . ولكن مساعينا ضاعت فى التيار الجارف . . نحن لا نحقد على زملائنا المندوبين الذين أكرهوا تحت الضغط والإغراء الشديدين أن يبدلوا موقفهم ويقترعوا على مشروع لا تقره العدالة ولا الإنصاف » .

القرارات

١ — مؤتمر بلودان ١٩٣٧/٩/٨ :

رفض العرب توصيات لجنة بيل ٧/٧/١٩٣٧ التى تنص فى الباب الثالث منها على مشروع بتقسيم فلسطين ، وعادت ثوراتهم من جديد وهى أكثر ما تكون صمودا وثباتا ..وضج العالم العربى كله بالشكوى ، واحتجت حكومات العراق ومصر والسعودية على مسلك الإنجليز والصهيونية ، وعقد العرب مؤتمراً لهم فى بلودان ، وفيه أعلنوا عدة قرارات كان من أهمها :

١ — رفض مشروع بيل رفضا باتا .

٢ — اعتبار فلسطين دولة عربية وهى جزء من الوطن العربى .

٣ — ضرورة العمل على إلغاء الانتداب الإنجليزى .

٤ — وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

٥ — العمل على منع اليهود من الاستيلاء على الأراضى العربية الفلسطينية.

وأحست إنجلترا بالخطر يحدق بها ، ويبدو أنها كانت تتوقع الحرب العالمية الثانية فرأت أن تسترضى العرب ليقفوا مع الحلفاء فى حربهم مع الألمان ، وحتى لا يقوموا بثورة ضد الإنجليز كما فعلوا فى الحرب الأولى مع الأتراك . لذلك أسرعت إنجلترا بإصدار ما أسمته بالكتاب الأبيض ، وفيه أعلنت عدولها عن فكرة التقسيم ، وأنها تنوى إقامة دولة فى فلسطين يحكمها ثمانية منهم ستة من العرب واثنان من اليهود ، ويرأس هذه الدولة حاكم بريطانى وذلك لمدة عشر سنوات تصبح فلسطين بعدها قادرة على حكم نفسها بنفسها . ونص على الهجرة حتى يصبح عدد اليهود نصف عدد السكان فى فلسطين أى مساويا لعدد العرب .

كان الكتاب الأبيض بهذه الصورة يبدو فى ظاهره لمصلحة العرب ، ولكنه فى الحقيقة لم يكن إلا مرحلة من مراحل التآمر الصهيونى على فلسطين.

٢ — مطالب العرب امام لجنة كنج كرين King Crane ، ومؤتمر دمشق في ٨ مارس ١٩٢٠ لتاكيد هذه المطالب :

تكونت لجنة كنج كرين سنة ١٩٢٠ وسافرت إلى سوريا ، واتصلت بزعماء العرب ، وعرفت آراءهم ومطالبهم ، وكانت هذه المطالب تتلخص في :

١ — ضرورة استقلال سوريا الكبرى « لبنان والأردن ، وفلسطين ، وسوريا الحالية » على أن يصبح الشريف حسين ملكا عليها .

٢ — استقلال العراق على أن يصبح الأمير فيصل ملكا عليه .

٣ — يرفض العرب كل ما جاء في اتفاقية سايكس / بيكو لأنه يتعارض مع رغباتهم .

٤ — يعلن العرب في عزم أكيد رفضهم لما جاء في تصريح بلفور ، ويصرون على أن فلسطين دولة عربية .

٥ — يصر العرب على الاستقلال ، ويرفضون كل صورة من صور التدخل والسيطرة . . . حتى لو كانت في صورة الانتداب .

إلا أن إنجلترا وفرنسا كانتا واثقتين من نفسيهما ، ومن إهمال مقترحات لجنة كنج كرين . . لذلك عادتا تؤكدان مرة أخرى عزمهما على تنفيذ ما جاء في قرارات مؤتمر الصلح ، ولم توافقا على قرارات مؤتمر دمشق ، ولم تكد تمضي أيام قليلة حتى اجتمع مجلس الحلفاء في سان ريمو في إبريل عام ١٩٢٠ ، وأعلن أعضاؤه وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ، وفلسطين والعراق وشرق الأردن تحت الانتداب الإنجليزي .

٣ — مؤتمر بلودان في ١٢ يونية ١٩٤٦ :

في ١٣ نوفمبر عام ١٩٤٥ طلب بيفن إشراك الولايات المتحدة في حل قضية فلسطين فشكلت لجنة من البلدين لدراسة القضية ، وقررت هذه اللجنة السماح

بهجرة ١٠٠ ألف يهودى فى الحال ، وغضب العرب لهـذا القرار ، وعقدوا مؤتمراً فى بلودان فى ١٢ يونيو عام ١٩٤٦ ، وطالبوا بالدخول فى مفاوضات مع بريطانيا لإنهاء الوضع القائم على أساس ميثاق الأمم المتحدة وحقوق العرب فى البلاد، وتحدد يوم ١٠ سبتمبر عام ١٩٤٦ موعداً لعقد مؤتمر لندن للمفاوضة . وقرر وزراء الخارجية العرب عدم الاجتماع مع مندوب إسرائيل على مائدة واحدة ، وعدم قبول أى مشروع يهدف إلى التقسيم ، وعدم قبول تدخل الولايات المتحدة الأمريكية .

وبالنسبة لأهمية المذكرة التى بعثت بها الحكومات العربية بناء على قرار مجلس جامعة الدول العربية المنعقد فى بلودان فى ١٢ يونيو ١٩٤٦ ، فإننا نلخص فيما يلى ما جاء بهذه المذكرة :

١ — لا مبرر على الإطلاق لتشكيل لجنة إنجليزية أمريكية لدرس قضية فلسطين وخاصة أن القضية درست دراسة وافية من قبل لجان متعددة .

٢ — الحكومات العربية ترى أن بريطانيا بوصفها الدولة المنتدبة على فلسطين هى المسئولة عما يقع من إهدار لحقوق العرب السياسية والمدنية فى فلسطين ، وأنه ليس هناك مسوغ قانونى يبيح تدخل الولايات المتحدة الأمريكية للتأثير على الوضع القائم فى فلسطين .

٣ — الانتداب على فلسطين باطل من أساسه فإن تصريح بلفور الذى تضمنه صك الانتداب ، وما نجم عنه من حرمان لعرب فلسطين من التمتع بحقوقهم السياسية والمدنية ، جاء مناقضا الفقرة ٤ من المـــادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم .

٤ — أن الحكومة البريطانية قد فسرت معنى الوطن القومى فى مناسبات

مختلفة أهمها الـكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ والرجوع عن هذا التفسير يعتبر تحديا لحقوق العرب المشروعة .

٥ — واجب على الحكومة البريطانية أن توقف الهجرة فوراً ، وأن تقصى كل المهاجرين الذين دخلوا البلاد عنوة ، وإلى أن يتم هذا فلايجوز أن يتمتعوا بالحقوق السياسية التى للرعايا الفلسطينيين .

عقد مؤتمر لندن فى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٦ واستمر حتى ٢ أكتوبر سنة١٩٤٦ وقدمت بريطانيا مشروع موريسون الذى يرى إنشاء دولة فيدرالية من العرب واليهود تحت إشراف بريطانيا . ورفض المندوبون العرب هذا المشروع وتقدموا بمشروع يقضى بقيام دولة مستقلة ، وتـكوين حـكومة انتقالية — برئاسة المندوب السامى — تتألف من سبعة من العرب وثلاثة من اليهود ووقف الهجرة واحترام الأماكن المقدسة وعقد معاهدة تحالف مع بريطانيا . . ورفضت بريطانيا المشروع العربى وأصرت على قبول مشروع موريسون . ثم عادت وقدمت مشروع بيفن الذى يرى وضع فلسطين تحت وصاية بريطانيا لمدة خمس سنوات تقسم خلالها إلى أقسام إدارية تتمتع بالحـكم الذاتى ، ورفض العرب هذا المشروع .

ولم يعد هناك مفرمن عرض القضية على هيئة الأمم المتحدة .

٤ — دور الاستعمار فى تدعيم كيان اسرائيل :

فى ٤ إبريل سنة ١٩٥٠ أعلن مجلس الأمـة الأردنى الذى ضم ممثلين عن الأجزاء الفلسطينية التى يسيطر عليها الجيش الأردنى توحيد هذه الأجزاء مع « شرق الأردن » فى دولة واحـــدة أطلق عليها « المملـكة الأردنية الهاشمية » .

ولم تعترف الدول العربية بهذا التوحيد إنما اعتبرت أن هذه الأجزاء

الفلسطينية « الضفة الغربية للأردن » وديعة لدى الأردن لحين التسوية النهائية للقضية ، فيما عدا العراق التى اعترفت بوحدة الأجزاء الفلسطينية مع الأردن .

وهكذا وبعد أن أطلق اليهود اسم « إسرائيل » على الأجزاء المحتلة من فلسطين زال كيان فلسطين ورفع اسمها من خريطة العالم لأول مرة فى التاريخ .

٥ — عرض عام للتآمر الامبريالى الصهيونى :

انتقلت قضية فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة ولم يسبق لها مثيل فى بواعثها وظروفها ومسارها وتتلخص فيما يلى :

١ — أن فلسطين بلد عربى منذ ثلاثة عشر قرنا .

٢ — ثورة العرب على الأتراك بزعامة الشريف حسين بهدف الاستقلال، وانضمامهم إلى الحلفاء محاربين فى صفوفهم على أمل نيل استقلالهم ، ووعدتهم إنجلترا بتحقيق أمانيهم .

٣ — تأكيد بريطانيا لتحقيق آمال العرب فى الاستقلال باسم الحلفاء فى رسائل حسين/ مكماهون .

٤ — أن هدف العرب حق طبيعى أيدته المبادىء التى نادى بها الحلفاء وأكدها الرئيس ولسن ، وضمنها ميثاق عصبة الأمم «حق تقرير المصير» .

٥ — أن الحلفاء غدروا بالعرب فلم يفوا بوعودهم وفرضوا على بلادهم نظام الانتداب بمقتضى اتفاقية سايكس / بيكو ، وقرارات مؤتمر سان ريمو فى ذات الوقت الذى اعترفوا فيه بحق العرب فى الاستقلال وحق العرب فى تقرير مصيرهم بأنفسهم .

٦ — انتهى الانتداب على سورية ولبنان والعراق وتمتعت بالاستقلال والسيادة مع ارتباطها بمعاهدات مع إنجلترا وفرنسا قبل التحرر

الـكامل ومولد الجمهورية العربية المتحدة ، إلا فلسطين ، وهى داخلة فى نطاق المادة ٢٢ من ميثاق الأمم المتحدة ولـكنها حرمت مما تمتعت به مثيلاتها .

٧ — أن سبب الحرمان هو تصريح آرثر بلفور الذى صدر باسم حكومة بريطانيا لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وكان أهم باعث عليه مطامعها الاستعمارية فى فلسطين كمنطقة استراتيجية لمصالحها فى الشرق .

٨ — بالرغم من أنه لاحق لبريطانيا فيما وعدت به ، ونـكثها بعهدها مع العرب ، فقد استطاعت التآمر مع اليهود فى إقحام التصريح فى صك الانتداب على فلسطين .

٩ — أن صك الانتداب حمل بريطانيا مهمة تسهيل تهويد فلسطين وإنشاء الوطن القومى لليهود .

١٠ — أن صك الانتداب وتصريح بلفور اشترطا ألا يكون حيف على أهل فلسطين ومركزهم من جراء إنشاء ذلك الوطن اليهودى .

١١ — لقد كان الصك والتصريح يحتويان على التزامين متعارضين ، ولـكن الحقيقة أن الحـكومة البريطانية اندفعت فى قيامها بالتزامها لليهود فألحقت بحقوق العرب ومركزهم أكبر الأضرار .

١٢ — أن اليهود غذوا وما زالوا يغذون حركتهم بدعايات مضللة بما يملـكونه من وسائل بارعة وقوية فى مختلف أنحاء العالم .

١٣ — أن اليهود بنوا حركتهم على صلتهم التاريخية بفلسطين وخدعوا بها الأمم مع أن هذه الصلة قد انتفت نهائيا منذ تخريب الإمبراطور تيطس للهيكل سنة ٧٠م وتشتيتهم فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية سنة ١٣٥ م فى عهد الإمبراطور هادريان .

١٤ — أنهم ادعوا أن فلسطين مهجورة مقفرة مع أنها مكتظة بالعرب وهم أصحابها ، وفى درجة من الرقى الاجتماعى والثقافى والعمرانى لا تقل عن أحسن البلاد فى الشرق الأدنى والشرق الأوسط .

١٥ — أن الباعث على حركتهم هو ما لقيه اليهود فى أوربا الشرقية خاصة من اضطهاد لا يد للعرب فيه ، فليس من الحق أن يحملوا تبعته .

١٦ — أن فلسطين لا يمكن أن تحل ما يسمى بمشكلة اليهود « المشردين والمذلين » .

١٧ — لقد انهدم الباعث على اضطهاد اليهود بعد انتصارات الديمقراطيات وصار فى مقدور دولها أن تضمن لليهود أمناً وطمأنينة فى بلادها لو أن تلك الدول فتحت صدرها لهجرة مشردى أوربا إلى بلادهـــا ، ولو أنها كانت جادة مخلصة فى توجيهها ، وعادلة فى سياستها ما كنا نسمع بمشكلة فلسطين ، وما كنا نسمع أدعياء أوربا من اليهود المشردين يدعون كذبا أن بلدهم هو فلسطين ! ! بل أى يهودى أمثال ألبرت أينشتاين ، وفايرستون يفضل الهجرة إلى فلسطين حيث الضيق الاقتصادى ، على أن يهاجر إلى كندا أو أمريكا حيث العيش الرغد والمجال المتسع للمشروعات والأعمال ، وحيث لا تعصب نازياً ضدهم ؟ !

١٨ — أن فى أمريكا ، وأستراليا ، وإفريقيا ، وجزر الباسفيك الواسعة الغنية والمقفرة من السكان وغيرها متسعا لليهود إذا ما أرادوا أن ينشئوا لهم كيانا .

١٩ — ليس اليهود اليوم شعباً ولا قوماً ، وإنما هم نحلة دينية ومحاولتهم إنشاء وطن لهم محاولة شاذة ، لأنها ترمى إلى جمع مختلف الجنسيات والأهواء فى وطن واحد على أساس الدين .

٢٠ — أن اليهود فى موقفهم فى فلسطين يماثلون النازية وبالتالى يناوئون الديمقراطية مع اختلاف الدوافع ، إذ أن النازية اضطرت إلى استئصال اليهود وإبادتهم لأنهم كانوا السبب المباشر فى هزيمة ألمانيا فى الحرب الـكونية الأولى وإذلالها وامتصاص دماء الشعب الألمانى ، أما العرب فهم قوم مسالمون متسامحون لا ذنب لهم فيما وقع على اليهود من العذاب والتنـكيل والتشريد :

إن اليهود يمارسون أعمال النازية مع اختلاف الدوافع إليها ليفرضوا كيانهم وأقليتهم على الأكثرية العربية ، وإرغام العرب على التخلى عن وطنهم لهم وقبول هجرتهم إلى فلسطين .

٢١ — لقد استطاع اليهود بنفوذهم وإغراءاتهم ومنظماتهم وتغلغلهم فى نيويورك وفى واشنطن وفى لندن وفى باريس وفى موسكو أن يحصلوا على تأييد أوساط مهمة فى أمريكا وبريطانيا لمطالبهم وتأييد أساليبهم ومواقفهم الشاذة رغم مخالفتها لمبادىء الديمقراطية .

٢٢ — لن يكتب للهدف اليهودى فى فلسطين أى نجاح سياسيا واقتصاديا لاعتبارات وجيهة سياسية واقتصادية واجتماعية وبيئية .

٢٣ — إن العرب والمسلمين فى الشرق الأدنى والأوسط لن ييئسوا من النضال ضد ذلك الهدف وضد مؤيديه مهما طال الزمن ، وسيتطور هذا النضال تطوراً خطيراً .

٢٤ — أن هذه الحركة حركة استيطان اليهود على حساب طرد العرب من أراضيهم هى بذرة شر وفتنة وقلاقل ودسائس مستمرة فى الشرقين الأوسط والأدنى .

٢٥ — أن هذه الحركة نقلت جرثومة اللاسامية إلى هذين الشرقين .

٢٦ — لقد استنكر العرب فى فلسطين وغيرها هذه الخطة منذ الأصل ، وكانت الحكومة البريطانية تكابر وتستمر فى محاباتها لليهود والتنقص من حقوق العرب بالقوة ، فكان هذا مما دعا إلى تكرار الاضطرابات العربية .

٢٧ — أرسلت الحكومة البريطانية لجان تحقيق عديدة منها :

(أ) لجنة الاستفتاء الأمريكية فى يونيو عام ١٩١٩ .

(ب) لجنة شو فى ٢٤ أكتوبر عام ١٩٢٩ .

(ح) تقرير الخبير جون سمبسون عام ١٩٣٠ .

(د) لجنة التحقيق الملكية فى نوفمبر عام ١٩٣٦ .

(ه) اللجنة الأمريكية الانجليزية فى ديسمبر عام ١٩٤٥ .

وأذاعت كتبا بيضاء لتصحيح الأوضاع وانتهاج سياسة الحق والعدل ، ومن هذه الكتب البيضاء :

(أ) الكتاب الأبيض لعام ١٩٢٢ أصدره ونستون تشرشل وزير المستعمرات .

(ب) الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ أصدره باسفيلد وزير المستعمرات .

(ح) الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ . وقد قابل عرب فلسطين والدول العربية هذا الكتاب بتحفظ شديد لسابق خبرتهم بألاعيب بريطانيا ، أما اليهود فقد سارعوا إلى رفض هذا المشروع الجديد لأنه يخالف جميع اتفاقيات بريطانيا السرية والعلنية معهم .

ومع هذا لم تنفذ بريطانيا ما كان فى صالح العرب من توصيات وعهود .

٢٨ — فى سنة ١٩٣٩ اعترفت بريطانيا بأخطائها وتناقض التزاماتها وقيامها بواجبها نحو اليهود على حساب العرب المواطنين ، وقررت تصحيحاً للأوضاع

أنها -تمنح فلسطين استقلالها وتلغى عنها انتدابها وتوقف الهجرة اليهودية إليها ، ولكنها لم تتقدم خطوة ما لتنفيذ ذلك .

٢٩ — فى سبتمبر سنة ١٩٤٦ عقد مؤتمر لندن الثانى واشترك فيه مندوبون عن مصر والعراق وسوريا والأردن والمملكة السعودية واليمن وفلسطين كما حضره مندوبون عن الوكالة اليهودية .

وكان هذا المؤتمر فرصة ذهبية لبريطانيا للتحلل من التزاماتها الواردة فى الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ . وفى هذا المؤتمر قدم العرب مشروعا على أساس ما أعلنته بريطانيا فى سنة ١٩٣٩ فرفضته هذه المرة ، كما رفض اليهود مشروع موريسون الذى يقضى بتقسيم فلسطين إلى أربع مناطق إدارية تتمتع بنوع من الحكم الذاتى . وأصدرت بريطانيا مشروع بيفن نسبة إلى مستر بيفن وزير الخارجيةوهو لا يختلف كثيراً عن مشروع موريسون ، وقد رفض العرب هذا المشروع الجديد أيضا وتمسكوا بضرورة إلغاء الانتداب وإعلان استقلال فلسطين وإعطاء شعبها حق تقرير المصير .

٣٠ — لقد كان الإرهاب الصهيونى على أشده نتيجة لتساهل الحكومة البريطانية ،وإن العرب- والحق يناصرهم والعدالة تؤيدهم-يأبون النظرفى قضية فلسطين على أساس تسوية خلاف بينهم وبين اليهود الدخلاء ، ويرفضون أشد الرفض أى تسوية للقضية على أى شكل من أشكال التقسيم وإنشاء كيان قومى خالص لليهود ، فإن فلسطين عربية وستظل عربية .

٦ — جريمة الصهيونية فى القرن العشرين :

إن جريمة الصهيونية ومن ساندوها لا تعادلها جريمة فى التاريخ ، والجريمة لا تزال مستمرة ، وأسنادها القدماء لا يزالون هم أسنادها الجدد المحدثين . . إن ما يجرى فى القدس الآن هو ما جرى طوال العشرين سنة الماضية :

« طرد العرب من ديارهم ، وإحلال اليهود محلهم » ، وقد آن الأوان لكي تتوقف الجريمة ، ويلاقى من أعدوها ونفذوها وساندوها جزاءهم الأوفى والعادل ، ولن يكون ذلك إلا بإزالة إسرائيل من الوجود ، وانتزاع فلسطين منهم وردها إلى أهلها العرب .

إن أكثر من مليون ومائتى ألف عربى من سكان فلسطين تحولوا منذ عام ١٩٤٨ إلى لاجئين مشردين فى الخيام والأكواخ يعيشون حياة الفقر والمرض على فتات مساعدات الأمم المتحدة .

ولم يبق فى فلسطين حتى ٥/٦/١٩٦٧ من سكانها العرب الشرعيين إلا حوالى ٢٧ ألفا يعيشون تحت وطأة الاحتلال الصهيونى حياة معسكرات اعتقال جماعية فى ظل عملية اضطهاد عنصرية دائمة .

٧ — القرار رقم ١٩٤ «٣» :

قدمت لجنة الاستقصاء الاقتصادى المنبثقة عن الأمم المتحدة والتى عرفت تحت اسم « لجنة كلاب » فى ديسمبر عام ١٩٥٠ تقريرا إلى الجمعية العامة بعد أن عهد إليها بدراسة وسائل إعادة كيان اللاجئين الاقتصادى جاء فيه :

« يعتقد اللاجئون أن من مقتضيات الحق والعدالة أن يسمح لهم بالعودة إلى بيوتهم ومزارعهم وقراهم ، وإلى المدن الساحلية كحيفا ويافا ، التى جاء الكثيرون منها . . . إنهم يحنون إلى ديارهم ويريدون العودة إليها حتى ولو قيل لهم إن الأوضاع تبدلت فى غيابهم ، وإنهم لن يكونوا سعداء إذا ما عادوا . وحتى لو قيل لهم إن منازلهم وبيوتهم قد دمرت،أجابوا: لا بأس فالأرض باقية...» .

وقدم مدير الوكالة فى عام ١٩٥١ تقريراً جاء فيه : « من الغريب أن معنويات اللاجئين العامة أرفع مما كان متوقعا ، لا سيا وقد قضوا أكثر من

عامين فى حياة النفى والتشريد ، وفى ظل أقسى الأوضاع وأشقها ، فاللاجىء يريد قبل كل شىء أن يعود إلى بيته السابق . . . وهو يعتبر الأمم المتحدة مسئولة عن الأوضاع التى تردى فيها » .

ثم رفع المدير العام تقريراً فى سنة ١٩٥٣ ثم آخر فى سنة ١٩٥٤ ثم آخر فى سنة ١٩٥٥ تضمن ما يلى : « ستظل رغبـــة اللاجئين العارمة فى العودة إلى وطنهم ، العامل البارز فى تـكييف مواقفهم ، وفى التأثير على سياسات حـكومات الشرق الأدنى تجاه هذه القضية ، ولم يضعف هذا الشعور خلال هذا العام ، وعلينا ألا نقلل من قيمة ما فيه من قوة ، فنداء العودة ينبع بصورة رئيسية من حنين الشعب الحنين الطبيعى إلى دياره القديمة » .

ورفع المدير العام تقريرا فى سنة ١٩٥٦ ثم آخر فى سنة ١٩٥٧ جاء فيه :

« تعتقد جماهير اللاجئين الغفيرة حتى الآن أن إجحافا عظيما ألحق بهم ، وهم يواصلون الإعراب عن رغبتهم فى العودة إلى وطنهم ، وهم يطلبون بصورة خاصة تنفيذ الفقرة الثانية من قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ «٣» الصادر فى ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ » .

ووجه المدير العام الإنذار بما فيه من معان وأغراض إلى الجمعية العامة فى عام ١٩٥٧ أى بعد ثمانى سنوات من قيام الوكالة ونصه : « ما لم يعط اللاجئون حق الاختيار بين العودة والتعويض ، فسيكون مما يجافى الواقعية أن تعتقد الجمعية العامة بإمكانية إنجاز أى تقدم حاسم . . فى طريق إدماج اللاجئين فى حياة الشرق الأدنى الاقتصادية سواء بطريق العودة أو بطريق الإسكان » .

ويشير المدير العام إلى أنهـــا ليست جريرة اللاجئين ، ولا جريرة الدول العربية ، وإنما هى جريرة إسرائيل ، فهى برفضها عودة اللاجئين قد عرضت

مهمة الوكالة للفشل ، وهو الفشل الذى لا تحتاج الوكالة فى تجنبه إلى سحر أو معجزة ، إنما هو ثمرة حتمية لتحدى إسرائيل وغلوائها .

وأشار المدير العام فى تقريره إلى الدورة الثالثة عشرة للجمعية العامة من جديد إلى فشل الإدماج ، فقال : «وستظل العراقيل قائمة فى طريق الجهود التى تبذلها وكالة الأمم المتحدة لتشغيل اللاجئين الفلسطينيين وإغاثتهم فى تنفيذ المهمة الموكولة إليها فى تحقيق إدماج اللاجئين فى حياة الشرق الأدنى الاقتصادية عن طريق العودة أو الإسكان وذلك بسبب الافتقار إلى حل لهذه المشكلة السياسية » .

ثم رفع تقريراً فى سنة ١٩٥٨ ثم آخر فى عام ١٩٥٩ جاء فيه :

« ما زال الأمل الذى يساور نفوس اللاجئين بالاختيار بين العودة إلى ديارهم السابقة وبين التعويض وفقا للفقرة الثانية من القرار رقم ١٩٤ «٣» غير منفذ على الرغم من مضى أحد عشر عاما من المآسى وتثبيط الهمم والعزائم » .

ويرى المدير أن تنفيذ هذه الفقرة سيظل فى رأى اللاجئين الحل الجوهرى المقبول الطويل الأمد .

وقد توالت قرارات تضاف إلى القرار الأصلى ١٩٤ «٣» الصادر فى عام ١٩٤٨ ، وجميع هذه القرارات المتعلقة بمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ذكرت الصورة فى أشكال متعددة ومختلفة إما بالتذكير بالقرارات السابقة ، أو بتأكيد العودة ، أو بملاحظة عدم تنفيذها ، أو باستخدام عبارة : « دون المساس بحقوق اللاجئين » ، أو بذكرها بصورة خاصة عند ترديد الفقرة الثانية من قرار عام ١٩٤٨ ، وقد أدرجت مثل هذه العبارات فى كل قرار من القرارات التى أصدرتها الجمعية العامة حتى يومنا هذا منها :

٢١٣ « ٣ »	٣٠٢ « ٤ »	٣٩٣ « ٥ »	٣٩٤ « ٥ »	٥١٢ « ٦ »	٥١٣ « ٦ »
٦١٤ « ٧ »	٧٢٠ « ٨ »	٨١٨ « ٩ »	٩١٦ «١٥»	١١٩١ «١٢»	١٣١٥ «١٢»
١٠١٨ «١١»					

لقد أصدرت الجمعية العامة قرارها المعروف رقم ١٩٤ « ٣ » الذى يعرف بقرار العودة ، وقد نص فى فقرته الثانية على وجوب عودة اللاجئين الذين يرغبون فى العودة إلى بيوتهم فى أسرع وقت ممكن ، وتعويض أولئك الذين يؤثرون عدم العودة ، ولم تكتف الجمعية العامة بإعلان هذا الحق ، بل أقامت وكالة لها دعتها بلجنة التوفيق تتولى تذليل العقبات فى طريق العودة ، وأقامت الجمعية فى الدورة نفسها وإلى أن تتم العودة وكالة منفصلة عن الأمم المتحدة بموجب قرارها رقم ٢١٢ «٣» تتولى تزويد اللاجئين بالإغاثة لفترة مدتها تسعة أشهر . وهكذا تكون الجمعية العامة فى دورتها الثالثة قد اتخذت قراراتها بصدد ثلاث قضايا وهى :

١ — عودة اللاجئين .

٢ — تشكيل لجنة لتنفيذ العودة .

٣ — وضع برنامج للإغاثة يطبق انتظاراً للعودة .

وفى الدورة الرابعة تقرر أن تخلف وكالة الغوث هيئة أخرى تسمى وكالة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهم ؛ وهى الوكالة عينها التى ظلت تصطرع مع مشكلاتهم حتى يومنا هذا .

٨ — تحقير اسرائيل لقرارات الأمم المتحدة :

فى أحد اجتماعات الجمعية العامة لهيئة الأمم عام ١٩٥٢ اقترح ثمانية من مندوبى الدول الصغرى على الهيئة ، مشروعا يقضى بدعوة الدول العربية

وإسرائيل لتسوية خلافاتها ، ولكن مندوبى الدول العربية رفضوا المشروع ، مشترطين قبل البحث فيه إرغام إسرائيل على تنفيذ قرارات هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى ، بشأن تدويل القدس ، وحق العرب الفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم .

وهذا المشروع كانت اللجنة السياسية الخاصة قد أقرته بأكثرية ٣٢ صوتا ضد ١٣ صوتا ، وتغيب الكتلة السوفيتية . وعندما أحيل إلى الجمعية العامة لإقراره بصفة نهائية ، انضم إلى الدول العربية والآسيوية المعارضة للمشروع سبع دول من جمهوريات أمريكا اللاتينية وبذلك رفض المشروع . والسبب الذى دفع هذه الدول إلى الوقوف إلى جانب الكتلة العربية والآسيوية هو تصريح نشرته جريدة « نيويورك تايمز » لدافيد بن غوريون قال فيه : « إن قضية القدس أمر واقعى ، فلا يجب البحث فيه » ؛ والمعنى الواضح لهذا القول : هو تحقير لقرارات هيئة الأمم المتحدة وتحد سافر لها ، هذه الهيئة التى اتخذت ثلاثة قرارات متتالية بوجوب تدويل القدس ، ومنحت كافة الصلاحيات للجنة التوفيق الدولية ، لاتخاذ الخطوات اللازمة للتدويل .

والجدير بالذكر ، أنه فى الدورة النهائية للاقتراع على إجراء مباحثات بين العرب وإسرائيل ، وقفت الكتلة السوفيتية إلى جانب العرب ، كما أيدت شكوى شمالى إفريقيا ضد فرنسا وإنجلترا وأمريكا .

وهكذا اتسعت الهوة بين الدول العربية وأمريكا ، وأصبح إيمان العرب بالنظام الديمقراطى ضعيفا ، بينما ازداد اقتناعهم بأن الروس هم حماة الحرية والمدافعون عن الشعوب الصغيرة المستضعفة .

وبينما كانت ألمانيا الشرقية تتودد إلى العرب أخذت ألمانيا الغربية ، بضغط من الولايات المتحدة الأمريكية ، تحاول استرضاء إسرائيل ، فوافقت على دفع

مبلغ ٧١٥ مليون دولار كتعويضات لليهود عن الخسائر التى أنزلها بهم الحكم النازى ، كما وافقت على دفع ١٠٧ مليون دولار إلى ٢٢ مؤسسة يهودية فى أمريكا ، مقابل الأملاك اليهودية فى ألمانيا .

والطريف فى الأمر أنه لكى تتمكن ألمانيا الغربية من تسديد هذه التعويضات وافقت أمريكا على منحها القروض اللازمة ، ولما كانت الدول العربية تعتبر نفسها فى حالة حرب مع إسرائيل ، فقد اعترضت على هذه التعويضات واعتبرت موافقة ألمانيا الغربية خرقا للحياد، مستشهدة بموقف ألمانيا الشرقية التى رفضت دفع مبلغ ٥٠٠ مليون دولار طالبت بها إسرائيل كتعويضات .

٩ — النضال العربى الفلسطينى :

تصدى للنضال من أجل فلسطين جامعة الدول العربية ، وظل الشعب الفلسطينى غائبا عن مجال قضيته أو على الأصح معزولا — رسميا على الأقل — عن حقه فى تقرير مصيره ، وحقه فى توجيه قضيته حسبما يرى ، وحسبما يريد ، مما ترك آثاراً سلبية على القضية وعلى الشعب على حد سواء .

ولعل أصالة الوعى الثورى وقوته سيطرت على اتجاهات الشعب الفلسطينى، ومنحته إدراكا لدوره فى توجيه النضال الوطنى مما يحتم وحدة النضال قيادة وتنظيما تحت راية منظمة التحرير الفلسطينية ، هذه المنظمة التى ثبت شرعيتها مؤتمر القمة للرؤساء والملوك الذى عقد بمدينة الإسكندرية فى سبتمبر عام ١٩٦٤ .

وهذه المنظمة هى امتداد للشخصية الفلسطينية التى ظلت قائمة على مدى ثلاثين عاما متجسدة فى الثوار الأحرار تناضل منذ عام ١٩١٩ ضد قوى

الاستعمار البريطانى . إن شعب فلسطين العريق فى أصوله كبقية الشعوب العربية ، أصيل فى أرضه ووطنه كبقية الأراضى والأوطان العربية .

وفى عهد الانتداب برزت هذه الشخصية الفلسطينية قائمة بكفاحها ونضالها وقائمة بالإضراب العام لفترة مداها ستة أشهر لعام ١٩٣٦ ، وقائمة بأعمالها البطولية الفدائية وبقوائم شهدائها الذين قدمتهم خلال ثلاثين عاما ، والشعب الفلسطينى يناضل ويجاهد الاستعمار البريطانى ومؤامراته مع الصهيونية على انتزاع أرض فلسطين وطرد أهلها واغتصاب أملاك العرب .

واليوم تبرز الشخصية الفلسطينية بكفاحها ونضالها بالحروب الفدائية لاسترداد الأرض بالقوة .

إن كل القضايا التحررية فى الأمم المتحدة كان شعبها وراءها منظما فى المحافل الدولية ومكافحاً فى أرض الوطن ، قضايا إفريقيا ، القضايا العربية ، القضايا الآسيوية كلها كانت موجودة فى الأمم المتحدة وشعوبها وراءها منظمة ومكافحة ومناضلة .

أما قضية فلسطين فكانت تدافع عنها الوفود العربية ، والجميع يسألون : أين الشعب الفلسطينى ؟ أين وفد فلسطين ؟

إن نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ تستحق الدراسة الطويلة ، فإن الأسباب التى أدت إلى وقوعها هى الأسباب نفسها التى حركت الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر القمة للملوك والرؤساء لإبراز الكيان الفلسطينى ، فولدت منظمة التحرير الفلسطينية عملاقاً جباراً متأهباً لاسترداد أرضه ووطنه .

بل إن العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ كان نقطة يقظة للأمة العربية تولدت عنها انتفاضات قومية من معارك مستعرة ومستمرة لتصفية الرجعية العميلة فى الأقطار العربية ، ومناوأة الاستعمار ، وتطهير الوطن العربى منه ، مما أدى إلى المواقف البطولية لشعب الجزائر ، والانتصارات الرائعة التى أحرزها المناضلون الجزائريون من أجـــل الحرية والاستقلال . وإن هذه الانتصارات وإن كانت ذات صبغة قومية واسعة إلا أنها تحمل بين جنباتها انتصارات تمهيدية تعبد الطريق لمعركة التحرير المرتقبة فوق ربوع فلسطين .

إن إسرائيل لا تزال الخطر الرئيسى على الأمن فى منطقة الشرق الأوسط منذ عام ١٩٤٨ إلى الآن ، وبالتبعية فهى خطر على السلم العالمى . إن منطقة الشرق الأوسط مهددة بانفجار كل لحظة وتنذر بعد كل اعتداء أو استفزاز بحرب جديدة فى المنطقة ، وأصبح الاعتماد على هيئة الأمم غير مجد نظراً لتسلط دول الاستعمار والنفوذ الصهيونى عليها .

كما أن الاعتماد على « التصريح الثلاثى » الذى صدر عام ١٩٥٠ أصبح غير مجد بعد ما اشتركت دولتان من الدول الثلاث الموقعة على هذا التصريح مع إسرائيل فى العدوان على مصر عام ١٩٥٦ ، وبعد ما تآمرت الدولة الثالثة مع إسرائيل فى العدوان على الجمهورية العربية المتحدة فى مايو ويونيو سنة ١٩٦٧ .

وأصبحت جميع التسويات والقرارات والحلول التى وضعت لحل القضية غير مجدية للوصول إلى حل نهائى . إن الحل العملى الوحيد هو القضاء على إسرائيل خدمة لمستقبل أمتنا العربية وتأكيداً لحق شعب فلسطين فى العودة إلى أراضيه المغتصبة وصيانة للأمن والسلام العالمى .

القضية الفلسطينية فى المؤتمرات الدولية

القضية الفلسطينية فى ثلاثة وثلاثين مؤتمرا دوليا من ١٩٥٤ الى ١٩٦٦ :

أعدت الأستاذة ليلى سليم القاضى سجلا عن هذه المؤتمرات نقتطف منه نماذج للاستشهاد بها على عدالة القضية الفلسطينية :

١ — مؤتمر كولومبو الاول :

الذى انعقد فى كولومبو وكاندى ، سيلان ، فى الفترة من ٢٨ إبريل إلى ٢ مايو ١٩٥٤ ، واشترك فيه خمس دول .

جاء فى متن القرار : « أبدى رؤساء الوزراء عند بحث الوضع فى الشرق الأوسط قلقا بالغا على مايعانيه اللاجئون الفلسطينيون، وحثوا الأمم المتحدة على إعادة جميع حقوق هؤلاء اللاجئين فى فلسطين ، وقد عبر رؤساء الوزراء عن تفهمهم لوضع اللاجئين وأكدوا أمنيتهم فى أن يروا حلا معجلا وعادلا للقضية الفلسطينية » .

٢ — المؤتمر الآسيوى الافريقى :

الذى انعقد فى باندونج ، أندونيسيا ، فى الفترة من ١٨ إلى ٢٤ إبريل ١٩٥٥ واشترك فيه تسع وعشرون دولة .

جاء فى الفقرة ٥ ، رقم ٣ : « نظراً للتوتر السائد فى الشرق الأوسط بسبب الوضع القائم فى فلسطين ، ونظراً للخطر الذى يشكله هذا التوتر على السلام العالمى أعلن المؤتمر الإفريقى الآسيوى تأييده لحقوق شعب فلسطين العربى ودعا إلى تنفيذ قرارات هيئة الأمم المتحدة المتعلقة بفلسطين وإلى إيجاد حل سلمى للقضية الفلسطينية » .

٣ — المؤتمر الاول للدول الافريقية المستقلة :

الذى انعقد فى أكرا ، غانا ، فى الفترة من ١٥ إلى ٢٢ إبريل ١٩٥٨ واشترك فيه ثمانى دول .

جاء فى الفقرة ٩ من القرار رقم ١٠ : « يعبر المؤتمر عن قلقه البالغ حول القضية الفلسطينية باعتبارها عاملا مهدداً للأمن والسلام العالميين، ويحث المؤتمر على إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية » .

٤ — مؤتمر بريونى :

الذى انعقد فى بريونى ، يوغوسلافيا ، فى الفترة من ١٨ إلى ١٩ يوليو ١٩٥٩ ، واشترك فيه ثلاث دول .

جاء فى القرار رقم ٩ : « . . . ضرورة حل مشكلات الشرق الأوسط فى ضوء مصالح شعوب المنطقة وحريتها وإرادتها كما يعتبر الموقف فى فلسطين بصفة خاصة خطراً على السلام . . لذلك يؤكد الرؤساء المجتمعون قرار مؤتمر باندونج الخاص بها » .

٥ — مؤتمر الدار البيضاء :

الذى انعقد فى الدار البيضاء — المغرب — فى الفترة من ٣ إلى ٧ يناير سنة ١٩٦١ ، واشترك فيه ثمانى دول .

جاء فى القرار رقم ١ : « . . . إن مؤتمر الدار البيضاء بعد أن درس قضية فلسطين الهامة ، وأمام القلق العميق الذى يشعر به المؤتمر من جراء الوضعية الناشئة فى فلسطين على أثر حرمان عرب فلسطين من حقوقهم المشروعة ، قد اتخذ القرارات التالية منها :

١ — يلح على ضرورة حل هذه المشكلة حلا عادلا طبقا لما نصت عليه مقررات الأمم المتحدة وقرار المؤتمر الإفريقى الآسيوى فى باندونج، كما يلح على أن تعاد إلى عرب فلسطين حقوقهم المشروعة .

٢ — يلاحظ باستنكار أن إسرائيل قد انحازت دائما إلى جانب الاستعماريين كلما كان الأمر يتعلق باتخاذ موقف حيال المشاكل الحيوية التى تواجه إفريقيا ، وخاصة منها قضايا الجزائر والكونغو والتجارب الذرية

فى صحراء إفريقيا ، ولذلك فإن المؤتمر ليندد بإسرائيل بصفتها أداة طيعة فى أيدى الاستعمار القديم منه والجديد ، لا فى الشرق الأوسط فحسب بل وفى إفريقيا وآسيا أيضاً » .

٦ — المؤتمر الاول لرؤساء الدول او الحكومات للبلدان غير المنحازة :

الذى انعقد فى بلغراد ، يوغوسلافيا، فى الفترة من ١—٦ سبتمبر سنة ١٩٦١ واشترك فيه ثمان وعشرون دولة .

القرار رقم ١٠ من الجزء الثالث من البيان الختامى :

« يندد المشتركون فى المؤتمر بالسياسة الاستعمارية التى تنتهج فى الشرق الأوسط ، ويعلنون تأييدهم لإعادة حقوق الشعب العربى فى فلسطين كاملة طبقا لميثاق الأمم المتحدة وقراراتها » .

٧ — المؤتمر الثانى لرؤساء الدول او الحكومات للبلدان غير المنحازة :

الذى انعقد فى القاهرة — الجمهورية العربية المتحدة — فى الفترة من ٥—١٠ أكتوبر ١٩٦٤ واشترك فيه سبع وأربعون دولة ، ومراقبون من عشر دول... جاء فى الفقرة ٥ رقم ١ :

«إن المؤتمر إذ يندد بالسياسة الاستعمارية، يقرر وفقا لميثاق الأمم المتحدة :

١ — تأييد استعادة حقوق الشعب العربى الفلسطينى فى وطنه استعادة كاملة وكذلك حقه الطبيعى فى تقرير المصير .

٢ — إعلان تأييده التام للشعب العربى فى فلسطين فى كفاحه للتحرر من الاستعمار والصهيونية » .

٨ — المؤتمر الثالث لتضامن الشعوب الافريقية الآسيوية :

الذى انعقد فى موشى، تنجانيقا ، فى الفترة من ٤—١١ فبراير سنة ١٩٦٣، واشترك فيه وفود من أربع وخمسين دولة .

جاء فى الفقرة ب القسم ١٣ :

١ — يؤكد المؤتمر جميع القرارات السابقة التى أصدرتها مؤتمرات تضامن الشعوب الإفريقية والآسيوية حول قضية فلسطين بتأييد حق الشعب العربى الفلسطينى بالعودة إلى بلاده وعودة بلاده إليه .

٢ — يؤيد المؤتمر حقوق شعب فلسطين فى إقامة كيان موحد مستقل فى أرضه وفى وطنه فلسطين .

٣ — يشجب المؤتمر المؤامرة الصهيونية الجديدة والتى دبرتها السياسة الاستعمارية الأمريكية ومن خلفها المسماة بمشروع الصلح بين الدول العربية وإسرائيل التى تستهدف تصفية قضية فلسطين وإبعاد الشعب الفلسطينى عن تقرير مصيره والحيلولة دون استرداده لبلاده .

٤ — يستنكر المؤتمر ويعلن مقاومته للهجرة الجماعية التى يحشدها الاستعمار والصهيونية لتقوية الاحتلال العدوانى العسكرى الجاثم على فلسطين العربية ، ويطالب المؤتمر جميع الدول الآسيوية والإفريقية بوقف هذه الهجرة المسخرة لصالح الاستعمار الجديد والصهيونية .

٩ — الدورة الثانية للمؤتمر الاسلامى العام :

الذى انعقد فى مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، فى الفترة من ١٧ — ٢٤ إبريل سنة ١٩٦٥ واشتركت فى المؤتمر وفود ستين دولة .

جاء فى متن القرار :

« أما بصدد قضية فلسطين فقد اعتبرها المؤتمر قضية إسلامية ودعا الدول الإسلامية إلى الإسهام فى تحرير أراضى فلسطين المقدسة التى احتلها الصهيونيون ، كما اعتبر الصهيونية حركة عدوانية وقرر أنها باغتصابها جزءاً

عزيزاً من أرض فلسطين ، إنما أعلنت حربا عدوانية على المسلمين وعلى المبادئ الإنسانية وحرية الشعوب » .

وقرر المؤتمر أيضاً رفض الاعتراف بالأمر الواقع القائم على الظلم والعدوان فى فلسطين ، كما أعلن رفض مقررات التقسيم الدولية .. ودعا الدول الإسلامية إلى تدريس تاريخ فلسطين وقضيتها وجعلها مادة إلزامية فى جميع معاهد التعليم فى كافة الدول الإسلامية ..

١٠ — اجتماع الامانة العامة لجمعية الصحفيين الافرو اسيوية :

الذى انعقد فى بكين ، الصين الشعبية ، فى الفترة من ٢٠ — ٢٤ إبريل سنة ١٩٦٦ واشتركت فيه وفود من تسع عشرة دولة .

جاء فى متن القرار :

« إن الاجتماع الكامل الرابع « الموسع » للأمانة العامة لمنظمة الصحفيين الإفريقيين الآسيويين بعد ...

— الاستماع إلى تقرير الوفد الصحفى الفلسطينى للاجتماع ...

— ودراسة الظروف التى خلقت فيها إسرائيل وتحليل دورها فى خدمة الاستعمار الجديد ...

— وملاحظة التزييف المستمر للتاريخ والحقائق المتعلقة بالقضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطينى والدور الحقيقى لإسرائيل والصهيونية ... ذلك التزييف الذى يقوم به الإمبرياليون بزعامة الولايات المتحدة وصحافتهم فى العالم أجمع ..

— واعتقاداً بحق الشعوب فى الحرية والاستقلال وتقرير المصير ، يقرر ما يلى :

١ — يعتبر الصهيونية حركة استعمارية من حيث طبيعتها بالذات، وعدوانية وتوسعية فى أهدافها، وعنصرية فى بنيانها، وفاشية فى وسائلها وأساليبها.

٢ — يعتبر إسرائيل قاعدة وأداة طيعة للإمبرياليين بزعامة الولايات المتحدة لاستخدامها من أجـل العدوان والتغلغل والتسلل الاستعمارى الاقتصادى والسياسى والثقافى فى آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية .

٣ — يشجب الحركة الصهيونية ووجود إسرائيل فى الجزء المحتل من فلسطين .

٤ — يطالب من الصحفيين التقدميين الإفريقيين الآسيويين الـكفاح فى سبيل قطع كافة العلاقات السياسية والدبلوماسية مع إسرائيل ومقاطعتها اقتصاديا وثقافيا وطردها من المنظمات الدولية .. ويطلب على وجه الخصوص من كافة الأحزاب التقدمية والحركات الثورية مضاعفة جهودها لمـكافحة التسلل الصهيونى فى بلدانها .

٥ — يهيب بكافة الصحفيين التقدميين الإفريقيين الآسيويين لتقديم تأييدهم يوميا للشعب الفلسطينى فى كفاحه ضد الصهيونيين .

٦ — يؤيد تمام التأييد منظمة التحرير الفلسطينية فى كفاحها لتحرير فلسطين .

٧ — يعتبر يوم ١٥ مايو من كل عام يوماً لفلسطين فى الصحافة الإفريقية الآسيوية ، ومناسبة لزيادة تفهم القضية الفلسطينية لشعوبنا ولـكشف قناع المخططات الإمبريالية الاستعمارية التى يتطلبها وجود إسرائيل » .

١١ — مؤتمر علماء المسلمين من ١٣ — ١٦ مايو سنة ١٩٦٦ :

جاء فى متن القرار :

« مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثانى المنعقد فى رحاب الأزهر الشريف والذى يمثل خمسا وثلاثين دولة من دول آسيا وأفريقيا وأوربا يعلن — باسم المسلمين جميعا — استنكاره الشديد لموقف حكومة جمهورية ألمانيا الاتحادية من قضية فلسطين، واعترافها بحكومة إسرائيل، ويعرب عن تأييده الكامل للدول العربية فى قطعها للعلاقات مع حكومة ألمانيا الاتحادية ، ويدعو سائر الدول الإسلامية إلى أن تقف من قضية فلسطين الموقف الذى يحتمه الدين عليها، وأن تؤيد الدول العربية فى قرارها بقطع العلاقات مع ألمانيا الاتحادية » ..

١٢ — مؤتمر علماء المسلمين من ٢٧ سبتمبر — ٦ من أكتوبر عام ١٩٦٨ :

(ا) يعلن المؤتمر استنكاره الصارخ لمساندة بعض الدول لإسرائيل ، وتأييدها لعدوانها ، ويعتبر هذه المساندة وذلك التأييد تحديا وعداء للأمة الإسلامية واستهانة بمشاعر المسلمين .

(ب) يعلن المؤتمر أن المسلمين فى مختلف بلادهم لن يقفوا مكتوفى الأيدى أمام الأطماع الصهيونية العنصرية فى العالم العربى الإسلامى ولن يتوانوا عن بذل النفوس والأرواح فى سبيل الدفاع عن أوطانهم ومقدساتهم واسترداد أرضهم السليبة .

١٣ — مؤتمر الخرطوم عام ١٩٦٧ :

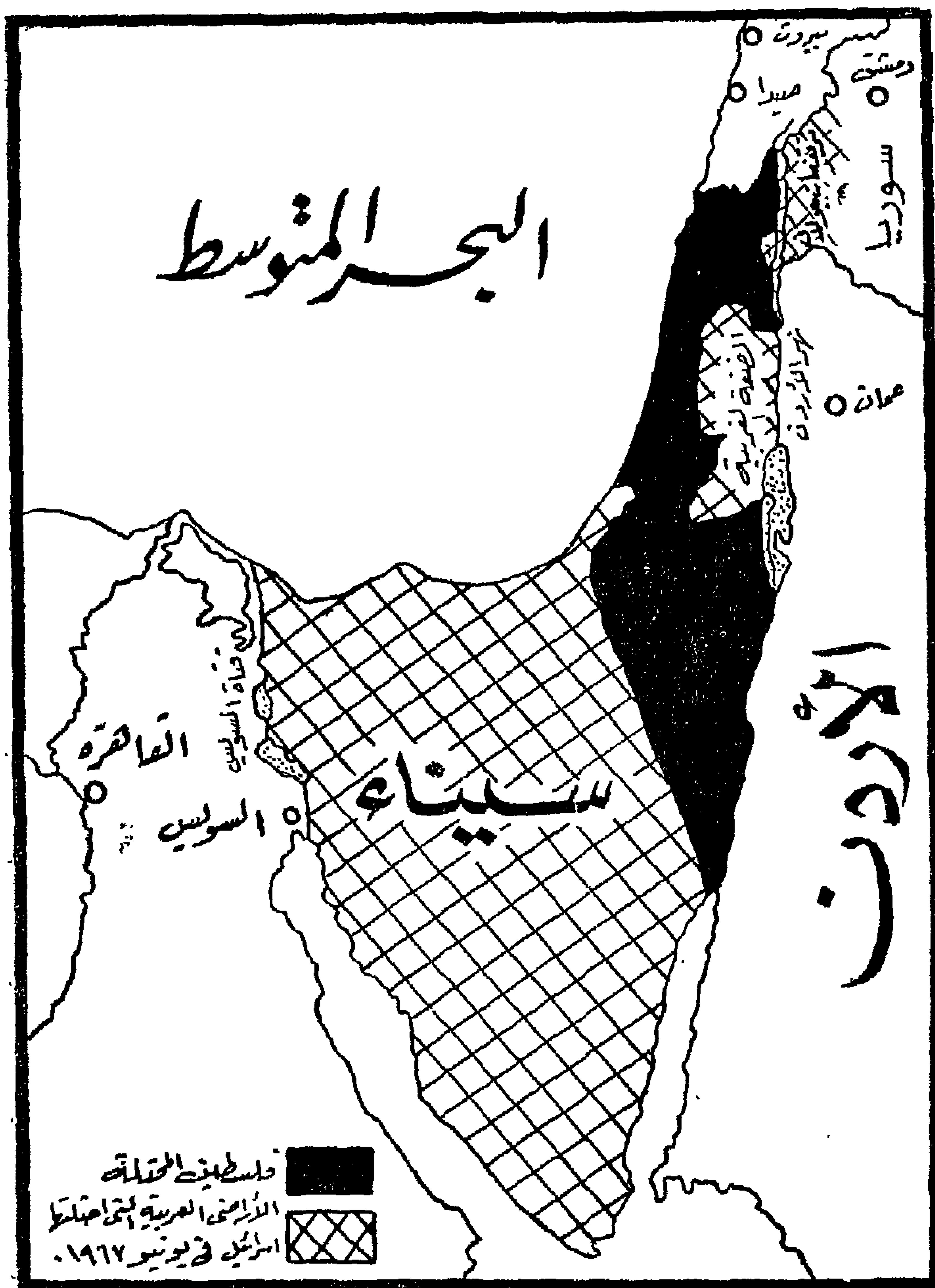
على أثر عدوان إسرائيل على الدول العربية فى يونيو عام ١٩٦٧ واستيلائها على مساحات شاسعة من الأراضى العربية انعقد مؤتمر قمة عربى بالخرطوم واتخذ القرارات الآتية :

١ — لا اعتراف بإسرائيل .

٢ — ولا صلح مع إسرائيل .

٣ — ولا مفاوضة مع إسرائيل .

٤ — ولا تصرف بالقضية الفلسطينية لأنها ملك لشعب فلسطين .



البحر المتوسط
بيروت
صيدا
دمشق
سوريا
عمان
الضفة الغربية
الأردن
سيناء
القاهرة
السويس
قناة السويس
فلسطين المحتلة
الأراضي العربية التي احتلتها
اسرائيل في يونيو ١٩٦٧.

١٤ — تحذيرات منظمة التحرير الفلسطينية لمبعوث الامم المتحدة :

أعلنت المنظمة أهدافها فيما اتخذته من قرارات فى ديسمبر ١٩٦٧ مضمنة البلاغ العسكرى لمجلس قيادة الثورة لتحرير فلسطين وينص على مايلى :

١ — القدس بشطريها القديم والجديد هى عاصمة وطننا ، ولن نتخلى عنها مهما تكبدنا من تضحيات .

٢ — وحدة الضفتين الشرقية والغربية حتمية كحتمية القدر .

٣ — سيواصل مجلس قيادة الثورة كفاحه المسلح وراء منظمة التحرير الفلسطينية فى نضالها القومى وقيادتها لشعب فلسطين لتحرير وطنه وإزالة العدوان اللاحق والسابق .

وتحقيقا لهذه الأهداف المقدسة سيواصل الشعب العربى الفلسطينى كفاحه المسلح لتحرير وطنه ، مدعما بالأمة العربية ، مؤيداً بجميع الشعوب المحبة للحق والحرية والسلام .

* * *

ويعلن السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه فى ١٩٦٧/١١/٢٣ بأنه ليس هناك تعارض بين تجربة الحل السياسى وبين الاستعداد للحل العسكرى ، وأن المشروع البريطانى بصياغته وبالتفسيرات التى أعطيت له ليس كافيا لحل المشكلة ، فلن نسمح لإسرائيل مهما كان الثمن ومهما كانت التكاليف أن تمر فى قناة السويس لأن المرور فى قناة السويس جزء لا يتجزأ من قضية فلسطين وليس جزءاً من قضية إزالة آثار العدوان .

وأعلن الرئيس أن الوقت فى صالحنا ، وإسرائيل ليست ذلك العدو الرهيب الذى لا يقهر . وأعلن أن خسائرنا فى السويس لم تكن بالقدر الذى صورته الدعاية المعادية ولقد نجحنا فى الرد بالمدافع على مدافع العدو . ودعا سيادته إلى :

١ — عقد مؤتمر قمة عربى لتدارس الموقف .

٢ — تطوير الجامعة العربية لتتحمل مسئولياتها كاملة .

٣ — زيادة فاعلية العمل السياسى .

النصر معقود لواؤه للعرب

ما هى ارض فلسطين ؟

إنها أرض الإسراء والمعراج ، ومهد الأنبياء بل هى أرض المعارك التاريخية الكبرى الفاصلة . . . ففيها وقعت معركة اليرموك سنة ٦٣٦ م والتى فتح فيها المسلمون فلسطين وقوضوا الحكم الرومانى فى ربوع الشرق .

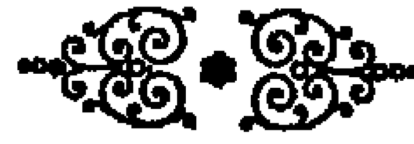
ومعركة حطين عام ١١٨٧ م التى انتصر فيها صلاح الدين الأيوبى لا بأبناء فلسطين وحدهم ولا بأبناء مصر فحسب بل بالجحافل الإسلامية العربية من مصر والشام والعراق ومن كل الديار الإسلامية حيث رد الصليبيين إلى الأبد عن فلسطين .

واستطاعت مصر أن تجرد حملاتها لمناهضة الصليبيين فانتصرت عليهم عام ١٢١٩ ، ١٢٢١ وتم أسر الملك لويس التاسع ملك فرنسا فى مدينة المنصورة وبهذا استرد العرب كل أراضى الشام .

وفى فلسطين دارت معركة «عين جالوت» عام ١٢٦٠م حيث انتصر السلطان قطز وقائده المظفر الظاهر بيبرس بجيوشها الإسلامية وبطلائع جيش مصر إذ ردا المغول « التتار » عن ديار العروبة ، وحفظا الإسلام من كيد الكائدين .

لقد حرر المسلمون فلسطين بعد أن أزالوا ما بينهم من فتن وخلافات ووحدوا صفوفهم وقياداتهم .

وإن تحرير فلسطين واسترداد الأراضى العربية موقوف بوحدة العرب ووحدة الأهداف فى وحدة النضال الفكرى والنضال العسكرى،والاستمساك بقوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .



كلمة ثناء وتقدير

إننى بكل اعتزاز أقدم لك أيها القارىء هذا الكتاب ، ومن وراء هذا الكتاب قلب مؤمن تناوله بالدراسة والمراجعة الدقيقة حتى اكتملت لهذا الكتاب كل عناصر التحقيق العلمى والتاريخى . ولا يسعنى إزاء هذا الجهد إلا أن أقدم تحياتى فى احترام وتبجيل وتقدير للسيد الأستاذ حامد محمد سليمان ويسعدنى أن يذكر اسمه مقرونا باسمى كمحقق للكتاب فإن تحقيق الكتاب لا يقل عن الجهد فى تصنيفه . والله أسأله أن يوفقنى أن أكون موضع ثقة قرائى وكل من يعملون من أجل تحرير الوطن العربى والله المستعان ؟

أشهر المراجع

١ — تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى
هنرى بريستيد . تعريب حسن كمال

٢ — فلسطين ... جريمة ... ودفاع — الدكتور أرنولد توينبى

٣ — حرب السويس — بول جونسون

٤ — مشكلة اليهود فى العالم الجديد — جيمس باركنز طبعة ١٩٤٦

٥ — ثمن إسرائيل — الفريد ليلينتال

٦ — كيف ضاع الشرق الأوسط — الفريد ليلينتال

٧ — أزيلوا إسرائيل — إيلين بيتى الكاتبة الأمريكية

٨ — خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية
اللواء عبد الله التل

٩ — كارثة فلسطين — اللواء عبد الله التل

١٠ — التطورات الأخيرة فى قضية فلسطين — خيرى حماد

١١ — الطريق إلى السويس
أرسكين تشيلدرز .. تعريب الأستاذ خيرى حماد

١٢ — إسرائيل والدول الكبرى — الدكتور يحيى عويس

١٣ — المزاعم الصهيونية فى فلسطين — فتحى فوزى عبد المعطى

١٤ — فلسطين عربية — العقيد محمد فرج

REFERENCES

The Story of Civilization, Will Durant.

A.Caesar and Christ.

B. The Age of Faith , New York 1950.

محتويات الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة

